وزارة المعارف العمومية

ديوان حافظ ابراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه

أحمد أمين
أستاذ اللغة العربية
بالجامعة المصرية

أحمد الزين
بالقسم الأدبي
بدار الكتب المصرية

ابراهيم الإبيارى
مدرس
بالمدارس الأميرية

الجزء الثانى

ويشمل :

السياسيات ، الشكوى ، المراثى

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٣٧

وزارة المعارف العمومية

ديوان حافظ إبراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه

أحمد أمين
أستاذ اللغة العربية
بالجامعة المصرية

أحمد الزين
بالقسم الأدبي
بدار الكتب المصرية

ابراهيم الإبيارى
مدرس
بالمدارس الأميرية

الجزء الثاني

ويشمل :

السياسيات ، الشكوى ، المراثي

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٣٧

السياسيات

العلمان المصرى والانجليزى فى مدينة الخرطوم

رُوَيْدَكَ حتّى يَخْفِقَ العَلَمانِ (١) * وتَنْظُرَ مَا يَجْرِى به الفَتَيانِ

فما مِصْرُ كالسُّودانِ لُقْمَةُ جائعٍ (٢) * ولكنّها مَرْهُونَةٌ لأَوَانِ

دَعانى وما أَرْجَفْتُما باحتمالِه (٣) * فإنّى بمَكْرِ القَوْمِ "شِقٌّ" زمانِى

أَرَى مِصْرَ والسُّودانَ والهِنْدَ واحِدًا * بها اللُّرْدُ والفِيكُنْتُ يَسْتَبِقانِ

وأَكْبَرُ ظَنِّى أنّ يومَ جَلائِهِمْ (٤) * ويومَ نُشُورِ الخَلْقِ مُقْتَرِنانِ

إذا غاضَتِ الأَمْواهُ مِنْ كلِّ مُزْبِدٍ (٥) * وخَرَّتْ بُرُوجُ الرَّجْمِ للحَدَثانِ

---

(١) الفتيان : الليل والنهار . يخاطب صاحبه يقول : تمهل حتى يخفق على السودان العلمان ، و يكمل للإنجليز تملكه ، فإنهم بعد سيملكون مصر كما ملكوا السودان .

(٢) يشير بهذا البيت الى توقع أخذ مصر كما أخذ السودان ، وأن الاستيلاء عليها ليس فى سهولة الاستيلاء عليه ، ولكن ذلك مرهون بالوقت الملائم .

(٣) ما أرجفتما ، أى ما خضتما فيه من القول الذى لم يصح . و باحتماله ، أى باحتمال وقوعه وتحققه ؛ وهو جلاء الإنجليز عن مصر ، ويريد «بالقوم» : الانجليز . وشق (بكسر الشين) : كاهن عربى قديم اشتهر بمعرفة الغيب ، وكان فى زمن كسرى أنوشروان .

(٤) يوم النشور : يوم القيامة .

(٥) غاض الماء : قل فنضب . والأمواه : جمع ماء . والمزبد : البحر يقذف بالزبد . والحدثان (محركة) : اسم بمعنى حوادث الدهر ونوائبه .

وعادَ زمانُ السَّمْهَرِيِّ وربِّه * وحُكْمَ فى الهَيْجاءِ كلِّ يمانِى (١)

هُناكَ اذكُرُوا يومَ الجَلاءِ ونبِّهُوا * نِيامًا عليهم يَنْدُبُ الهَرَمانِ (٢)

إلى مولاى عبد العزيز سلطان مراكش

قالها وقد اقترح المؤيد على الشعراء أن ينظموا فى عتاب مولاى عبد العزيز سلطان مراكش

[نشرت فى ٤ إبريل سنة ١٩٠٤ م]

(عبدَ العزيز) لقد ذكَّرْتَنا أُمَمًا * كانتْ جوارَكَ فى لَهْوٍ وفى طَرَبِ (٣)

ذَكَّرْتَنا يومَ ضاعَتْ أرضُ أَنْدَلُسٍ * الحَرْبُ فى الباب والسُّلْطانُ فى اللَّعِبِ

فاحذَرْ على التَّخْتِ أنْ يَسْرِى الخرابُ له * فتَخْتُ (سُلْطانةٍ) أَعْدَى من الجَرَبِ (٤)

(١) السمهرى : الرمح الصلب . أو هو المنسوب الى رجل من العرب اسمه سمهر ، كان مشهورا بصنع الرماح . والهيجاء : الحرب . واليمانى : السيف ، نسبة الى اليمن ، لأن أجود السيوف كان يصنع بها .

(٢) هناك اذكرا : جواب « لإذا » فى البيت السابق . يقول : اذا ظهرت أمارات الساعة من غيض مياه البحار ... الخ ، أو وقع المستحيل ، فعاد الزمن الى سيرته الأولى أيام كان القتال بالسيوف والرماح فانتظرا إذ ذاك خروج الإنجليز من مصر .

(٣) عبد العزيز سلطان مراكش ، هو ابن السلطان مولاى الحسن ، وكان مولده سنة ١٢٩٦ هـ . تولى الملك بعد وفاة أبيه فى ٤ ذى الحجة سنة ١٣١١ هـ ، ثم خلع فى سنة ١٣٢٦ هـ وسنة ١٩٠٨ م . وكان معروفا بالإخلاد الى المجون واللهو ، حتى إنه بعث الى مصر فى طلب جماعة من المطربين والمطربات ، فسافر اليه جماعة منهم ، فأنكر عليه المسلمون فعله ، لاسيما مصر ، وكتبت الصحف مستهجنة هذا الصنيع من سلطان مسلم ، وأكثر الشعراء فى ذلك من المقطعات الطريفة .

(٤) يريد « بالتخت » الأول فى هذا البيت : سرير السلطان ؛ وهو معرّب . وبالثانى : تخت الغناء ، تسمية عامية . وسلطانة : مغنية كانت من المغنيات المشهورات فى مصر فى ذلك العصر ، وكانت بين بعثة الغناء التى سافرت الى سلطان مراكش .

غادة اليابان

ضمنها غرامه بغادة يابانية ، وأشاد بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب بينها و بين روسيا

[نشرت في ٦ إبريل سنة ١٩٠٤ م]

لا تَلُمْ كَفِّي إذا السَّيْفُ نَبَا (١) * صَحَّ مِنِّي العَزْمُ والدَّهْرُ أَبَى

رُبَّ ساعٍ مُبْصِرٍ في سَعْيِهِ * أَخْطَأَ التَّوفيقَ فيما طَلَبَا

مَرْحَبًا بالخَطْبِ يَبْلُونِي (٢) إذا * كانت العَلْيَاءُ فيه السَّبَبَا

عَقَّنِي الدَّهْرُ ولولا أنَّني (٣) * أُوثِرُ الحُسْنَى عَقَقْتُ الأَدَبَا

إيهِ يا دُنْيا اعْبِسِي أو فابْسِمِي * لا أَرَى بَرْقَكِ إلَّا خُلَّبَا (٤)

أَنا لولا أنَّ لي مِنْ أُمَّتي * خاذِلاً ما بِتُّ أَشْكو النُّوَبا

أُمَّةٌ قد فَتَّ في ساعِدِها (٥) * بُغْضُها الأَهْلَ وحُبُّ الغُرَبا

تَعْشَقُ الأَلْقابَ في غَيْرِ العُلا * وتُفَدِّي بالنُّفُوسِ الرُّتَبا

وهي والأَحْداثُ تَسْتَهْدِفُها (٦) * تَعْشَقُ اللَّهْوَ وتَهْوَى الطَّرَبا

لا تُبالِي لَعِبَ القَوْمُ بها * أَمْ بها صَرْفُ اللَّيالِي لَعِبا (٧)

---

(١) نبا السيف : كل وارتد . (٢) يبلوني : يختبرني . (٣) عقه : ترك الاحسان اليه ولم يبر به . يقول : إن الدهر لم ينصفني ، والجاني عليّ هو أدبي ؛ ولولا أنني أوثر الاحسان لهجرت الأدب الذي كان سببا في شقائي . (٤) البرق الخلب : الذي يطمع الناس في مطره ويخلفهم .

(٥) فت في ساعدها : عبارة يكنى بها عن الإضعاف و إيهان القوى . (٦) والأحداث تستهدفها ، أي أن حوادث الدهر تجعلها هدفا لها ترميه . (٧) يريد «بالقوم» : الانجليز . وصروف الليالي : غيرها ونوائبها . أي أنها لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر .

(١)
لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّى قِصَّةً * ذاتَ شَجْوٍ وحَدِيثًا عَجَبَا

(٢)
كنتُ أَهْوَى فى زَمانى غادَةً * وَهَبَ اللهُ لها ما وَهَبَا

ذاتَ وَجْهٍ مَزَجَ الحُسْنُ بِهِ * صُفْرَةً تُنْسِى اليَهُودَ الذَّهَبَا

حَمَلَتْ لى ذاتَ يومٍ نَبَأً * لا رَعاكَ اللهُ يا ذاكَ النَّبَا

(٣)
وأَتَتْ تَخْطِرُ والليلُ فَتًى * وهِلالُ الأُفْقِ فى الأُفْقِ حَبَا

(٤)
ثمّ قالت لى بثَغْرٍ باسِمٍ * نَظَمَ الدُّرَّ بِهِ والحَبَبَا:

(٥)
نَبَّئُونى برَحِيلٍ عاجِلٍ * لا أَرَى لى بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا

(٦)
ودَعانى مَوْطِنى أَنْ أغتَدِى * عَلَّنِى أَقْضِى له ما وَجَبَا

(٧)
نَذْبَحُ الدُّبَّ ونَفْرِى جِلْدَهُ * أَيَظُنُّ الدُّبُّ أَلّا يُغْلَبَا

(٨)
قلتُ والآلامُ تَفْرِى مُهْجَتِى: * وَيْكِ! ما تَصْنَعُ فى الحَرْبِ الظِّبَا؟

ما عَهِدْناها لَظَبْيٍ مَسْرَحًا * يَبْتَغِى مَلْهًى به أو مَلْعَبَا

(٩)
لَيْسَتِ الحَرْبُ نُفوسا تُشْتَرَى * بالتَّمَنِّى أو عُقُولًا تُسْتَبَى

---

(١) يقال: شجاه شجوا، اذا هيج أحزانه وشوقه. (٢) الغادة: المرأة الناعمة الليّنة.

(٣) والفتى فتى، أى فى أوله. وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحبو فى مهده.

(٤) الحبب: الفقاقع التى تعلو سطح الماء، شبه بها الأسنان فى بياضها. (٥) المنقلب: العودة والرجوع. (٦) أغتدى، أى أبادر مبكرة للدفاع عنه. (٧) الدب: رمز تعرف به روسيا، كما تعرف انجلترا بالأسد، واليابان بالتنين، وألمانيا بالنسر. ونفرى: نشق. ويشير بهذا البيت الى الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م وانتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ م. (٨) الظبا: الظباء، وقصر للشعر. (٩) تستبى: تؤسر بالحب.

أَحَسِبْتِ القَدَّ مِنْ عُدَّتِها * أم ظَنَنْتِ القَحْطَ فيها كالشَّبَا؟ (١)

فَسَلِينِي ، إنّنى مارَسْتُها * وَرَكِبْتُ الهَوْلَ فيها مَرْكَبا (٢)

وَتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فى غارَةٍ * أَسْدَلَ النَّقْعُ عليها هَيْدَبَا (٣)

قَطَّبَتْ ما بين عَيْنَيْها لَنا * فرأيتُ الموتَ فيها قَطَّبَا (٤)

جالَ عِزْرائيلُ فى أَنْحائِها * تحتَ ذاكَ النَّقْعِ يَمْشِى الهَيْدَبَى (٥)

فَدَعِيها لِلَّذى يَعْرِفُها * وَالزَمِى يا ظَبْيَةَ البانِ الخِبا (٦)

فأجابَتْنِي بصَوْتٍ راعَنِى * وَأَرَتْنى الظَّبْيَ لَيْثًا أَغْلَبا: (٧)

إنّ قَوْمِى اسْتَعْذَبوا وِرْدَ الرَّدَى * كيف تَدْعُونِى ألّا أَشْرَبا؟

أنا يا بانِيَّةُ لا أَنْثَنِى * عَنْ مُرادِى أو أَذُوقَ العَطَبا (٨)

أنا إنْ لَمْ أُحْسِنِ الرَّمْىَ ولَمْ * تَسْتَطِعْ كَفّاىَ تَقْلِيبَ الظُّبَا (٩)

---

(١) القد : القامة . والشبا . جمع شباة ، وهى حدّ السنان . (٢) مارستها : عانيتها .

(٣) تقحمت الردى : رميت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والهيدب : السحاب المتدلى من أسافله . وإثارة الغبار وكثرته وارتفاعه فى الحرب ، كناية عن شدتها وكثرة الكر والفر فيها .

(٤) التقطيب : العبوس . والضمير فى «قطبت» للغارة . (٥) الهيذبى (بالمعجمة والمهملة) : نوع من المشى فيه جدّ . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل من الأرواح فى هذه الحرب .

(٦) البان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، تألفه الظباء . والخبا (بالقصر) : الخباء (بالمد) ، وقصر للشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبر أو صوف ، ويريد به البيت عامة .

(٧) راعنى : أفزعنى . والأغلب من السباع : الغليظ الرقبة ، وهى علامة للقوة . يقول : إنها غضبت من تنقصه لها ، وأنها لا تصلح للحرب ، فأجابته بصوت أفزعه لشدته وقسوته ، واستحالت من ظبى وادع إلى أسد قوى . (٨) العطب : الهلاك . (٩) الظبا : جمع ظبة (بضم الأول) وهى حدّ السيف أو السنان .

أَخْدِمُ الجَرْحَى وأَقْضِى حَقَّهُمْ * وأُواسِى فى الوَغَى مَنْ نُكِبَا (١)

هٰكذا (المِيكادُ) قد عَلَّمَنا * أَنْ نَرَى الأَوْطانَ أُمًّا وأَبَا (٢)

مَلِكٌ يكفيكَ منه أنه * أَنْهَضَ الشَّرْقَ فهَزَّ المَغْرِبا

وإذا مارَسْتَه أَلْفَيْتَه * حُوَّلًا فى كلِّ أَمْرٍ قُلَّبا (٣)

كان والتاجُ صغيرَيْنِ مَعًا * وجَلالُ المُلْكِ فى مَهْدِ الصِّبا

فغَدَا هٰذا سَماءً للعُلا * وغَدا ذلكَ فيها كَوْكَبا

بَعَثَ الأُمَّةَ مِنْ مَرْقَدِها * ودَعَاها للعُلا أَنْ تَدْأَبا (٤)

فسَمَتْ للمَجْدِ تَبْغِى شَأْوَه * وقَضَتْ مِن كلِّ شىءٍ مَأْرَبا (٥)

الحرب اليابانية الروسية (٦)

[نشرت فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٤ م]

أَسَاحَةٌ للحَرْبِ أَم مَحْشَرُ * ومَوْرِدُ المَوْتِ أَمِ الكَوْثَرُ؟ (٧)

وهٰذه جُنْدٌ أَطاعُوا هَوَى * أَربابِهِمْ ، أَم نَعَمٌ تُحْتَرُ؟ (٨)

(١) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة . (٢) الميكادو : لقب لملك اليابان .

(٣) الحوّل : الشديد الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى أخرى . والقلب : البصير بتقلب الأمور .

(٤) تدأب : تجدّ فى طلبها . (٥) الشأو : الغاية . (٦) هى تلك الحرب التى نشبت بين اليابان والروس بسبب احتلال الروس لمنشوريا ، وبدأت بنسف اليابانيين جزءا من الأسطول الروسى فى ميناء بورت أرثر فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م ، وانتهت فى سبتمبر سنة ١٩٠٥ م بصلح اعترف فيه بنفوذ اليابان فى كوريا ، وبجلاء الروس عن منشوريا ، وبشروط أخرى فى صالح اليابانيين . (٧) الكوثر : النهر ، وسمى به نهر فى الجنة . شبه (فى الشطر الأول) كثرة المتحاربين وازدحامهم على القتال بازدحام الناس يوم المحشر ، وشبه فى الشطر الثانى استعذاب الناس الموت باستعذابهم الكوثر . (٨) النعم : الإبل والشاء والبقر . يريد أن الأرواح قد رخصت فى هذه الحرب وكثر القتل فى الجنود حتى لم تدرين إن كان هؤلاء بشرا يجب حقن دمائهم أو أنعاما تنحر .

لِلّهِ ما أَقْسَى قُلوبَ الأُلَى * قامُوا بأَمْرِ المُلْكِ واسْتأْثَرُوا !

وغَرَّهُمْ فى الدَّهْرِ سُلْطانُهُمْ * فأَمْعَنُوا فى الأَرضِ واستعمروا (١)

قد أَقْسَمَ البِيضُ بِصُلْبانِهِمْ * لا يَهْجُرُونَ الموتَ أَو يُنْصَروا (٢)

وأَقْسَمَ الصُّفْرُ بأَوْثانِهِمْ * لا يَغْمِدُونَ السَّيفَ أَو يَظْفَرُوا (٣)

فمادَتِ الأَرضُ بأَوْتادِها * حينَ ٱلْتَقَى الأَبْيَضُ والأَصْفَرُ (٤)

وأَمْلَتْها خَمْرَةٌ مِنْ دَمٍ * يَلْهُو بها (المِيكادُ) والقَيْصَرُ

وأَشْبَهَتْ يومَ الوَغى أُخْتَها * إِذْ لاحَ فيها الشَّفَقُ الأَحْمَرُ (٥)

وأَصْبَحَتْ تَشْتاقُ طُوفانَها * لَعَلَّها مِنْ رِجْسِها تَطْهُرُ (٦)

أَشْبَعْتِ يا حَرْبُ ذِئابَ الفَلا * وغَصَّتِ العِقْبانُ والأَنْسُرُ (٧)

ومِيرَتِ الحِيتانُ فى بَحْرِها * ومَطْمَعُ الإِنسانِ لا يُقْدَرُ (٨)

إِنْ كانَ هٰذا الدُّبُّ لا يَنْثَنِى * وذٰلكَ التِّنِّينُ لا يُقْهَرُ (٩)

---

(١) أمعن : بالغ وأبعد . (٢) يريد «بالبيض» : الروس .

(٣) يريد «بالصفر» : اليابانيين . (٤) مادت : تحركت واضطربت . وأوتاد الأرض : جبالها . (٥) الضمير فى «أشبهت» للأرض . ويريد «بأختها» : السماء .

(٦) الرجس : النجس . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول المعرى :

والأرض للطوفان مشتاقة * لعلها من درن تغسل

(٧) غصت : امتلأت وتخمت . والعقبان : جمع عقاب ، وهو طائر من الجوارح . والأنسر : جمع نسر . يشير إلى كثرة ما تأكل هذه الجوارح والوحوش من جثث القتلى . (٨) ميرت ، أى لها بالميرة ، أى بالطعام من جثث القتلى . ولا يقدر ، أى لا يحد ولا ينتهى . (٩) التنين : الحية العظيمة . ويشير (بالدب) إلى روسيا ، و(بالتنين) إلى اليابان .

والبِيضُ لا تَرْضَى بِخِذْلانِها * والصُّفْرُ بعد اليوم لا تُكْسَرُ

فما لِتِلْكَ الحَرْبِ قد شَمَّرَتْ * عن ساقِها حتَّى قَضَى العَسْكَرُ (١)

سالَتْ نُفوسُ القَوْمِ فَوْقَ الظُّبَا * فسالَتِ البَطْحاءُ والأَنْهُرُ (٢)

وأَصْبَحَتْ (مكْدُنُ) يا قُوتةً * يَغارُ منها الدُّرُّ والجَوْهَرُ (٣)

يا قُوتةً قد قُوِّمَتْ بينهمْ * بأنفُسٍ كالقَطْرِ لا تُحْصَرُ (٤)

أَضْحَى رَسُولُ المَوْتِ ما بينها * حَيْرانَ لا يَدْرِي بما يُؤْمَرُ

عِزْرِيلُ، هل أَبْصَرْتَ فيما مَضَى * ـ وأنتَ ذاكَ الكَيِّسُ الأَمْهَرُ ـ

كذلك المِدْفَعِ فى بَطْشِه * إذا تَعالَى صَوْتُه المُنْكَرُ؟ (٥)

تَراهُ إنْ أَوْفَى على مُهْجَةٍ * لا الدِّرْعُ يَثْنِيه ولا المِغْفَرُ (٦)

أَمْسَى (كُرُوبَتْكين) فى غَمْرَةٍ * وباتَ (أُويامَا) له يَنْظُرُ (٧)

---

(١) قضى : هلك . ويريد الشاعر بهذا البيت والبيتين اللذين قبله أن الدولتين إذا كانتا قد تكافأتا فى الشجاعة والقوة ، وصممت كلتاهما على ألا تخذل ، فنهم الحرب وإراقة الدماء ، والحرب لا تقوم إلا حيث يكون منتصر ومنهزم . (٢) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف أو السنان . والبطحاء : مسيل الماء فيه دقاق الحصى ، ويريد به هنا : الفضاء المتسع . (٣) مكدن : مدينة مشهورة فى منشوريا ، وكانت بها الموقعة الفاصلة التى بدأت يوم ٦ مارس سنة ١٩٠٥م . واستمرت خمسة أيام ، وبلغ مجموع ما خسره الفريقان فيها عشرين ومائة ألف مقاتل ، بين قتيل وجريح ، وأسرفيها من الروس أربعون ألفا . يقول : إن هذا البلد قد غطيت أرضه بالدماء حتى أصبحت كأنها ياقوتة حمراء تزرى بالدر والجوهر . (٤) يريد « بالأنفس » فى هذا البيت : من قتل فى هذه المدينة من الفريقين .

(٥) كذلك ، متعلق « بأبصرت » . (٦) أوفى : أشرف . والمغفر : زرد يلبس تحت القلنسوة .

(٧) كروبا تكين : قائد الروس فى تلك الحرب . وأويامانا : قائد اليابان . والغمرة : الشدة التى تغمر الناس : أى تعمهم وتشملهم .

وظَلَّت (الرُّوسُ) عــلى جَمْـرَةٍ * والمَجْدُ يَدْعُوهُـمْ ألا فاصْبِرُوا

وذَلكَ الأَسْـطُولُ ما خَطْبُـه * حتّى عَراهُ الفَــزَعُ الأَكْبَرُ؟ (١)

أكلَّما لاحَ لــه سـابِحٌ * تحتَ الدُّجَى أو قارِبٌ يَخْـرُ (٢)

ظَنَّ به (طُوجُو) فأَهْـدَى له * تَحِيَّــةً (طُوجُو) بهـا أَخْبَرُ؟ (٣)

تحيّــةً مِنْ واجِدٍ شَـيِّقٍ * أَنْفَاسُـه مِنْ حَــرِّها تَزْفِـرُ (٤)

فهـل دَرَى القَيْصَرُ فى قَصْرِه * ما تُعْلِنُ الحَـرْبُ وما تُضْـمِرُ؟ (٥)

فكَمْ قَتِيـلٍ باتَ فَوْقَ الثَّرَى * يَنْتَـابُه الأُظْفُـورُ والمِنْسَـرُ (٦)

وكـم جَرِيحٍ باسِـطٍ كَفَّه * يَدْعُو أَخاه وهــو لا يُبْصِـرُ

وكـم غَرِيقٍ راحَ فى لُجَّـةٍ * يَهْوِى بهـا الطَّوْدُ فـلا يَظْهَرُ (٧)

وكم أَسِـيرٍ باتَ فى أَسْـرِه * ونَفْسُـه مِن حَسْـرَةٍ تَقْطُـرُ

إنْ لَمْ تَرَوْا فى الصُّلْحِ خَيْرًا لكُمْ * فالدَّهْرُ مِنْ أَطْماعِكُمْ أَقْصَرُ

---

(١) يريد «بالأسطول» : أسطول روسيا . (٢) يخر : يشق عباب الماء .

(٣) طوجو : أمير من أمراء البحر اليابانيين المعروفين بالقوة ، وهو الذى نسف أسطول بحر البلطيق الروسى فى موقعة تسوشيما فى ٢٧ مايو سنة ١٩٠٥ م ، وقضى بذلك على كل أمل للروس فى هذه الحرب .

(٤) يريد «بالواجد الشيق» : المدفع . ويريد «بالتحية» : مايصبه المدفع على السفينة من مقذوفاته ؛ ولا يخفى ما فى هـذا من التهكم . (٥) يقول : هل علم القيصر وهو ناعم مطمئن فى قصره بويلات الحرب ، ما ظهر منها وما بطن ، فيثنيه ذلك عن إثارتها والاستمرار فيها . (٦) الأظفور : الظفر . والمنسر (كمجلس ومنبر) : منقار الطائر . يقول : إن القتلى أصبحوا فوق الثرى نهبا للسباع المفترسة والطيور الكاسرة . (٧) اللجة : معظم البحر . والطود : الجبل العظيم . يصف اللجة بالعمق بحيث لو هوى فيها الجبل لم يظهر .

تَسُوءُنا الحَرْبُ وإنْ أَصْبَحَتْ * تَدْعُو رِجالَ الشَّرْقِ أنْ يَفْخَرُوا
أَتَى على الشَّرْقِ حِينٌ إذا * ما ذُكِرَ الأَحْياءُ لا يُذْكَرُ
ومَرَّ بالشَّرْقِ زَمانٌ وَمَا * يَمُرُّ بالبالِ ولا يَخْطِرُ
حتّى أعادَ (الصُّفْرُ) أيّامَه * فانتَصَفَ الأَسْوَدُ والأَسْمَرُ
فرحْمَةُ اللهِ على أُمَّةٍ * يَرْوِي لها التاريخُ ما يُؤْثَرُ (١)

الى الامبراطورة أوجينى (٢)

نظم هذه القصيدة إجابة لاقتراح صحيفة المؤيد على الشعراء أن ينظموا فى هذه الامبراطورة، ويوازنوا بين مجيئها إلى مصر متنكرة تنزل فى فندق سافواى ببورسعيد، ومجيئها قبل ذلك فى سنة ١٨٦٩ فى افتتاح قناة السويس، واستقبال الخديوى اسماعيل إياها استقبالا فخما .

[نشرت فى ٢٦ يناير سنة ١٩٠٥ م]

أَيْنَ يومُ (القَنَالِ) يا رَبَّةَ التا * جِ ويا شَمْسَ ذٰلِكَ المِهْرَجانِ (٣) ؟
أين مُجْرِي القَنالِ أين مُمِيتُ الـ * ـمالِ أينَ العَزيزُ ذُو السُّلْطانِ (٤) ؟

---

(١) يريد «بالأمة» هنا : مصر، يتحسر عليها ويندب ما ضيها .

(٢) ولدت أوجينى فى غرناطة فى ٥ مايو سنة ١٨٢٦ م . وفى ٣ يناير سنة ١٨٥٣ تزوجها نابليون الثالث؛ وكانت فيمن حضر الى مصر لافتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ؛ وقد أنفق الخديوى اسماعيل باشا فى استقبالها الكثير من المال؛ وبعد وفاة زوجها هجرت فرنسا الى إنجلترا، ثم تركت إنجلترا إلى مدريد، وبها ماتت فى ١١ يوليه سنة ١٩٢٠ م .

(٣) المهرجان : عيد للفرس، ويطلق الآن على كل عيد .

(٤) مجرى القنال، يريد اسماعيل باشا الخديوى . وإماتة المال : كناية عن الإسراف والاتساع فى البذل .

أين هارونُ مِصْرَ؟ أين أبو الأشـ * ـبالِ رَبُّ القُصورِ رَبُّ القِيانِ؟ (١)

أين لَيْثُ الجَزيرَةِ (ابنُ عَلِيٍّ) * واهِبُ الألْفِ مُكْرِمُ الضِّيفانِ؟ (٢)

أين ذا القَصْرُ بالجَزيرَةِ تَجْرِى * فيه أَرْزَاقُنا وتَجْبُو الأَمانِي؟

فيه للنَّحْسِ كَوْكَبٌ مُسْرِعُ السَّيْـ * ـرِ وللسَّعْدِ كوكبٌ مُتَوانِي (٣)

قد جَرَى النِّيلُ تحتَه بخُشُوعٍ * وانكسارٍ وهابَهُ الفَتَيانِ (٤)

كنتَ بالأمْسِ جَنَّةَ الحُورِ يا قَصْـ * ـرُ فأَصْبَحْتَ جَنَّةَ الحَيَوانِ

خَطَرَ اللَّيْثُ فى فِنائِكَ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَسْرَحًا للحِسَانِ (٥)

وعَوَى الذِّئْبُ فى نَواحِيكَ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَعْقِلًا للِّسانِ (٦)

وحَباكَ الزُّوّارُ بالمالِ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَصْدَرَ الإحْسانِ (٧)

كنتَ تُعْطِى، فمالَكَ اليَوْمَ تُعْطَى * أينَ بانِيكَ؟ أينَ رَبُّ المَكانِ؟

إنْ أَطافَتْ بك الخُطوبُ فهٰذى * سُنَّةُ الكَوْنِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمانِ

---

(١) هارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف ، وشبه به إسماعيل فى ترفه وجاهه وسعة سلطانه ، وما حفلت به أيامه من مجالس اللهو والغناء ، وما عرف به من كرم وسخاء . والأشبال : أولاد إسماعيل . والقيان : الإماء المغنيات .

(٢) يشير بقوله : «ليث الجزيرة» الى أن إقامة إسماعيل كانت بقصر الجزيرة الذى صار حديقة الحيوان ، كما سيشير الشاعر الى ذلك بعد . وابن على ، لأنه حفيد محمد على .

(٣) يريد أن صاحب هذا القصر اذا غضب فسرعان ما يزول غضبه ، وإذا أقبل طال إقباله ، فكأنه فى غضبه كوكب نحس ما طلع حتى غاب ، وفى رضاه كوكب سعد طويل الإقامة ، بطىء السير .

(٤) الفتيان : الليل والنهار ؛ يريد الدهر .

(٥) الفناء : الساحة .

(٦) معقل للسان ، أى حابس له عن الكلام هيبة لصاحب القصر وخوفا من بطشه .

(٧) حباه : أعطاه . يشير إلى مايدفعه كل داخل إلى حديقة الحيوان .

رُبَّ بانٍ نَأَى، ورُبَّ بِناءٍ (١) * أَسْلَمَتْه النَّوَى إلى غيرِ بانِي

تلك حالُ الإيوانِ (٢) يا رَبَّةَ الثا * جِ فما حالُ صاحِبِ الإيوانِ؟

قد طَواهُ الرَّدَى ولو كان حَيًّا (٣) * لَمَشَى فى رِكابِكِ الثَّقَلانِ

وتولَّتْ حِراسَةَ المَوْكِبِ الأَسْـ * ـنَى نجومُ السَّماءِ والنَّيِّرانِ (٤)

إن يكن غابَ عَنْ جَبينِكِ تاجٌ * كان بالغَرْبِ أشْرَفَ التِّيجانِ

فلقد زانَكِ المَشيبُ بتاجٍ * لا يُدانيه فى الجَلالِ مُدانِي

ذاكَ مِنْ صَنْعَةِ الأنامِ وهٰذا * مِن صَنيعِ المُهَيْمِنِ الدَّيَّانِ

كنتِ بالأَمْسِ ضَيْفَةً عندَ مَلْكٍ * فَانْزِلِي اليومَ ضَيْفَةً فى خانِ (٥)

واعْذُرِينا على القُصُورِ، كِلانا * غَيَّرَتْه طَوارِئُ الحِدْثانِ (٦)

---

(١) نأى : بعد وذهب . والنوى : البعد . يقول : قد يذهب بانى الدار ويخلفه عليها من لم يبنها .

(٢) يريد «بالإيوان» : القصر، وهو فى الأصل الصفة العظيمة ؛ أعجمى معرب .

(٣) الردى : الهلاك والموت . والثقلان : الإنس والجن . ويشير بهذا البيت والذى بعده الى ما كان أعده لها اسماعيل باشا حين حضرت الى مصر سنة ١٨٦٩ م، فى مهرجان فتح قناة السويس من ضروب الحفاوة والإكرام .

(٤) الأسنى، من السناء، وهو الرفعة . والنيران : الشمس والقمر .

(٥) الخان : الحانوت . ويريد به هنا : الفندق . يريد أنها بعد أن كانت تنزل فى قصر ملك أصبحت تنزل فى الفنادق حيث ينزل عامة الناس .

(٦) القصور : التقصير . والحدثان (بكسر الحاء وسكون الدال) : النوائب .

عيد تأسيس الدولة العلية

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى فندق (الكونتنتال) فى مساء الجمعة ٢٦ يناير سنة ١٩٠٦ م

أَيُحْصِى مَعانِيكَ القَرِيضُ المُهَذَّبُ * على أنّ صَدْرَ الشِّعْرِ لِلْمَدْحِ أَرْحَبُ

لقد مَكَّنَ الرَّحْمٰنُ فى الأَرْضِ دَوْلَةً (١) * لِعُثْمانَ لا تَعْفُو ولا تَتَشَعَّبُ

بَناها فَظَنَّتْها الدَّرارِى مَنازِلًا (٢) * لِبَدْرِ الدُّجَى تُبْنَى وللسَّعْدِ تُنْصَبُ

وقامَ رِجالٌ بالإمامَةِ بَعْدَه (٣) * فزادُوا على ذَاكَ البِناءِ وطَنَّبُوا

وَرَدُّوا على الإسْلامِ عَهْدَ شَبابِه * ومَدُّوا له جاهًا يُرَجَّى ويُرْهَبُ

أُسُودٌ على البُسْفُورِ تَحْمِى عَرِينَها (٤) * وتَرْعَى نِيامَ الشَّرقِ والغَرْبُ يَرْقُبُ

لها وَثَباتٌ تحت ظِلِّ هِلالِها (٥) * كما مَرَّ سَهْمٌ أَو كما انْقَضَّ كَوْكَبُ

إذا راعَها مَسٌّ مِنَ الضَّيْمِ خِلْتَها (٦) * كَمَنْ راعَه بالمَسِّ سِلْكٌ مُكَهْرَبُ

وإنْ هَزَّها ذاكَ الهِلالُ لحادِثٍ (٧) * رأيتَ قَضاءَ اللهِ يَمْشِى ويَرْكَبُ

إذا ضاءَتِ الأَحْسابُ يومًا لمُعْرِقٍ (٨) * فعُثْمانُ خَيْرُ الفاتِحِينَ لهم أَبُ

---

(١) عثمان ، هو عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية ، وإليه تنسب ؛ ولد سنة ٦٥٦ هـ ، وتولى السلطنة سنة ٦٩٩ هـ ، وتوفى سنة ٧٢٦ هـ . وتعفو : تندثر وتمحى . وتتشعب : تتفرق .

(٢) الدرارى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : الكواكب المضيئة الصافية البياض ، الواحد درى .

(٣) طنبوا البناء : مكنوه وزادوه منعة وقوة . وأصل التطنيب : شد الخيمة بالأطناب ، وهى الحبال .

(٤) العرين : مأوى الأسد . (٥) يريد « بهلالها » : رايتها المرسوم فيها الهلال ، وهو شعار الدولة العثمانية . (٦) راعها : أفزعها . (٧) يشير بقوله « يمشى ويركب » : إلى مشاة الجيش وفرسانه . (٨) المعرق : الذى له عرق وأصل فى الكرم .

وإنْ تاهَ بالأَبْنَاءِ والبَأْسِ والنَّدَى * فأَوْلَى الوَرَى بالتِّيهِ ذاكَ المُعَصَّبُ (١)

فهذا سُلَيْمانٌ وقانُونُ عَدْلِهِ * على صَفَحاتِ الدَّهْرِ بالتِّبْرِ يُكْتَبُ (٢)

وذاكَ الذي أَجْرَى السَّفِينَ على الثَّرَى * وسارَ له في البَرِّ والبَحْرِ مَرْكَبُ (٣)

على بابِهِ العالي هُنالِكَ تَأَلَّقَتْ * سُطورٌ لأَقْلامِ الجَلالةِ تُنْسَبُ (٤)

هُنا فاخْفِضُوا الأَبْصارَ عَرْشُ مُحَمَّدٍ * هُنا الفاتِحُ الغازِي الكَمِيُّ المُدَرَّبُ (٥)

وما كانَ مِنْ (عَبْدِ المَجِيدِ) إذ احْتَمَى * بأَكْنافِهِ (كُوشُوطُ) والخَطْبُ غَيْهَبُ (٦)

---

(١) المعصب : المتوج . (٢) سليمان ، هو سليمان القانوني ، السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان ، وهو ابن السلطان سليم . ولد سنة ٩٠٠ هـ . وتوفي الملك سنة ٩٢٦ هـ . ومات سنة ٩٧٤ هـ . وقد لقب بالقانوني لأنه وضع قانونا للدولة تسير على مقتضاه .

(٣) يشير بهذا البيت الى الطريقة التي اتبعها محمد الفاتح في مهاجمة القسطنطينية ، وتسييره سفنه على البر حتى وصل بها إلى القرن الذهبي . (٤) تألقت : أضاءت ولمعت . (٥) الكمي : الشجاع . ومحمد ، هو محمد الملقب بالفاتح ، وهو السلطان السابع من سلاطين آل عثمان . ولد سنة ٨٣٣ هـ . وتوفي الملك سنة ٨٥٥ هـ وهو في الحادية والعشرين من عمره ، فبادر بالتأهب لفتح القسطنطينية . وفي سنة ٨٥٧ هـ — ١٤٥٣ م تم له فتحها ؛ وتوفي فجأة سنة ٨٨٦ هـ . ومدة ملكه إحدى وثلاثون سنة .

(٦) الغيهب : الشديد السواد . وعبد المجيد ، هو السلطان الحادي والثلاثون من سلاطين آل عثمان ، ولد سنة ١٢٣٧ هـ ، وتولى السلطنة سنة ١٢٥٥ هـ بعد وفاة أبيه السلطان محمود ، وتوفي سنة ١٢٧٧ هـ ، ومدة جلوسه ثمان وعشرون عاما . ويشير الشاعر بهذا البيت والذي بعده إلى ما حدث سنة ١٨٤١ م ، وذلك أن جماعة من الفارين ، ما بين بولونيين ومجريين ، التجأوا إلى البلاد العثمانية ليتمتعوا فيها بالسكون والهدوء ، بعد أن نالهم الشيء الكثير من الظلم والاضطهاد والعذاب على أيدي النمسا ويين والروس الذين قمعوا الثورات الناشبة في بولونيا والمجر ، وكان بين هؤلاء الفارين زعماء مشهورون ، منهم (كوشوط) المجري المذكور في هذا البيت ؛ وكان زعيم ثورة يقصد بها تحرير المجر ، فطلبت النمسا والروسيا من الدولة العثمانية تسليمهم ، فرفض ذلك السلطان عبد المجيد بحجة أن هذا التسليم لا تقره شريعة ولا خلق ، وعضده في ذلك سفير بريطانيا إذ ذاك ، فكان ذلك سببا لقطع العلاقات بين الدولة العلية وبين النمسا وروسيا ؛ ولولا ظهور الأسطولين الإنجليزي والفرنسي في مياه الدردنيل لتفاقم الغضب ووقعت الحرب .

يُنادِيهِمُ : أَمّا تَزِيلِي فَدُونَه * حَيَاتِي ، وأَمّا صَارِمِي فَمُشَطَّبُ (١)

فإنْ كانت الحُسْنَى فإنِّي سَمَاؤُها * وإنْ كانت الأُخْرَى فشُدُّوا وجَرِّبُوا

كَذَلِكَ كانُوا يَسْتَقِرُّونَ فى الذُّرَا * وأَعْدَاؤُهُمْ فى الغَرْبِ تَشْقَى وتُنْكَبُ (٢)

فكَمْ طَلَبُوا منهمْ أَمَانًا فأَمَّنُوا * وأَمْسَى لهمْ فى الشَّرْقِ مَسْرًى ومَسْرَبُ (٣)

فكان أَمَانَ القَوْمِ والشَّرْقُ مَشْرِقٌ * فأَضْحَى امتيازَ القَوْمِ والشَّرْقُ مَغْرِبُ (٤)

يقولون : فى هٰذِى الرُّبُوعِ تَعَصُّبٌ * وأَىُّ مَكانٍ ليسَ فيه تَعَصُّبُ؟

فيا شَرْقُ إنّ الغَرْبَ إنْ لانَ أو قَسَا * ففيه مِنَ الصَّهْبَاءِ طَبْعٌ مُذَوَّبُ (٥)

خَفَّفْ بأَسَها فى الرَّأْسِ والرَّأْسُ يَصْطَلِى * وخَفِّفْ ضَعْفَها فى الكَأْسِ والكَأْسُ تُطْرِبُ

ويا غَرْبُ إنّ الدَّهْرَ يَطْفُو بأَهْلِه * ويَطْوِيه تَيّارُ القَضَاءِ فيَرْسُبُ (٦)

أَراكَ مَقَرَّ الطامِعِينَ كأَنَّما * على كلِّ عَرْشٍ مِنْ عُرُوشِكَ (أَشْعَبُ) (٧)

---

(١) الصارم : السيف القاطع . والمشطب : الذى فيه شطب ، وهى الخطوط والطرائق التى فى نصله .

(٢) الذرا : جمع ذروة (بالكسر والضم) ، وهى المكان المرتفع .

(٣) الضمير فى «طلبوا» يعود على قوله «أعداؤهم» فى البيت السابق . ومنهم ، أى من آل عثمان . والمسرب : المذهب والطريق .

(٤) يريد « بالقوم » : الافرنج . ويشير بهذا البيت والذى قبله إلى ما نالوه من بعض سلاطين آل عثمان من منح أعطيت لهم لتيسير سبل التجارة ، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم فى بلاد الشرق ، أيام قوة الدولة العثمانية ، ثم صارت هذه المنح بعد ضعفها امتيازات تمسك بها الغربيون وأوذيت بها تركيا ورعاياها .

(٥) الصهباء : الخمر . (٦) يطفو : يعلو . ويرسب : يهبط ويسفل .

(٧) أشعب : رجل من المدينة كان مولى لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ؛ ويضرب به المثل فى الطمع ، فيقال : « أطمع من أشعب » .

حادثة دنشـــواى (١)

[نشرت فى ٢ يوليه سنة ١٩٠٦ م]

أيُّها القائِمُونَ (٢) بالأَمْرِ فينا * هَـلْ نَسِيتُمْ وَلاءَنا والـوِدادَا
خَفِّضُـوا جَيْشَكُمْ ونَامُـوا هَنِيئا * وابْتَغُـوا صَيْدَكُمْ وجُوبُوا البِلادا (٣)
وإذا أَعْوَزَتْكُمُ ذاتُ طَـوْقٍ (٤) * بين تِلْكَ الرُّبَا فصِيدُوا العِبادا
إنّما نَحْنُ والحَمَامُ سَـواءٌ (٥) * لَمْ تُغادِرْ أَطْـوافُنا الأَجْيادا
لا تَظُنُّـوا بِنا العُقُـوقَ ولَكِنْ * أَرْشِـدُونا إذا ضَـلَلْنا الرَّشادا
لا تُقِيـدُوا مِنْ أُمّةٍ بقَتِيـلٍ (٦) * صادَتِ الشمسُ نَفْسَـهُ حِينَ صَادا
جاءَ جَهّالُنا بأَمْـرٍ وجِئْـتُمْ * ضِعْفَ ضِعْفَيْهِ قَسْـوَةً واشْتِدادا

---

(١) فى يوم الأربعاء ١٣ يونيه سنة ١٩٠٦ م ، قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم ، وقصدوا إلى بلدة دنشواى بإقليم المنوفية من أعمال مركز تلا ، لصيد الحمام ، وهناك أصيب بعض الأهلين فاصطدموا بالإنجليز ؛ فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت ، فثارت ثائرة اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية إذ ذاك ، وعقدت المحكمة المخصوصة لمحاكمتهم ، وكان المدعى العمومى فيها ابراهيم الهلباوى بك المحامى المعروف ؛ وقضت هذه المحكمة بإعدام أربعة من الأهلين ، وجلد وحبس ثمانية منهم . ونفذ الإعدام والجلد فى نفس البلد على مرأى ومسمع من أهله ، وكان فى ذلك الحكم وفى تنفيذه من القسوة ما أثار الأنفس وأطلق ألسنة الوطنيين وزعماء النهضة بما يجيش فى النفوس من أسى وحسرة .

(٢) الخطاب فى هذا البيت وما بعده للإنجليز .

(٣) جاب البلاد : قطعها .

(٤) ذات الطوق : الحمامة المطوقة ، لأن لها طوقا حول عنقها ، وهو لون يخالف سائر لونها .

(٥) يريد « بالأطواق » فى هذا البيت : أغلال الأسر والاستعباد . والأجياد : الأعناق ؛ الواحد جيد .

(٦) يقال : أفاد الأمير القاتل بالقتيل ، إذا قتله به . ويشير بهذا البيت إلى ما قرره الأطباء من أن وفاة الضابط الإنجليزى كانت بضربة الشمس ، لا بإصابة أحد .

أَحْسِنُوا القَتْلَ إن ضَنِنْتُمْ بِعَفْوٍ * أَقِصاصًا أَرَدْتُمُ أَمْ كِيادَا؟

أَحْسِنُوا القَتْلَ إن ضَنِنْتُمْ بِعَفْوٍ * أَنُفُوسًا أَصَبْتُمُ أَمْ جَمادَا؟

لَيْتَ شِعْرِى أَتِلْكَ (مَحْكَمَةُ التَّفْـ * ـتِيشِ) عادَتْ أَمْ عَهْدُ (نِيرُونَ) عادَا؟ (١)

كيف يَحْلُو مِنَ القَوِىِّ التَّشَفِّى * مِنْ ضَعِيفٍ أَلْقَى إليه القِيادا؟

إنّها مُثْلَةٌ تُشِفُّ عن الغَيْـ * ـظِ ولَسْنا لغَيْظِكُمْ أَنْدادا (٢)

أَكْرِمُونا بأَرْضِنا حيثُ كُنْتُمْ * إنّما يُكْرِمُ الجَوادُ الجَوادا

إنّ عِشْرِينَ حِجّةً بعدَ خَمْسٍ * عَلَّمَتْنا السُّكونَ مَهْمَا تَمادَى (٣)

أُمَّةُ النِّيلِ أَكْبَرَتْ أَنْ تُعادِى * مَنْ رَماها وأَشْفَقَتْ أَنْ تُعادَى (٤)

ليس فيها إلّا كَلامٌ وإلّا * حَسْرَةٌ بعدَ حَسْرَةٍ تَتَهادَى

* * *

أَيُّهَا المُدَّعِى العُمُومِىُّ مَهْلًا * بعضَ هٰذا فقد بَلَغْتَ المُرادَا (٥)

قد ضَمِنّا لك القَضاءَ بمِصْرٍ * وضَمِنّا لنَجْلِكَ الإسْعادا (٦)

---

(١) تعرف محاكم التفتيش بالقسوة والظلم واضطهاد الناس ومصادرة أملاكهم، ثم إحراقهم من غير أن تترك لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم؛ وقد استغلت تلك المحاكم فى اضطهاد العرب فى اسبانيا فى آخر أيامهم بها حتى تم جلاؤهم عنها فى سنة ١٦٠٩ م. ونيرون، هو الملك الرومانى المعروف بالظلم والقسوة والاستبداد؛ ومما ينسب اليه أنه أحرق مدينة روما، وكان يوم إحراقها يشاهد النيران تأكل المدينة وأهلها، فيسر بهذا المنظر كأنما ينظر الى رواية تمثل فى ملهى من الملاهى. (٢) المثلة (بالضم): التنكيل. وتشف: تكشف وتبين. والأنداد: النظراء؛ الواحد ند (بكسر النون). (٣) الحجة: السنة. (٤) أشفقت: خشيت. (٥) المدعى العمومى: ابراهيم الهلباوى بك. (٦) يشير الى ما كان يقال من أن الهلباوى بك كان قد وعد بأن يكون بعد من رجال القضاء لدفاعه عن الإنجليز فى هذه الحادثة.

فإذا ما جَلَسْتَ للحُكْمِ فاذكُرْ * عَهْدَ (مِصْرٍ) فقد شَفَيْتَ الفُؤادَا

لا جَرَى النِّيلُ فى نَواحِيكِ يا (مِصْـ * ـرُ) ولا جادَكِ الحَيا حيثُ جادا (١)

أنتِ أَنْبَتِّ ذلكَ النَّبْتَ يا (مِصْـ * ـرُ) فأَضْحَى عليكِ شَوْكًا قَتادَا (٢)

أنتِ أَنْبَتِّ ناعِقًا قامَ بالأَمْـ * ـسِ فأَدْمَى القُلُوبَ والأَكْبادَا (٣)

إيهِ يا مِدْرَهَ القَضاءِ ويا مَنْـ * ـسادَ فى غَفْلَةِ الزَّمانِ وَشَادَا (٤)

أنتَ جَلَّدْنا فلا تَنْسَ أَنَّا * قد لَبِسْنا على يَدَيْكَ الحِدادَا

استقبال اللورد كرومر عند عودته من مصيفه بعد حادثة دنشواى (٥)

[نشرت فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٦ م]

(قَصْرَ الدُّبارَةِ) هل أتاكَ حَدِيثُنا * فالشَّرْقُ رِيعَ له وضَجَّ المَغْرِبُ (٦)

أهْلًا بساكِنِكَ الكريمِ ومَرْحَبًا * بعدَ التَّحِيَّةِ إنّنى أَتَعَتَّبُ (٧)

نَقَلَتْ لنا الأَسْلاكُ عنكَ رِسالةً * باتَتْ لها أَحْشاؤُنا تَتَلَهَّبُ

(١) الحيا : المطر . (٢) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر . يخاطب مصر بأنها أحسنت إلى بعض أبنائها وبرّت بهم ، فأساءوا إليها وجحدوا نعمتها . (٣) يريد « بالناعق » : المدعى العمومى فى هذه القضية . والنعيق (بالعين المهملة ، وفى كتب اللغة أنه بالغين المعجمة أفصح) : صياح الغراب . (٤) المدره : خطيب القوم والمتكلم عنهم . (٥) انظر الكلام على الحادثة التى وقعت فى هذا البلد (فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) . (٦) ريع (بالبناء للمجهول) : من الروع ، وهو الفزع . يخاطب فى هذا البيت القصر مريدا صاحبه . (٧) التعتب ، هو تواصف الموجدة ، ومخاطبة المدلين أخلاءهم طالبين حسن مراجعتهم ، ومذاكرتهم ما كره بعضهم من بعض .

ماذا أقولُ وأنتَ أصدَقُ ناقِلٍ * عنّا ولكنّ السّياسةَ تَكْذِبُ (١)

عَلَّمْتَنا مَعْنَى الحَياةِ فما لَنا * لا نَشْرَئِبُّ لها وما لَكَ تَغْضَبُ (٢)

أَنَقِمْتَ مِنّا أنْ نُحِسَّ ؟ وإنّما * هٰذا الذى تَدْعُو إليه وتَنْدُبُ (٣)

أنتَ الّذى يُعْزَى إليه صَلاحُنا * فيما تُقَرِّرُه لدَيْكَ وتَكْتُبُ (٤)

إنْ ضاقَ صَدْرُ النِّيلِ عمّا هالَه * يومَ الحَمامِ فإنّ صَدْرَكَ أَرْحَبُ (٥)

أوَكُلَّما باحَ الحَزِينُ بأنّةٍ * أَمَسَتْ إلى مَعْنَى التَّعَصُّبِ تُنْسَبُ ! (٦)

رِفْقًا عَمِيدَ الدَّوْلَتَيْنِ بأُمّةٍ * ضاقَ الرَّجاءُ بها وضاقَ المَذْهَبُ (٧)

رِفْقًا عَمِيدَ الدَّوْلَتَيْنِ بأُمّةٍ * لَيْسَتْ بغَيْرٍ وَلائِها تَتَعَذَّبُ

إنْ أَرْهَقُوا صَيّادَكُمْ فلَعَلَّهُمْ * لِلْقُوتِ لا لِلْمُسْلِمِينَ تَعَصَّبُوا (٨)

ولرُبَّما ضَنَّ الفَقِيرُ بقُوتِه * وسَخَا بمُهْجَتِه على مَنْ يَغْصِبُ (٩)

---

(١) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى مقتطفات من تقرير اللورد كرومر عن مصر نقلها البرق إلى الصحف المصرية ، وفيها يطعن على المصريين و يصفهم بأنهم لا يرعون جميلا . (٢) تشرئب لها : تتطلع إليها . والاشرئباب (فى الأصل) : مدّ العنق للنظر . (٣) تدبه إلى الأمر : دعاه إليه .

(٤) يعزى : ينسب . يشير إلى ما كان يكتبه اللورد كرومر فى تقريراته من أنه هو الذى جلب الخير والرفاهية لمصر . (٥) يوم الحمام ، أى يوم صيد الحمام الذى سبب حادثة دنشواى المعروفة .

(٦) الأنة : من الأنين ، وهو التأوه . ويشير بهذا إلى ما وجه إلى المسلمين فى مصر من التعصب الدينى ، وأن ذلك التعصب كان السبب فى قتل الإنجليز فى دنشواى . (٧) عميد الدولتين ، أى عميد الدولة الإنجليزية والمصرية . (٨) أرهقوا صيادكم : اعتدوا عليه وآذوه . و يريد « بالصياد » : أحد ضباط الإنجليز الذين كانوا يتصيدون الحمام فى دنشواى ولاقى حتفه هنالك .

(٩) ضن : بخل . وسخا بمهجته ... الخ ، أى بذل نفسه فى دفع من يغصبه طعامه . ويشير بهذا الى ما حدث من بعض هؤلاء الصيادين ، حين أطلقوا النار على الحمام فأحرقت بعض أجران القمح هنالك .

فى (دِلْشِـوَاىَ) وأنتَ عنّـا غائبٌ * لَعِبَ القَضاءُ بنـا وعزَّ المَهْـرَبُ

حَسِبُوا النُّفُوسَ مِنَ الحَمامِ بَدِيلَةً (١) * فتسـابَقُوا فى صَيْدِهِنّ وصَـوَّبُوا

نُكِبُوا وأَقْفَـرَتِ المَنـازِلُ بَعْـدَهُمْ * لو كنتَ حاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يُنْكَبُوا

خَلَّيْتَهُـمْ والقاسِطُونَ بمَرْصَـدٍ (٢) * وسِـياطُهُمْ وحِبالُهُـمْ تَتَأَهَّبُ

جُـلِدُوا ولـو مَنَّيْتَهُمْ لتَعَلَّقُـوا (٣) * بحِبالِ مَنْ شُنِقُوا ولَمْ يَتَهَيَّبُوا

شُـنِقُوا ولَوْ مُنِحُوا الخِيـارَ لَأَهَّلُوا (٤) * بَلَظَى سِـياطِ الجـالِدِينَ ورَحَّبُـوا

يَتَحاسَـدُونَ على المَمـاتِ، وكأْسُـه * بَيْنَ الشِّفاهِ وطَعْمُهُ لا يَعْـذُبُ

مَوْتانِ : هٰـذا عاجِـلٌ مُتَنَمِّرٌ (٥) * يَرْنُـو، وهٰـذا آجِـلٌ يَتَرَقَّبُ

والمُسْتَشارُ مُكائِـرٌ بِـرِجالِه * ومُعاجِـزٌ ومُناجِـزٌ ومُحَـزِّبُ (٦)

يَخْتالُ فى أَنْحائِهـا مُتَبَسِّـمًا * والدَّمْـعُ حَـوْلَ رِكابِه يَتَصَبَّبُ

---

(١) يقال : صوّب السهم نحو الرمية (بتشديد الياء)، إذا سدده .

(٢) القاسطون : الظالمون الجائرون عن الحق ، قال الله تعالى : (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) . والمرصد : المرقب .

(٣) منيتهم ، أى خيرتهم فيما يتمنونه من أخف أنواع العذاب .

(٤) أهلوا ورحبوا ، أى قالوا : أهلا ومرحبا . ومعنى البيتين : أن كلا من جلد وشنق رأى فى عذابه من الشدة ما تمنى معه أن يستبدل به عذاب أخيه . واللظى : النار؛ وقيل : لهبها .

(٥) المتنمر : الغاضب ، تشبيها له بالنمر ، لأن من عادته ألا يلقاك دائما إلا منكرا غضبان . ويرنو : ينظر .

(٦) يريد «بالمستشار» هنا : المستر بوند الإنجليزى ، وهو من قضاة المحكمة التى حكمت على متهمى دنشواى . والمعاجز : من عاجزت الرجل ، اذا أتيت بما يجعله عاجزا . والمناجز : المقاتل المبارز . ومحزب ، أى مفرق أعوانه ، فبعضهم يتولى أمر الجلد ، والبعض يتولى أمر الشنق ... الخ .

طاحُوا بأربعةٍ فأردَوْا خامسًا * هُوَ خيرُ ما يرجُو العميدُ و يطلُبُ (١)

حُبٌّ يُحاوِلُ غرسَه فى أنفُسٍ * يُحنَى بمغرِسِها الثناءُ الطيِّبُ

كُنْ كيفَ شئتَ ولا تكِلْ أرواحَنا * لِلمُستشارِ فإنَّ عدلَكَ أخصَبُ

وأفِضْ على (بُنْدٍ) إذا وَلِىَ القضا * رِفقًا يَهِشُّ له القضاءُ و يطرَبُ

قد كان حَوْلَكَ مِنْ رجالِكَ نُخبةٌ * ساسُوا الأمورَ فدرَّبُوا وتدرَّبُوا

أقصَيتَهُمْ عنّا وجئتَ بفتيةٍ * طاشَ الشَّبابُ بهمْ وطارَ المَنْصِبُ (٢)

فاجعَلْ شِعارَكَ رحمةً ومودَّةً * إنّ القُلوبَ مع المَودَّةِ تُكسَبُ

وإذا سُئِلتَ عن الكِنانةِ قُلْ لهُمْ * هى أمَّةٌ تلهُو وشَعْبٌ يلعَبُ

وَاستَبقِ غفلتَها ونَمْ عنها تَنَمْ * فالناسُ أمثالُ الحَوادِثِ قُلَّبُ (٣)

شكوى مصر من الاحتلال

نشرت فى أول يناير سنة ١٩٠٧ م

لقد كان فينا الظُّلْمُ فوضَى فهُذِّبَتْ * حواشيه حتّى باتَ ظُلْمًا مُنظَّما (٤)

تَمُنُّ علينا اليومَ أنْ أخصَبَ الثَّرَى * وأنْ أصبحَ المِصرىُّ حُرًّا مُنعَّما (٥)

---

(١) طاحوا بأربعة ، أى ذهبوا بنفوسهم . وأردوا : أهلكوا . و يريد «بالخامس» : الحب المذكور فى البيت الآتى . (٢) أقصيتهم : أبعدتهم . وطار المنصب ، أى خفت أحلامهم من الغرور بمناصبهم . (٣) قلب ، أى متقلبون لا يثبتون على حال واحدة . والذى وجدناه فى كتب اللغة أن القلب : صفة للمفرد أى المتقلب كيف شاء ، وقد أخبر الشاعر به عن الناس مراعاة للفظ ، ومنه قول الشاعر :

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد ؟

(٤) الحواشى : النواحى . وتهذيبها : إصلاحها . (٥) تمن : يخاطب عميد الدولة الإنجليزية . و يشير الى ما كان يكتبه ذلك العميد فى تقاريره من صلاح حال مصر ورفاهتها بفضل الإنجليز .

أَعِدْ عَهْدَ (إسماعيلَ) جَلْدًا وسُخْرَةً * فإنِّى رأيتُ المَنَّ أَنْكَى وآلَمَا (١)

عَمِلْتُمْ على عِزِّ الجَمادِ وذُلِّنا * فأَغْلَيْتُمُ طِينًا وأَرْخَصْتُمُ دَما

إذا أَخْصَبَتْ أرضٌ وأَجْدَبَ أَهْلُها * فلا أَطْلَعَتْ نَبْتًا ولا جادَها السَّما (٢)

نَهَشُّ الى الدِّينارِ حتّى إذا مَشَى * بِهِ رَبُّهُ لِلسوقِ أَلْفاهُ دِرْهَما (٣)

فلا تَحْسَبوا فى وَفْرَةِ المالِ — لَمْ تُفِدْ * مَتاعًا ولم تَعْصِمْ مِنَ الفَقْرِ — مَغْنَما

فإنّ كَثيرَ المالِ — والخَفْضُ وارِفٌ — * قليلٌ إذا حَلَّ الغَلاءُ وخَيَّما (٤)

وداع اللّورد كرومر

قالها عند استقالة اللورد وضمنها آراء الناس فى سياسته

[نشرت فى ٢٧ إبريل سنة ١٩٠٧ م]

فَتَى الشِّعْرِ هٰذا مَوْطِنُ الصِّدْقِ والهُدَى * فلا تَكْذِبِ التّارِيخَ إنْ كُنْتَ مُنْشِدَا (٥)

لقد حانَ تَوْدِيعُ العَمِيدِ وإنّه * حَقِيقٌ بتَشْيِيعِ المُحِبِّينَ والعُدَا (٦)

---

(١) يشير بهذا البيت الى ما كان يردّده عميد الدولة الإنجليزية وغيره من ساسة الإنجليز من تفضيل عهد احتلالهم على ما قبله من العهود، ولا سيما عهد إسماعيل، ممتنين على المصريين بأنهم قد أزالوا عنهم ما كان يحيق بهم من المظالم قبل احتلالهم، من تسخير الناس وجلد ظهورهم. (٢) جادها السما أى نزل عليها المطر. (٣) هش اليه: ارتاح وبش. ويشير بهذا الى غلاء الحاجات وارتفاع أثمانها، حتى إن الدينار ينزل الى قدر الدرهم فى الشراء. (٤) الخفض: سعة العيش ورغده. والوارف: المتسع. يقول: إن كثرة الأموال مع ارتفاع الأسعار وغلاء الحاجات لا تغنى شيئا.

(٥) فتى الشعر، يريد نفسه. (٦) العميد، هو عميد الدولة الإنجليزية فى مصر، وهو اللورد كرومر، وقد بقى بها ما يزيد على أربعة وعشرين عاما، فقد حضر اليها فى سبتمبر سنة ١٨٨٣ م. وتركها فى سنة ١٩٠٧ م. وحقيق: جدير.

فودِّعْ لنا الطَّوْدَ الذى كان شامخًا * وشَيِّعْ لنا البَحْرَ الذى كانَ مُزْبِدا (١)

وزَوِّدْه عنّا بالكَرامَةِ كلِّها * وإنْ لم يَكُنْ بالباقياتِ مُزَوَّدَا

فلِمْ لا نَرَى الأهرامَ يا نيلُ مُيِّدًا * وفِرْعَوْنُ عن وادِيكَ مُرْتَحِلٌ غَدا؟ (٢)

كأنّك لَمْ تَجْزَعْ عليه ولَمْ تَكُنْ * تَرَى فى حِمَى فِرْعَوْنَ أَمْنًا ولا جَدَا (٣)

سلامٌ ولو أنا نُسِيءُ إلى الأُلَى * أَساءُوا إلينا ما مَدَدْنا لهمْ يَدا

سَنُطْرِى أَيادِيكَ التى قد أَفَضْتَها * علينا فلَسْنا أُمَّةً تَجْحَدُ اليَدَا (٤)

أَمِنَّا فلَمْ يَسْلُكْ بنا الخَوْفُ مَسْلَكًا * ونِمْنا فلَمْ يَطْرُقْ لنا الذُّعْرُ مَرْقَدا

وكنتَ رَحِيمَ القَلْبِ تَحْمِى ضَعِيفَنا * وتَدْفَعُ عنّا حادِثَ الدَّهْرِ إنْ عَدا

ولولا أَسًى فى (دِنْشَوايَ) ولَوْعَةٌ * وفاجِعَةٌ أَدْمَتْ قُلوبًا وأَكْبُدَا (٥)

ورَمْيُكَ شَعْبًا بالتَّعَصُّبِ غافِلًا * وتَصْوِيرُكَ الشَّرْقِىَّ غِرًّا مُجَرَّدَا (٦)

---

(١) الطود : الجبل العظيم . والشامخ : المرتفع . والمزبد : الذى يقذف بالزبد (بالتحريك) ، وهو ما يعلو الماء من الرغوة ، ولا يكون ذلك إلا عند هيجان البحر وثورانه . شبه الشاعر اللورد بالجبل العظيم فى رسوخه فى السياسة وعلو شأنه ، كما شبه بالبحر المزبد فى ثورته وغضبه .

(٢) ميدا : مائلة مضطربة ، الواحد مائد . وشبه كرومر بفرعون ، لما كان يعرف به من الجبروت . (٣) الجدا (بفتح الجيم وتخفيف الدال) : العطاء . (٤) نطرى : نمدح . والأيادى : النعم . وأفضتها : أجريتها . ويشير فى هذا البيت والبيتين اللذين بعده الى مآثر اللورد فى مصر ، من نشر الأمن فى ربوع البلاد ، والأخذ بناصر الضعفاء ، وإنصافهم من ظلم الأقوياء .

(٥) الأسى : الحزن . وانظر التعريف بحادثة دنشواى (فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) .

(٦) رميك ، أى اتّهامك . والغر : الذى لا تجربة له بالأمور لقصر نظره . ومجردا ، أى غير مزود بأسباب النهوض والجد .

لَلْبَنَا أَسَىً يومَ الوَداعِ لأَنَّنا * نَرَى فِيكَ ذاكَ المُصْلِحَ المُتَوَدِّدَا

تَشَعَّبَتِ الآراءُ فِيكَ فقائلٌ * أَفادَ الغِنَى أَهْلَ البِلادِ وأَسْعَدا

(١)
وكانت له فى المُصْلِحِين سِياسَةٌ * تَرَخَّصَ فيها تارَةً وتَشَدَّدا

(٢)
رأَى العِزَّ كلَّ العِزِّ فى بَسْطَةِ الغِنَى * فحَارَبَ جَيْشَ الفَقْرِ حتّى تَبَدَّدا

(٣)
وأَمْتَعَكُمْ بالنِّيلِ فهو مُبَارَكٌ * على أَهْلِه، خِصْبًا وريًّا ومَوْرِدا

(٤)
وسَنَّ لَكُمْ حُرِّيَّةَ القَوْلِ عِنْدَ ما * رَأَى القَوْلَ فى أَسْرِ السُّكُوتِ مُقَيَّدا

(٥)
وآخَرُ لَمْ يَقْصُرْ على المالِ هَمَّه * يَرَى أنّ ذاكَ المالَ لا يَكْفُلُ الهُدَى

(٦)
فلا يَحْمَدِ الإِثْرَاءَ حتّى يَزِينَه * بِعِلْمٍ، وخيرُ العِلْمِ ما كانَ مُرْشِدا

(٧)
يُنَادِيكَ قد أَزْرَيْت بالعِلْمِ والحِجَا * ولَمْ تُبْقِ للتَّعْلِيمِ يا (لُرْدُ) مَعْهَدا

وأَنَّكَ أَخْصَبْتَ البِلادَ تَعَمُّدًا * وأَجْدَبْتَ فى مِصْرَ العُقُولَ تَعَمُّدا

(٨)
قَضَيْتَ على أُمِّ اللُّغاتِ وإنّه * قَضاءٌ علينا أو سَبِيلٌ إلى الرَّدَى

---

(١) ترخص : لان وسهل . (٢) بسطة الغنى : سعته .

(٣) يشير بهذا البيت إلى الإصلاحات المتعلقة بالرى وتحسين النظم فى صرف مياه النيل التى أجريت فى عهد اللورد كرومر . (٤) سنّ : شرع . يشير بهذا البيت إلى حرية الصحافة فى عهد اللورد .

(٥) وآخر : معطوف على قوله السابق : « فقائل » . ويقصر ، أى يحبس . وهمه ، أى همته وعزمه . (٦) الإثراء : كثرة الأموال .

(٧) أزرى به : تهاون به ووضع من شأنه . (٨) يريد « بأم اللغات » : اللغة العربية . ويشير الى ما كان فى عهد اللورد كرومر من جعل دراسة أكثر العلوم فى المدارس باللغة الإنجليزية . والردى : الهلاك .

ووافَيْتَ والقُطْرانِ فى ظِلِّ رايَةٍ * فما زِلْتَ (بالسُّودانِ)[1] حتى تَمَرَّدَا

فطاحَ كما طاحَتْ (مُصَوَّعُ)[2] بَعْدَه * وضاعَتْ مَساعِينَا بأَطْماعِكُمْ سُدَى

حَجَبْتَ ضِياءَ الصُّحْفِ عن ظُلُماتِه * ولَمْ تَسْتَقِلْ حتَّى حَجَبْتَ (المُؤَيِّدا)[3]

وأَوْدَعْتَ تَقْرِيرَ الوَدَاعِ مَغامِزًا * رأَيْنا جَفاءَ الطَّبْعِ فيها مُجَسَّدا[4]

غَمَزْتَ بها دِينَ النَّبِيِّ وإنَّنا * لَنَغْضَبُ إنْ أَغْضَبْتَ فى القَبْرِ (أَحْمَدَا)

يُنادِيكَ أينَ النائِبُون بعَهْدِكُمْ * وأَىُّ بِناءٍ شامِخٍ قد تَجَدَّدا[5]

فما عَهْدُ (إسماعيلَ) والعَيْشُ ضَيِّقٌ * بأَجْدَبَ مِنْ عَهْدٍ لَكُمْ سالَ عَسْجَدا[6]

يُنادِيكَ وَلَّيْتَ الوِزارَةَ هَيْئَةً * مِنَ الصُّمِّ لَمْ تَسْمَعْ لأَصْواتِنا صَدَى[7]

فليسَ بها عندَ التَّشاوُرِ مِنْ فَتًى * أَبِيٍّ إذا ما أَصْدَرَ الأَمْرَ أَوْرَدَا

---

(١) ووافيت ، أى حضرت إلى مصر . والقطران : مصر والسودان . ويريد « بالراية » : الراية المصرية . وتمرد : عصى وخرج عن الطاعة . يشير بهذا البيت إلى رأى السياسة البريطانية الذى أشارت به على مصر من إخلاء السودان فى سنة ١٨٨٤م عند ما ثار المهدى ، حتى استفحل أمره وانتشرت دعوته ، وتألبت معظم القبائل على الحكومة ؛ وقد أعيد فتحه بعد ذلك بالجيشين المصرى والإنجليزى فى سنة ١٨٩٧م . (٢) طاح ، أى ذهب وضاع . ومصوع : ثغر معروف على البحر الأحمر ، وقد كان فى يد مصر ، ثم اضطرت إلى إخلائه أيام الحروب السودانية ، فضمته إيطاليا الى أملاكها بموافقة انجلترا .

(٣) ظلماته ، أى ظلمات السودان ؛ ويريد ظلمات الجهل التى فيه . ويشير الشاعر إلى ما حدث فى عهد اللورد كرومر من منع بعض الصحف المصرية ، ومنها صحيفة المؤيد ، من دخول السودان خوفا من نشر الدعاية ضد الإنجليز . (٤) المغامز : المطاعن . ويشير الشاعر إلى ما ذكره اللورد كرومر فى تقريره عن مصر ، حين تركها ، من طعن على المصريين . (٥) ينادبك ، أى هذا الآخر الذى سبق ذكره فى قوله : « وآخرهم يقصر ... الخ » . (٦) العسجد : الذهب الخالص .

(٧) الصدى : ما يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يحبسه ؛ ولذلك يقال له : رجع الصدى .

بِرَبِّكَ ماذا صَدَّنا ولَوَى بِنا (١) * عن القَصْدِ إنْ كان السَّبِيلُ مُمَهَّدا؟

أَشَرْتَ برأْيٍ فى كِتابِكَ لم يَكُنْ * سَدِيدًا ولٰكنْ كان سَهْمًا مُسَدَّدا (٢)

وحاوَلْتَ إعْطاءَ الغَرِيبِ مَكانَةً * تَجُرُّ علينا الوَيْلَ والذُّلَّ سَرْمَدا (٣)

فياوَيْلَ مِصْرٍ يومَ تَشْقَى بِنَدْوَةٍ * يَبِيتُ بها ذاكَ الغَرِيبُ مُسَوَّدا (٤)

أَلَمْ يَكْفِنا أَنَّا سُلِبْنا ضِياعَنا * على حِينِ لم نَبْلُغْ مِنَ الفِطْنَةِ المَدَى (٥)

وزاحَمَنا فى العَيْشِ كُلُّ مُمارِسٍ * خَبِيرٍ وكُنّا جاهِلِينَ ورُقَّدا (٦)

وما الشَّرِكاتُ السُّودُ فى كلِّ بَلْدَةٍ * سِوَى شَرَكٍ يُلْقِى به مَنْ تَصَيَّدا

فهٰذا حَدِيثُ النّاسِ والناسُ أَلْسُنٌ * إذا قال هذا، صاحَ ذاكَ مفَنِّدا (٧)

ولو كنتُ مِنْ أَهْلِ السِّياسَةِ بَيْنَهُمْ * لَسَجَّلْتُ لى رَأْياً وبُلِّغْتُ مَقْصِدا

ولٰكنّنى فى مَعْرِضِ القَوْلِ شاعِرٌ * أَضافَ إلى التّاريخِ قَوْلًا مُخَلَّدا

فيأَيُّها الشيخُ الجليلُ تحيّةً * ويأيُّها القَصْرُ المُنِيفُ تَجَلُّدا (٨)

لئن غابَ هٰذا اللَّيْثُ عنكَ لِعلَّةٍ * لقد لَبِثَتْ آثارُه فيكَ شُهَّدا

(١) لوى به عن القصد، أى صرفه عنه . يقول : إن صح ما يقال من أنك أحسنت السياسة فى مصر وليت أمورها أكفاءها، فما بالنا نحرف عن القصد ونسير فى غير النهج .

(٢) المسدّد : المصوب نحو الهدف . (٣) السرمد : الدائم . (٤) الندوة : المكان يجتمع فيه القوم للتشاور . ويشير إلى ما كان يراد من إنشاء مجلس للشورى مختلط من المصريين والأجانب . (٥) المدى : الغاية . ويشير بهذا البيت إلى ما استولى عليه الأجانب من أراضينا الزراعية بما نصبوه من أشراك الديون ذوات الفوائد المرهقة . (٦) مارس الأمر : عالجه وزاوله . يشير فى هذا البيت إلى أرباب الاقتصاد الخبيرين باكتساب المال واستثماره من الأجانب، وجهل المصريين بهذا الفن . (٧) مفندا : مكذبا مجهلا . (٨) يريد قصر الدوبارة الذى كان يسكنه العميد .

استقبال السير غورست (١)

قالها فى استقباله عند مجيئه إلى مصر معتمدا للدولة الإنجليزية خلفا للورد كرومر
يبث فيها آلام المصريين وآمالهم

[نشرت فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م]

بَناتِ الشِّعْرِ بالنَّفَحاتِ جُودِى * فهٰذا يومُ شاعِرِكِ المُجِيدِ (٢)
أَطِلِّى وٱسفِرِى ودَعِيه يُحْيِى * بما تُوحِينَ أَيَّامَ الرَّشِيدِ (٣)
إِذا ما جَلَّ قَدْرُكِ عَنْ هُبوطٍ * مُرِيهِ الى سَمائِكِ بالصُّعُودِ
وأَوْلِى ذلِكَ الفانِى بَياناً * يَتِيهُ به على أَهْلِ الخُلُودِ
وحُلِّى عُقْدَةً مِنْ أَصْغَرَيْه * يَلِنْ لِهُتافِه قاسِى الحَدِيدِ (٤)
فما أَنَا واقِفٌ بِرُسُومِ دارٍ * أَسائِلُها ولا كَلِفٌ بِرُودِ (٥)
ولا مُسْتَنْزِلٌ هِبَةً بِمَدْحٍ * ولا مُسْتَنْجِزٌ حُرَّ الوُعُودِ
ولٰكِنِّى وَقَفْتُ أَنُوحُ نَوْحاً * على قَوْمِى وأَهْتِفُ بالنَّشِيدِ
وأَدْفَعُ عنهمُ بِشَبَا يَراعٍ * يَصُولُ بكلِّ قافِيَةٍ شَرُودِ (٦)

---

(١) ولد غورست سنة ١٨٦١ م، وتوفى فى يوليه سنة ١٩١١ م. وكان مستشارا لوزارة المالية من سنة ١٨٩٨ م الى سنة ١٩٠٤ م. وفى سنة ١٩٠٧ م عين عميدا للدولة الإنجليزية مكان اللورد كرومر.

(٢) بنات الشعر: معانيه وخواطره. ويريد «بالشاعر المجيد»: نفسه. (٣) سفرت المرأة تسفر (من باب ضرب): كشفت عن وجهها. ويريد «بالرشيد»: هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف؛ وخصه بالذكر لكثرة من كان فى زمنه من الشعراء المجيدين. (٤) الأصغران: القلب واللسان.

(٥) رسوم الدار: آثارها. والكلف: المولع بالشىء الشديد الحب له. والرؤد (بالهمز وسهلت): الشابة الحسنة. (٦) شبا اليراع: سن القلم. وقافية شرود، أى سائرة ذائعة.

بَثَّتُ الشِّعْرِ إِنَّ هِيَ أَسْعَدَتْنِي * شَكَوْتُ مِنَ الْعَمِيدِ إِلَى الْعَمِيدِ (١)

وَلَمْ أَجْحَدْ عَوَارِفَهُ وَلَكِنْ * رَأَيْتُ الْمَنَّ دَاعِيَةَ الْجُحُودِ (٢)

أَدِيمُوا الرَّجَاءَ فَقَدْ ظَمِئْنَا * بِعَهْدِ الْمُصْلِحِينَ إِلَى الْوُرُودِ (٣)

وَمُنُّوا بِالْوُجُودِ فَقَدْ جَهِلْنَا * بِفَضْلِ وُجُودِكُمْ مَعْنَى الْوُجُودِ

إِذَا أَعْلَوْلَى الصِّيَاحُ فَلَا تَلُمْنَا * فَإِنَّ النَّاسَ فِي جُهْدٍ جَهِيدِ (٤)

عَلَى قَدْرِ الْأَذَى وَالظُّلْمِ يَعْلُو * صِيَاحُ الْمُشْفِقِينَ مِنَ الْمَزِيدِ (٥)

جِرَاحٌ فِي النُّفُوسِ تَفُورُ نَفْرًا * وَكُنَّ قَدِ انْدَمَلْنَ عَلَى صَدِيدِ (٦)

إِذَا مَا هَاجَهُنَّ أَسًى جَدِيدٌ * هَتَكْنَ سَرَائِرَ الْقَلْبِ الْجَلِيدِ (٧)

إِلَى مَنْ تَشْتَكِي عَنَتَ اللَّيَالِي * إِلَى (الْعَبَّاسِ) أَمْ (عَبْدِ الْحَمِيدِ)؟ (٨)

وَدُونَ حِمَاهُمَا قَامَتْ رِجَالٌ * تُرَوِّعُهَا بِأَطْرَافِ الْوَعِيدِ (٩)

---

(١) أسعدتني : أعانتني . وفي كتب اللغة : أن «شكا» يتعدى بنفسه لا بالحرف .

(٢) العوارف : النعم ؛ الواحدة عارفة . وفي البيت تعريض بما كان يمنّ به الوزير كرمز على المصريين من أنه انتهبهم وأصلح من أحوالهم .

(٣) الخطاب في «أديموا» لمخاطبين . وفي قوله : «بعهد المصلحين» تهكم ظاهر .

(٤) اعلولى : علا .

(٥) المشفقون : الخائفون .

(٦) نفر الجرح : سال دمه . واندمل : التأم .

(٧) السرائر : جمع سريرة ، وهي ما يسره الإنسان من أمره . والجليد : الصبور .

(٨) العنت : الأذى والمشقة .

(٩) روّعه : أخافه وأفزعه .

فما جئنا نُطاوِلُكُمْ بِجاهٍ * يُطَوِّلُكُمْ (١) ولا رُكْنٍ شَدِيدِ

ولا بِتْنا نُعاجِزُكُمْ بِعِلْمٍ * يَبِينُ بِهِ الغَوِيُّ (٢) مِن الرَّشِيدِ

ولكنَّا نُطالِبُكُمْ بِحَقٍّ * أَضَرَّ بِأَهْلِهِ نَقْضُ (٣) العُهُودِ

رَمانَا صاحِبُ التَّقْرِيرِ ظُلْمًا * بِكُفْرانِ (٤) العَوارِفِ والكُنُودِ

وأَقْسَمَ لا يُجِيبُ لنا نِداءً * ولو جِئْنا بِقُرآنٍ مَجِيدِ

وبَشَّرَ أَهْلَ مِصْرٍ بِاحْتِلالٍ * يَدُومُ عَلَيْهِمُ أَبَدَ (٥) الأَبِيدِ

وأَنْبَتَ فى النفوسِ لكُمْ جَفاءً * تَعَهَّدَه بِمُنْهَلِّ (٦) الصُّدودِ

فأَثْمَرَ وَحْشَةً بَلَغَتْ مَداها * وزَكَّاها بِأَرْبَعَةٍ (٧) شُهُودِ

قَتِيلُ (٨) الشَّمْسِ أَوْرَثَنا حَياةً * وأَيْقَظَ هاجِعَ القَوْمِ الرُّقُودِ

فلَيْتَ (كُرُومَرًا) قد دامَ فِينا * يُطَوِّقُ بالسلاسِلِ كل جِيدِ

---

(١) طاوله بجاهه : فاخره به . وطاله بطوله : علاه وارتفع عليه . ويريد « بالركن الشديد » : العزة والمنعة . والخطاب فى هذا البيت وما بعده للإنجليز .

(٢) نعاجزكم : نأتى بما يعجزكم . (٣) يريد «بالعهود» : وعود ساسة الإنجليز بالجلاء عن مصر .

(٤) صاحب التقرير، هو اللورد كرومر، وكان قد أتهم المصريين فى أحد تقريراته التى كان يرفعها لدولته بعدم الاعتراف بجميل الدولة البريطانية عليهم . والكنود : الكفر بالنعمة .

(٥) أبد الأبيد، أى أبد الدهر . (٦) المنهل : المطر يشتد انصبابه .

(٧) يريد «بالشهود الأربعة» : من أعدموا فى دنشواى، فهم بما لقوا شهود عدول على ظلم العميد .

(٨) قتيل الشمس : الضابط الإنجليزى الذى مات فى حادث دنشواى بضربة الشمس، وأنهم الأهلون بقتله . والهاجع : النائم . يريد أن ما أصاب الناس من العذاب بسبب هذا القتيل جعلهم يهبون ويستيقظون الى المطالبة بالحرية .

ويُتْحِفُ (مِصْرَ) آنًا بَعْدَ آنٍ * بِمَحْمُودٍ ومَقْتُولٍ شَهِيدِ

لِتَنْزِعَ هٰذه الأَكْفانَ عَنّا * ونُبْعَثَ فى العَوالِمِ مِنْ جَدِيدِ

رَمَى (دارَ المَعارِفِ) بالرَّزايا (١) * وجاءَ بكُلِّ جَبّارٍ عَنِيدِ

يُذِلّ بَحَوْلِهِ ويَقِيهُ تِيهًا (٢) * ويَعْبَثُ بالنُّهَى عَبَثَ الوَلِيدِ

فَبَدَّدَ شَمْلَها وأَدالَ منها (٣) * وصاحَ بها : سَبِيلُكِ أنْ تَبِيدِى

هَبُوا (دَنْلُوبَ) أَرْحَبَكُمْ جَنانًا (٤) * وأَقْدَرَكُمْ على نَزْعِ الحُقُودِ

وأَعْلَى مِنْ (غِلادَسْتُونَ) رَأْيًا (٥) * وأَحْكَمَ مِنْ فَلاسِفَةِ (الهُنُودِ)

فإنّا لا نُطِيقُ له جِوارًا * وقد أَوْدَى بنا أو كادَ يُودِى

مَلِلْنا طُولَ صُحْبَتِهِ ومَلَّتْ (٦) * سَوابِقُنا مِنَ المَشْيِ الوَئِيدِ

بِحَمْدِ اللهِ مُلْكُكُمُ كَبِيرٌ * وأَنتمْ أهلُ مَرْحَمَةٍ وَجُودِ

خُذُوه فَأَمْتِعُوا شَعْبًا سِوانا * بِهٰذا الفَضْلِ والعِلْمِ المُفِيدِ

---

(١) كل جبار عنيد : يريد مستشار المعارف إذ ذاك ، وهو المستر دانلوب وأعوانه .

(٢) الحول : القوّة .

(٣) أدال منها : أذلها وأذهب عزها ودولتها . وتبيد : تهلك .

(٤) الجنان : القلب .

(٥) غلادستون ، هو وليم غلادستون . ولد بليفربول فى التاسع والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٨٠٩ م ، وكان من ساسة الانجليز المشهورين ، وتولى وزارة المالية مرتين ، ثم كان رئيسا لمجلس النواب ، ثم رأس الوزارة الانجليزية أربع مرات . وتوفى فى ١٩ مايو سنة ١٨٩٨ م .

(٦) السوابق : الخيل التى تجىء سابقة فى الحلبة ؛ ويريد بهم أعلام الأمة ونوابغها . والوئيد من المشى : البطىء منه .

إذا (١) ٱسْتَوْزَرْتَ فاسْتَوْزِرْ عَلَيْنا * فَتًى (كالفَضْلِ) او (كابْنِ ٱلعَمِيدِ)

ولا تُثْقِلْ مَطاهُ بِمُسْتَشارٍ (٢) * يَحِيدُ به عن القَصْدِ الحَمِيدِ

وفي الشُّورَى بِنا داءٌ عَهِيدٌ (٣) * قد ٱسْتَعْصَى على الطِّبِّ العَهِيدِ

شُيُوخٌ كلَّما هَمَّتْ بأَمْرٍ * زَأَرْتُمْ دُونَه زَأْرَ الأُسُودِ

لِحًى (٤) بَيْضاءُ يومَ الرَّأْيِ هاتَتْ * على خُمْرِ المَلابِسِ والخُدُودِ

أَتَرْضَى أَنْ يُقالَ (٥) وأَنْتَ حُرٌّ * بأَنَّكَ قَيْنُ هاتِيكَ القُيُودِ؟

وهَلْ في دارِ نَدْوَتِكُمْ (٦) أُناسٌ * يُهِذا المَوتِ أو هٰذا الجُمُودِ؟

فَتَحَّ غَضاضَةَ النّامِيزِ عَنّا * كَفانا سائِغُ النَّيْلِ السَّعِيدِ

أَرَى أَحداثَكُمْ مَلَكُوا علينا (٧) * (بِمِصْرَ) مَوارِدَ العَيْشِ الرَّغِيدِ

---

(١) الفضل : هو أبو العباس الفضل بن سهل أخو الحسن بن سهل ، أسلم على يد المأمون فى سنة ١٩٠ هـ ، وكان وزيرا للرشيد ؛ وكان يلقب بذى الرياستين لأنه كان رب القلم والسيف . ومات مقتولا يوم الخميس ثانى شعبان سنة ٢٠٢ هـ . وابن العميد ، هو الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد الفارسى الأصل ، وزير ركن الدولة أبى على بن بويه ، والد عضد الدولة المشهور فى سنة ٣٢٨ هـ ، فساس دولته ووطد أركانها ، ومازال فى وزارته محط رحال الشعراء والأدباء والعلماء حتى توفى سنة ٣٦٠ هـ . وخص الفضل وابن العميد لتشجيعهما العلم والأدب . (٢) المطا : الظهر . يرغب إلى العميد البريطانى أن يجعل على وزارة المعارف أمثال الفضل وابن العميد ، على ألا يثقل أيديهم بمستشار (كدنلوب) .

(٣) العهيد : القديم الذى أتى عليه عهد طويل . يقول إن مجلس الشورى فى مصر عيوبا قديمة استعصى شفاؤها من قديم على المصلحين . (٤) يريد «بالحى البيضاء» : أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية . و «بحمر الملابس والخدود» : الانجليز . وكان مما تتميز به جنودهم إذ ذاك الأكسية الحمراء .

(٥) القين : الحداد . (٦) دار ندوتكم ، يريد بها مجلس العموم البريطانى . ويشير بهذا البيت والأبيات الأربعة التى قبله إلى ضعف رأى مجلس الشورى والجمعية العمومية ، لأن الحكومة كانت حرة فى قبول رأيهما أو ردّه . (٧) الرغيد : الواسع الطيب .

وقد ضِقْنَا بِهِمْ وأَبِيكَ ذَرْعًا * وضاقَ بِحَمْلِهِمْ ذَرْعُ البَرِيدِ

أَكُلُّ مُوَظَّفٍ منكمْ قَدِيرٌ * على التَّشْرِيعِ فى ظِلِّ العَمِيدِ؟

فضَعْ حَدًّا لهمْ وٱنْظُرْ إلينا * إذا أَنْصَفْتَنا نَظَرَ الوَدُودِ

وخَبِّرْهُمْ وأنتَ بِنا خَبِيرٌ * بأنّ الذُّلَّ شِنْشِنَةُ العَبِيدِ (١)

وأنّ نُفُوسَ هٰذا الخَلْقِ تَأْبَى * لغَيْرِ إلٰهِها ذُلَّ السُّجُودِ

ووَلِّ أُمُورَنا الأَخْيارَ مِنَّا * نَثِبْ بِهِمُ الى الشَّأْوِ البَعِيدِ (٢)

وأَشْرِكْنا مع الأَخْيارِ مِنْكُمْ * اذا جَلَسُوا لإيقامِ ٱلحُدُودِ (٣)

وأَسْعِدْنا بجامِعَةٍ وشَيِّدْ * لنا مِنْ مَجْدِ دَوْلَتِكَ المَشِيدِ

وإنْ أَنْعَمْتَ بالإصْلاحِ فابدَأْ * بِتِلْكَ فإنّها بَيْتُ القَصِيدِ (٤)

وفَرِّجْ أَزْمَةَ الأَمْوالِ عَنّا * بما أُوتِيتَ مِنْ رَأْيٍ سَدِيدِ

وسَلْ عنها (اليَهُودَ) ولا تَسَلْنا * فقد ضاقَتْ بها حِيَلُ (اليَهُودِ)

إذا ما ناحَ فى (أُسْوانَ) باكٍ * سَمِعْتَ أَنِينَ شاكٍ فى (رَشِيدِ)

جميعُ النّاسِ فى البَلْوَى سَواءٌ * بأَدْنَى الثَّغْرِ أو أَعْلَى الصَّعِيدِ

تَدارَكْ أُمَّةً بالشَّرْقِ أَمْسَتْ * على الأَيّامِ عاثِرَةَ ٱلجُدُودِ (٥)

---

(١) الشنشنة : العادة والطبيعة . (٢) الشأو : الغاية . (٣) يلاحظ أنه لم يرد فى كتب اللغة « إيقام » بياء بعد الهمزة كما فى هذا البيت . والذى ورد « إقام » بدون ياء مصدر أقام . (٤) بتلك ، أى بالجامعة المصرية ، ولم تكن قد أنشئت إذ ذاك .

(٥) عاثرة الجدود : أى تاعسة الحظوظ .

وَأَيِّدْ مِصْرَ والسُّودانَ وَٱغْنَمْ * ثَنَاءَ القَوْمِ مِنْ بِيضٍ وسُودِ

وما أَدْرِى وقد زَوَّدْتُ شِعْرِى * وَظَنِّى فيكَ بالأَمَلِ الوَطِيدِ (١)

أَجِئْتَ تَحُوطُنا وتَرُدُّ عَنّا * وتَرْفَعُنا إلى أَوْجِ السُّعُودِ؟ (٢)

أَمِ اللَّوْذُ الّذى أَنْحَى عَلَيْنا * أَتَى فى ثَوْبِ مُعْتَمِدٍ جَدِيدِ؟ (٣)

تحيّة العام الهجرىّ

[سنة ١٣٢٧ هـ — يناير سنة ١٩٠٩ م]

أَطَلَّ على الأَكْوانِ والخَلْقُ تَنْظُرُ * هِلالٌ رآهُ المُسْلِمُونَ فكَبَّرُوا

تَجَلَّى لهُمْ فى صُورةٍ زَادَ حُسْنُها * على الدهرِ حُسْناً أنّها تَتَكَرَّرُ (٤)

وبَشَّرَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ وجَبِينِهِ * وغُرَّتِهِ والناظِرِينَ مُبَشِّرُ

وأَذْكَرَهُمْ يوماً أَغَرَّ مُحَجَّلاً * به تُوِّجَ التاريخُ والسَّعْدُ مُسْفِرُ (٥)

وهاجَرَ فيهِ خيرُ داعٍ إلى الهُدَى * يَحُفُّ به مِنْ قُوَّةِ اللهِ عَسْكَرُ

يُماشِيهِ جِبْرِيلٌ وتَسْعَى وَراءَهُ * مَلائِكَةٌ تَرْعَى خُطاهُ وتَحْفِرُ (٦)

---

(١) الوطيد : الثابت القوى . و« بالأمل » متعلق بـ« زودت » . (٢) حاطه يحوطه : حفظه وتعهده . (٣) أنحى علينا ، أى أقبل علينا بالشدة والقسوة والعنف .

(٤) تجلى : ظهر وتكشف . (٥) يقال : يوم أغر محجل ، إذا كان مشهورا . وأصل هاتين الصفتين من النعوت المحمودة فى الخيل ؛ الأغر منها : ما كان فى جبهته بياض . والمحجل : ما كان البياض فى قوائمه . والمسفر : المضىء المشرق . ويريد بهذا اليوم : يوم هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة . (٦) يماشيه : يمشى معه . وتحفر : تحرس .

بِيُسْراهُ بُرْهانٌ مِن اللهِ ساطِعٌ * هُدًى، وبِيُمْناه الكِتابُ المُطَهَّرُ

فكانَ على أَبْوابِ (مَكَّةَ) رَكْبُه * وفى (يَثْرِبٍ)(١) أنوارُه تَتَفَجَّرُ

مَضَى العامُ مَيْمُونَ الشُّهور مُبارَكًا * تُعَدِّدُ آثارٌ له وتُسَطَّرُ

مَضَى غَيْرَ مَذْمومٍ فإنْ يَذْكُروا له * هَناتٍ فطَبْعُ الدَّهْرِ يَصْفُو ويَكْدُرُ(٢)

وإنْ قِيلَ أَوْدَى بالأُلُوفِ أُجابَهُمْ(٣) * مُجِيبٌ: لقد أَحْيَا المَلايِينَ فانْظُرُوا

إذا قِيسَ إِحْسانُ امرِئٍ بإساءَةٍ(٤) * فأَرْبَى عليْها فالإساءَةُ تُغْفَرُ

ففِيه أَفاقَ النائمُون وقد أَتَتْ(٥) * عليهِمْ كأَهْلِ الكَهْفِ فى النَّومِ أَعْصُرُ

وفى عالَمِ الإسْلامِ فى كلِّ بُقْعَةٍ * له أَثَرٌ باقٍ وذِكْرٌ مُعَطَّرُ

سَلُوا (التُّرْكَ) عمّا أَدْرَكُوا فِيه مِنْ مُنًى * وما بَدَّلُوا فى المَشْرِقَيْنِ وغَيَّرُوا

وإنْ لَمْ يَقُمْ إلّا (نِيازِى) و(أَنْوَرٌ)(٦) * فقَدْ مَلأَ الدُّنْيا (نِيازِى) و(أَنْوَرُ)

تَواصَوْا بصَبْرٍ ثمّ سَلُّوا مِنَ الحِجَا(٧) * سُيُوفًا وجَدُّوا جِدَّهُمْ وتَدَبَّرُوا

---

(١) يثرب : الاسم القديم لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشبه انبثاق الأنوار بتفجر الماء .

(٢) الهنات : الهفوات اليسيرة التى تحتمل أمثالها (٣) أودى بهم : أهلكهم .

(٤) أربى : زاد . (٥) يشير بقوله « أفاق النائمون » : إلى بعض الشعوب التى هبت فى العام المتحدث عنه تطالب بحريتها ودستورها بعد أن سكنت على الذل والاستعباد مدة طويلة ، ومن هذه الشعوب : الشعب التركى والفارسى والمصرى ، كما سيشير الشاعر إلى ذلك بعد . فشبه سكوتهم فيامضى بنوم أهل الكهف . (٦) نيازى وأنور : بطلان معروفان من أبطال جمعية الاتحاد التركية ، وقد أبليا بلاء حسنا فى إعادة الدستور الى أمتهما .

(٧) تواصوا ، أى الترك . والتواصى : أن يوصى القوم بعضهم بعضا . والحجا : العقل . وجدّوا جدّهم ، أى اجتهدوا وثابروا .

فسادُوا وشادُوا للهلالِ منازلاً * على هامها سَعْدُ الكواكبِ يُنْثَرُ (١)

تَجلَّى بها (عَبْدُ الحميدِ) بوَجْهِه * على شَعْبِه والشاهُ خَزْيانُ يَنْظُرُ (٢)

سَلامٌ على (عَبْدِ الحميدِ) وجَيْشِه * وأُمّتِه ما قامَ فى الشَّرْقِ مِنْبَرُ

سَلُوا (الفُرْسَ) عَنْ ذِكْرَى أَيادِيهِ عِنْدَهُمْ * فقد كانَ فيه (الفُرْسُ) عُمْيًا فأَبْصَرُوا (٣)

جَلا لَهُمُ وَجْهَ الحياةِ فشاقَهُمْ * فباتُوا على أَبْوابِها وتَجَهْرُوا (٤)

يُنادُونَ أَنْ مُنِّى علينا بنَظْرَةٍ * وأَحْيِى قُلوبا أَوْشَكَتْ تَتَفَطَّرُ (٥)

كِلانَا مَشُوقٌ والسَّبِيلُ مُمَهَّدٌ * إلى الوَصْلِ لولا ذلكَ المُتَغَشْمِرُ (٦)

أَطِلِّى علينا لا تَخافِى فإنَّنا * بِسِرِّكِ أَوْفَى منه حَوْلًا وأَقْدَرُ (٧)

سَلامٌ عليكمْ أُمَّةَ (الفُرْسِ) إنكمْ * خَلِيقُونَ أَنْ تَحْيَوْا كِرامًا وتَفْخَرُوا (٨)

ولا أُقْرِئُ (الشاهَ) السَّلامَ فإنّه * يُرِيقُ دِماءَ المُصْلِحِينَ ويَهْدِرُ (٩)

وفيه هَوَى (عبدُ العَزِيزِ) وعَرْشُه * وأَخْنَى عليه الدَّهْرُ والأَمْرُ مُدْبِرُ (١٠)

---

(١) الهام : الرءوس ، الواحدة هامة . (٢) الشاه : ملك العجم . ووصفه بالخزى لأنه لم يعط أمته الدستور أسوة بالترك . (٣) أياديه ، أى أيادى العام ونعمه عليهم . (٤) استعمال « التجمهر » بمعنى التجمع ، كما فى هذا البيت استعمال شائع فى كلام عصرنا ، ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة التى بين أيدينا والصواب : « وتجمروا » بإسقاط الهاء وتشديد الميم ، أى جمعوا . (٥) منى ، خطاب للحياة . وتتفطر : تتشقق . (٦) المتغشمر : المتنمر الظالم ، يريد شاه العجم . (٧) الحول : القوة . يقول : إننا بسبب إدراكنا سر الحياة حين نلناها أقوى وأقدر من ذلك الظالم الجبار الذى يحول بيننا وبينها . (٨) خليقون : جديرون . (٩) يشير بهذا البيت إلى ما كان يصبه الشاه على زعماء النهضة وطلاب الحرية فى فارس من أنواع العذاب والقتل . (١٠) وفيه ، أى فى هذا العام المنصرم (سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م) . وهوى : سقط . وعبد العزيز ، هو سلطان مراكش . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . وأخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه .

ولا عَجَبٌ أَنْ ثُلَّ عَرْشُ مُمَلَّكٍ * قَوائِمُـه عُـودٌ ودُفٌّ ومِزْهَـرُ (١)

فأَلْقَى إلى (عبـدِ الحَفيظ) بتـاجه * ومَـرَّ على أَدْراجِـه يَتَعَـثَّرُ (٢)

وقامَ بِأَمْـرِ المُسْلِمِينَ مُـوَفَّقٌ * على عَهْدِهِ (مُرّاكِشُ) تَتَحَضَّرُ

وفى دَوْلَةِ (الأَفْغانِ) كانتْ شُهورُه * وأَيّامُـه بالسَّـعْدِ واليُمْنِ تَزْهَرُ (٣)

أَقامَ بِها والعُـودُ رَيّانُ أَخْضَـرٌ * وفارَقَها والعُـودُ فَيْنانُ مُثْمِـرُ (٤)

وعَـوَّذَها باللهِ مِنْ شَـرِّ طامِـعٍ * إذا ما رَمَى (إدْوَرْدُ) أَوْ راشَ (قَيْصَرُ) (٥)

وفيه نَمَتْ فى (الهِنْدِ) للعِـلْمِ نَهْضَـةٌ * أَرَى تَحْتَها سِـرًّا خَفِيًّـا سَـيَظْهَرُ (٦)

فَتَجْرِى الى العَلْياءِ والمَجْـدِ شَـوْطَها * ويُحْصِبُ فيهـا كُلُّ جَـدْبٍ ويَنْضُرُ (٧)

وفيـه بَدَتْ فى أُفْـقِ (جاوَةَ) لَمْعَـةٌ * أَضاءَتْ لأَهْلِيهـا السَّبِيلَ فَبَكَّرُوا (٨)

فيالَيْتَـهُ أَوْلى (الجَـزائِرَ) مِنَّـةً * تُفَـكُّ لهـا تِلْكَ القُيُـودُ وتُكْسَرُ (٩)

---

(١) ثل : هدم . ويشير بهذا البيت إلى طلب عبـد العزيز لجماعة من المغنين والمغنيات من مصر . (انظر الكلام على هذا فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . (٢) تولى عبد الحفيظ سلطنة مراكش بعد خلع أخيه عبد العزيز سـنة ١٩٠٨ م . وفى عهده جعلت فرنسا مدينة فاس عاصمة البلاد فى ٢١ مايو سنة ١٩١١ م . وقد تنازل عبد الحفيظ لأخيه مولاى يوسف عن السلطنة فى سنة ١٩١٢ م .

(٣) تزهر : تشرق وتضيء . (٤) الفينان من النبات : الحسن الطويل . ويريد خصب البلاد وكثرة الخير فيها . (٥) عوّذها : حصنها وحفظها . وإدوارد ، هو إدوارد السابع ملك الإنجليز . وراش السهم يريشه : ألصق عليـه الريش ، وذلك ليكون أسرع فى ذهابه نحو الغرض . وقيصر : لقب ملك روسيا . وإنما خص إدوارد وقيصر لمجاورة الهنـد وروسيا لبلاد الأفغان . والمعنى أن هذا العام حفظ بلاد الأفغان من طمع جيرانها الأقوياء . (٦) نمت : زادت . (٧) ينضر ، من النضرة ، وهى الحسن والبهجة . (٨) لمعة ، أى لمعة من شعاع الأمل . وبكر فلان الى الأمر : أتاه فى أول وقته وبادر إليه . (٩) يريد « بالقيود » فى هذا البيت : قيود الاستعباد والأسر التى قيدت بها فرنسا هذا الإقليم من المغرب .

وفى (تُونُس) الْخَضْرَاءِ يالَيْتَه بَنَى * له أَثَرًا فى لَوْحَةِ الدَّهْرِ يُذْكَرُ

وفيه سَرَتْ فى (مِصْرَ) رُوحٌ جَدِيدَةٌ * مُبارَكَةٌ مِنْ غَيْرَةٍ تَتَسَعَّرُ

خَبَتْ زَمَنًا حتّى تَوَهَّمْتُ أَنَّها * تَجافَتْ عن الإِيراءِ لولا (كُرُومَرُ)(١)

تَصَدَّى فأَوْراها وهَيْهات أَنْ يَرَى * سَبِيلًا إلى إِخْمادِها وهى تَزْفِرُ(٢)

مَضَى زَمَنُ التَّنْوِيمِ يانِيلُ وانْقَضَى * ففى (مِصْرَ) أَيْقاظٌ على (مِصْرَ) تَسْهَرُ

وقد كان "مُرْفِينُ" الدَّهاءِ مُخَدِّرًا * فأَصْبَحَ فى أَعْصابنا يَتَخَدَّرُ(٣)

شَعَرْنا بحاجاتِ الحَياةِ فإِنْ وَنَتْ * عَزائِمُنا عَنْ نَيْلِها كيفَ نُعْذَرُ؟

شَعَرْنا وأَحْسَسْنا وباتَتْ نُفُوسُنا * من العَيْشِ إِلَّا فى ذَرَا العِزِّ تَسْخَرُ(٤)

إذا اللهُ أَحْيَا أُمَّةً لَنْ يَرُدَّها * إلى المَوْتِ قَهّارٌ ولا مُتَجَبِّرُ

رِجالَ الغَدِ المَأْمولِ إِنّا بحاجَةٍ * إلى قادَةٍ تَبْنِى وشَعْبٍ يُعَمِّرُ

رِجالَ الغَدِ المَأْمولِ إِنّا بحاجَةٍ * إلى عالِمٍ يَدْعُو وداعٍ يُذَكِّرُ

رِجالَ الغَدِ المَأْمولِ إِنّا بحاجَةٍ * إلى عالِمٍ يَدْرِى وعِلْمٍ يُقَرَّرُ

رِجالَ الغَدِ المَأْمولِ إِنّا بحاجَةٍ * إلى حِكْمَةٍ تُمْلَى وكَفٍّ تُحَرِّرُ

---

(١) خبت : سكنت وخمدت . وتجافت : تباعدت . و إيراء النار : إشعالها .

(٢) تصدّى : تعرّض . وتزفر ، أى يسمع صوت توقدها . يقول : إن اللورد كرومر عميد الدولة الإنجليزية تصدّى لنار الوطنية فى قلوب المصريين فأشعلها بعد خمودها بما صبه عليهم من المظالم والمحن .

(٣) المرفين : مخدر معروف ؛ والمراد به هنا خداع السياسة . (٤) ذرا العز (بفتح الدال) : كنفه وظله .

رِجالَ الغَـدِ المَأْمُولِ إنّا بحاجَـةٍ * إليكُمْ فسُدُّوا النَّقْصَ فينا وشَمِّرُوا (١)

رِجالَ الغَدِ المأمولِ لا تَتْرُكُوا غَدًا * يَمُرُّ مُرُورَ الأَمْسِ والعَيْشُ أَغْبَرُ

رِجالَ الغَـدِ المَأْمُولِ إنّ بِلادَكُمْ * تُنَاشِـدُكُمْ باللهِ أنْ تَتَذَكَّرُوا

عليكُمْ حُقـوقٌ للبِـلادِ أَجَلُّهـا * تَعَهُّدُ رَوضِ العِلْمِ فالرَّوْضُ مُقْفِرُ

قُصارَى مُنَى أَوطانِكُمْ أَنْ تَرَى لَكُمْ * يَدًا تَبْتَنِي مَجْـدًا ورَأْسًا يُفَكِّرُ (٢)

فكُونُوا رِجالًا عامِلِينَ أَعِزَّةً * وصُـونُوا حِمَى أَوْطانِكُمْ وتَحَـرَّرُوا

ويا طالِبِي الدُّسْتُورِ لا تَسْكُنُوا ولَا * تَبِيتُـوا على يَأْسٍ ولا تَتَضَجَّرُوا

أَعِـدُّوا لَه صَـدْرَ المَكانِ فإنّنِي * أَرَاهُ عـلى أَبْـوابِكُمْ يَتَخَطَّـرُ

فـلَا تَتْطِفُـوا إلّا صَـوابًا فإنّنِي * أَخافُ عليكُمْ أنْ يُقالَ تَهَوَّرُوا (٣)

فما ضاعَ حَقٌّ لم يَنَمْ عنـه أَهْـلُه * ولا نالَهُ فى العـالَمِينَ مُقَصِّـرُ

لقـد ظَفِـرَ الأَتْرَاكُ عَدْلًا بِسُـؤْلِهِمْ * ونَحْنُ على الآثارِ لا شَكَّ نَظْفَرُ

هُمُ لهـمُ العـامُ القَـدِيمُ مُقَـدَّرٌ * ونَحْنُ لنـا العـامُ الجَـدِيدُ مُقَـدَّرُ

بُقُـوا بالأَمِـيرِ القـائِمِ اليـومَ إنّه * بِكُمْ وبِمـا تَرْجُونَ أَدْرَى وأَخْبَرُ (٤)

فلا زَالَ مَحْرُوسَ الأَرِيكَةِ جانِسًا * على عَـرْشِ (وادِى النِّيلِ) يَنْهَى ويَأْمُرُ

---

(١) شمر للأمر : استعد له .

(٢) قصارى منى أوطانكم ، أى غاية مناها ؛ يقال : قصارك أن تفعل كذا ، أى جهدك وغايتك وآخر أمرك .

(٣) تهوروا : وقعوا فى المكروه بقلة مبالاة ؛ والمراد هنا التكلم فى شئون السياسة بما تؤاخذهم به القوانين .

(٤) الأمير ، هو عباس حلمى الثانى خديوى مصر السابق .

الانقلاب العثمانى

قالها فى ثورة الأتراك التى انتهت بخلع السلطان عبد الحميد[1] وتولية السلطان محمد الخامس

[نشرت فى ١٢ مايو سنة ١٩٠٩ م]

لا رَعَى اللهُ عَهْدَها مِنْ جُدُودِ * كَيْفَ أَمْسَيْتَ يَابْنَ (عَبْدِ الحَمِيدِ)[2]

مُشْبِعَ الْحُوتِ مِنْ لُحُومِ البَرَايَا * وَمُجِيعَ الجُنُودِ تَحْتَ البُنُودِ[3]

كنتُ أَبْكِى بالأَمْسِ مِنْكَ فمالِى * بِتُّ أبكِى عليكَ (عبدَ الحميدِ)؟

فَرِحَ المُسْلِمُونَ قبلَ النَّصارَى * فيكَ قبلَ الدُّرُوزِ قبلَ اليَهودِ

شَمِتُوا كُلُّهُمْ وليس مِنَ الهِمَّةِ أَنْ يَشْمَتَ الوَرَى فى طَرِيدِ

أنتَ (عبدُ الحميدِ) والتاجُ مَعْقُو * دٌ و(عبدُ الحميدِ) رَهْنَ القُيُودِ

خالِدٌ انتَ رَغْمَ أَنْفِ اللَّيالِى * فى كِبارِ الرجالِ أَهْلِ الخُلُودِ

لكَ فى الدَّهْرِ — والكمالُ مُحالٌ — * صَفَحاتٌ ما بينَ بِيضٍ وسُودِ

حاوَلُوا طَمْسَ ما صَنَعْتَ ووَدُّوا * لو يُطِيقُونَ طَمْسَ خَطِّ الحَدِيدِ[4]

---

(١) ولد السلطان عبد الحميد فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٢ م، وولى الملك فى أغسطس سنة ١٨٧٦ م، وخلع فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ م، وتوفى فى ١٠ فبراير سنة ١٩١٨ م. (٢) الجدود : الحظوظ؛ الواحد جدّ (بفتح الجيم وتشديد الدال). (٣) يشير بقوله « مشبع الحوت » : الى من كان يأمر السلطان عبد الحميد بإغراقهم فى مضيق البسفور. والبنود : الأعلام الكبيرة؛ الواحد بند، وهو فارسى معرب. ويشير بقوله « ومجيع الجنود » : الى ما كان يقاسيه الجيش التركى من شظف العيش وضيق ذات اليد. (٤) يريد الخط الحديدى الحجازى بين دمشق والمدينة الذى أنشأه السلطان عبد الحميد، وبدئ العمل فيه سنة ١٩٠٠ م، وأحتفل بافتتاحه فى سنة ١٩٠٨ م.

ذاكَ (عَبْـدَ الحميـد) ذُخْرُكَ عنـد اللهِ باقٍ إنْ ضـاعَ عِنْـدَ العَبيـدِ

أَكْرِمُـوهُ وراقِبُـوا اللهَ فى الشَّـيْـ * ـيخِ ولا تُرْهِقُـوهُ بالتَّهْـديدِ (١)

لا تَخـافُوا أَذاهُ فالشَّـيْخُ هـاوٍ * ليسَ فيـه بَقِيَّـةٌ للصـعودِ

وَلِيَ الأَمْرَ ثُلْثَ قَـرْنٍ يُنـادِى * بآسمِـه كُلُّ مُسْلِمٍ فى الوُجـودِ

كلَّمـا قامَتِ الصَّـلاةُ دَعَى الدّا * عِى (لعَبْـدِ الحَمِـيدِ) بالتَّأْبِيـدِ (٢)

فاسمُ هٰـذا الأَسِـيرِ قـد كان مَقْرُو * نًا بذِكْـرِ الرَّسُـولِ والتَّوْحِيـدِ

بِتُّ أَخْشَى عليـكُمُ أَنْ يَقُـولُوا * إنْ أَثَرْتُمْ مِنْ كامِنـاتِ الحُقـودِ (٣)

كانَ (عَبْـدُ الحَمِـيدِ) بالأَمْسِ فَرْدًا * فغَـدَا اليـومَ أَلْفُ (عبدِ الحَمِـيدِ) (٤)

يا أَسِـيرًا فى (سَنْتِ هِيلِينَ) رَحِّبْ * بأَسِـيرٍ فى (سالُنِيـكَ) جَـدِيدِ (٥)

قُلْ لَهُ كَيْفَ زالَ مُلْكُكَ لَمْ يَعْـ * ـصِـمْكَ إعْـدادُ عُـدَّةٍ أَوْ عَـدِيدِ (٦)

لَمْ تَصُـنْكَ الجُنُـودُ تَفْـدِيكَ بالأَرْ * واحِ والمـالِ يا غَرامَ الجُنُـودِ

قُلْ له كيفَ كُنْتَ؟ كيف امتَلَكْتَ الـ * ـأَرضَ؟ كيفَ انْفَرَدْتَ بالتَّمْجِيدِ؟

---

(١) أرهقه : أثقل عليه وظلمه . (٢) يريد «بالصلاة» : صلاة الجمعة . ويريد «بالداعى» : الخطيب . (٣) أثاره إثارة : هيجه . وكامنات الحقود : ما خفى منها . (٤) يقول لمن ولى الأمر من رجال تركيا : إن أثرتم دفائن الصدور ، وأسأتم التصرف فى الأمور ، تضاعف الظلم ، فبدل أن كان يستبد بالأمر ويظلم الرعية فرد واحد هو عبد الحميد ، يصبح مستبدا بأمركم ألف عبد الحميد .

(٥) يريد «بالأسير فى سنت هيلين» : نابليون بونابرت امبراطور فرنسا وقائدها المعروف ، وقد أسر فى جزيرة سانت هيلانة ، وظل بها أسيرا حتى مات ، ونقلت رفاته بعد مدة إلى فرنسا . وسالونيك : مدينة معروفة بمقدونيا ، وكانت من أملاك الدولة العثمانية ، وهى الآن من أملاك اليونان ، وقد اعتقل فيها السلطان عبد الحميد بعد خلعه . (٦) لم يعصمك : لم يحفظك . والعدة : السلاح . والعديد : الكثرة .

فثلثت العروش عرشا فعرشا * وصبغت الصعيد بعد الصعيد (١)

كلما نلت غاية لم تنلها * همة الدهر قلت : هل من مزيد؟

ضاقت الأرض عن مداك فأرسلـ * ـت بطرف إلى السماء عتيد (٢)

قل له : جل من له الملك لا مل * ـك لغير المهيمن المعبود

أنت مهما شقيت أرفه حالا * من أسير الجزيرة المكمود (٣)

وأسير الأقفاص قد كان أشقى * لو سألت الأسفار عن (بايزيد) (٤)

كان (عبد الحميد) فى القصر أشقى * منه فى الأسر والبلاء الشديد

كان لا يعرف القرار بليل * لا ولا يستلذ طعم الهجود (٥)

حذراً يرهب الظلام ويخشى * خطرة الريح أو بكاء الوليد

نفق تحت طابق الأرض أخفى * فى تدجيه من ضمير الكنود (٦)

---

(١) ثلثت العروش ، أى هدمت ملكها . والصعيد : التراب . يريد أنه صبغه بدماء أعدائه .

(٢) المدى : الغاية . والعتيد : المعدّ المهيأ . (٣) أرفه حالا : أحسنها . وأسير الجزيرة : نابليون بونابرت . والجزيرة : سانت هيلانة السابق ذكرها . والمكمود : المحزون . (٤) الأسفار : الكتب ؛ الواحد : سفر (بكسر فسكون) . وبايزيد ، هو بايزيد الأول ابن السلطان مراد الأول ، وهو السلطان الرابع من سلاطين آل عثمان ، ولد عام ٧٦١ هـ . وجلس على كرسى الملك بعد وفاة أبيه عام ٧٩١ هـ . وتوفى فى سنة ٨٠٥ هـ . ويشير الشاعر بهذا البيت الى وقوع بايزيد فى أسر تيمورلنك ملك التتار فى موقعة أنقرة سنة ٨٠٥هـ ؛ وسجنه إياه فى قفص حتى مات كمدا بعد سجنه بثمانية أشهر .

(٥) الهجود : النوم . (٦) النفق (بالتحريك) : سرب فى الأرض له مخرج إلى مكان . ويشير إلى المواضع الخفية التى كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد حذرا من أعدائه . وتدجيه : إظلامه . والكنود : الكفور . شبه ظلام المساوب التى كان يختبئ فيها عبد الحميد بظلام قلب الكفور لعدم نفوذ ضوء الحق اليه .

يُعْجِزُ الوَهْمَ عن تَلَمُّس ذاكَ الـ * ـبابِ بابِ الخَلِيفةِ المَنْكُودِ (١)

أَصَحِيحٌ ما قيلَ عَنْكَ وحَقٌّ * ما سَمِعْنا مِن الرُّواةِ الشُّهُودِ

أَنَّ (عبدَ الحَمِيدِ) قد هَدَمَ الشَّرْ * ـعَ وأَرْبَى على فِعالِ (الوَلِيدِ)؟ (٢)

إنْ بَرِيئًا وإنْ أَثِيمًا سَتُجْزَى * يومَ تُجْزَى أَمامَ رَبٍّ شَهِيدِ

أَصَحِيحٌ بَكَيْتَ لمّا أَتَى الوَفْـ * ـدُ ونابَتْكَ رِعْشَةُ الرِّعديدِ؟ (٣)

ونَسِيتَ الآباءَ والمَجْدَ والسُّؤْ * ـدَدَ والعِزَّ يا كَرِيمَ الجُدُودِ؟ (٤)

ما عَهِدْنا المُلُوكَ تَبْكِي ولَكِنْ * عَلَّها نَزْوَةُ الفُؤادِ الجَلِيدِ (٥)

عَلَّها دَمْعَةُ الوَداعِ لِذاكَ الـ * ـمُلْكِ أَوْ ذِكْرَةٌ لِتِلْكَ العُهُودِ

غَسَلَ الدَّمْعُ عنكَ حَوْبَةَ ماضِيـ * ـكَ ووَقّاكَ شَرَّ يَوْمِ الوَعِيدِ (٦)

شَفَعَ الدَّمْعُ فِيكَ عِنْدَ البَرايا * لَيْسَ ذاكَ الشَّفِيعُ بالمَرْدُودِ

دَمْعُكَ اليومَ مِثْلُ أَمْرِكَ بالأَمْـ * ـسِ مُطاعٌ فى سَيِّدٍ ومَسُودِ (٧)

كانَ (عبدُ العَزِيزِ) أَجْمَلَ أَمْرًا * مِنكَ فى يومِ خَلْعِهِ المَشْهُودِ (٨)

---

(١) يقول : ان هذا النفق خفى وضلت سبيله على طالبه ، حتى إنه ليعجز الوهم عن تعرّف الطريق إلى بابه .

(٢) أربى : زاد . والوليد ، هو ابن يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموى المروانى المشهور بالفسق وشرب الخمر وتهاونه بالدين . (٣) يريد الوفد المبعوث بخلعه . والرعديد : الجبان . (٤) السؤدد : السيادة والرفعة . (٥) الجليد : المتجلد الصابر . (٦) الحوبة (بفتح الحاء) : الخطيئة .

(٧) يقول : إن دمعك يوم الخلع قد بلغ من الأثر فى رعيتك ما ردهم عن الانتقام منك ، فكأنه أمر من أوامرك المطاعة يوم كنت على العرش . (٨) عبد العزيز ، هو أحد سلاطين آل عثمان ، وهو الثانى والثلاثون منهم ، وهو ابن السلطان محمود الثانى . ولد عام ١٢٤٥ هـ ، وتولى الخلافة فى سنة ١٢٧٧ هـ . وخلع فى سنة ١٢٩٣ هـ ، وتوفى فى السنة نفسها . وهو الذى زار مصر فى عهد المغفور له اسماعيل باشا الخديوى ، وسمى باسمه شارع عبد العزيز بالقاهرة .

خَافَ مَأْثُورَ قَوْلِهِ فَتَعَالَى * عَنْ صَغَارٍ ومات مَوْتَ الأُسُودِ (١)

ضَمَّ مِقْراضَهُ إليه ونادَى * دُونَ ذُلِّ الحياةِ قَطْعُ الوَرِيدِ (٢)

حَيِّ عَهْدَ الرَّشادِ (٣) يا شَرْقُ وابلُغْ * ما تَمَنَّيْتَ مِنْ زَمانٍ بَعِيدِ

قد تَوَلَّى (مُحمدُ الخامسُ) المُلْ * كَ فأَعْظِمْ بتاجِهِ المَعْقُودِ

وتَجَلَّى فى مِهْرَجانٍ (٤) تَجَلَّى * سَيْفُ (عُثْمانَ) (٥) فيه بالتَّقْلِيدِ

وقَفَ الدهرُ خاشِعًا إذ رَأَى السَّيْـ * ـفَيْنِ فى قَبْضَةِ العَزِيزِ المَجِيدِ

طَأْطِئِي (٦) للجَلالِ يا أُمَمَ الأَرْ * ضِ سُجُودًا، هٰذا مَقامُ السُّجُودِ

عَلِمَ اللهُ أَنَّ عَهْدَ (رَشادٍ) * خَيْرُ قَوْلٍ يَرُدُّ عَهْدَ (الرَّشِيدِ) (٧)

---

(١) الصغار : الذل . يقول : إن هذا السلطان قد خاف فى يوم خلعه أن يأخذ الناس عليه كلمة فيها ضعف ومذلة .

(٢) المقراض : المقص .

(٣) يريد « بالرشاد » : السلطان محمد رشاد الخامس ، وقد تولى الملك فى سنة ١٣٢٧ هـ — سنة ١٩٠٩ م — بعد خلع السلطان عبد الحميد .

(٤) المهرجان : عيد للفرس ، ويطلق على كل عيد . وعثمان ، هو ابن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية التى تنسب اليه . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ١ من صفحة ١٧ من هذا الجزء) .

(٥) يريد « بالسيفين » : سيف عثمان مؤسس الدولة ، وسيف الخليفة الجالس على العرش .

(٦) طأطأ رأسه : خفضه .

(٧) يريد « بالرشيد » : الخليفة العباسى هارون الرشيد الذى بلغت الأمة الإسلامية فى أيامه من الرقى أقصاه .

عيد الدستور العثمانى

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى حديقة الأزبكية فى مساء الجمعة ٢٣ يوليه سنة ١٩٠٩ م

أَجَلْ هٰذِهِ أَعْلَامُهُ وَمَوَاكِبُهْ * هَنِيئاً لَهُمْ فَلْيَسْحَبِ الذَّيْلَ سَاحِبُهْ (١)

هَنِيئاً لَهُمْ فَالكَوْنُ فى يومِ عِيدِهِمْ * مَشَارِقُهُ وُضَّاءَةٌ ومَغَارِبُهْ (٢)

رَعَى اللهُ شَعْباً جَمَّعَ العَدْلُ شَمْلَهُ * وَتَمَّتْ على عَهْدِ الرَّشَادِ رَغَائِبُهْ (٣)

تَحَالَفَ فى ظِلِّ الهِلَالِ إمَامُهُ * وحَاخَامُهُ ـ بَعْدَ الخِلَافِ ـ وَرَاهِبُهْ (٤)

خُذُوا بِيَدِ الإِصْلَاحِ والأَمْرُ مُقْبِلٌ * فَإِنِّى أَرَى الإِصْلَاحَ قد طَرَّ شَارِبُهْ (٥)

وَرُدُّوا على المُلْكِ الشَّبَابَ الَّذى ذَوَى * فَإِنِّى رأيتُ المُلْكَ شَابَتْ ذَوَائِبُهْ (٦)

فَمَنْ يَطْلُبِ الدُّسْتُورَ بالسُّوءِ بَعْدَ ما * حَمَتْهُ يَدُ (الفَارُوقِ) فاللهُ طَالِبُهْ

اذا (شَوْكَتُ الفَارُوقُ) قامَ مُنَادِياً * الى الحَقِّ لَبَّاهُ (نيازى) وصاحِبُهْ (٧)

---

(١) أجل : نعم . وأعلامه ، أى أعلام العيد . ولهم : للأتراك . وسحب الذيل : كناية عن التيه والفخر . (٢) وضاءة (بضم الواو وتشديد الضاد) ، أى ذات حسن وبهجة ، من الوضاءة (بفتح الواو وتخفيف الضاد) (٣) الرغائب : جمع رغيبة ، وهى ما يرغب فيه . (٤) الهلال : شعار الدولة العثمانية . ويريد « بالإمام والحاخام والراهب » : اجتماع المسلمين واليهود والمسيحيين تحت تلك الراية . (٥) طر شاربه : نبت وطلع ، وذلك فى أول عهد الشباب . ويريد بهذه العبارة : أن وقت الإصلاح قد حان . (٦) ذوى : ذبل . والذوائب : الضفائر ؛ الواحدة ذؤابة . وشيب الذوائب ، كناية عن الضعف والانحلال . (٧) شوكت ونيازى : بطلان من أبطال جمعية الاتحاد والترقى التركية . ويريد « بالصاحب » : أنور باشا القائد التركى المعروف . وكان هؤلاء الثلاثة بلاء حسن فى الانقلاب العثمانى المعروف ، وخلع السلطان عبد الحميد ، وإعادة الدستور الى الأمة التركية .

ثلاثةُ آسادٍ يُجانِبُها الرَّدَى * وإنْ هِيَ لاقاها الرَّدَى لا تُجانِبُهْ (١)

يُصارِعُها صَرْفُ المَنُونِ فتَلْتَقِي * مَخالِبُها فيه وتَنْبُو مَخالِبُهْ (٢)

رَوَتْ قولَ (بَشّارٍ) فثارَتْ وأَقْسَمَتْ * وقامت إلى (عَبْدِ الحَمِيدِ) تُحاسِبُهْ:

(إذا المَلِكُ الجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّه * مَشَيْنا إليه بالسُّيُوفِ نُعاتِبُهْ) (٣)

وسارَ على أَعْقابِها كلُّ سابِحٍ * على مَتْنِه بُرْجٌ مَشِيدٌ يُداعِبُهْ (٤)

يَصِيحُ به: لارِيَّ أَوْ نَبْلُغَ المُنَى * ولا شِبَعٌ أو يَرْجِعَ الحقَّ غاصِبُهْ

هُنالِكَ فانْهَلْ واتَّخِذْ ثَمَّ مَرْبَطًا * (بِبَلْدَزَ) واحْمَدْ في الوَغَى مَنْ تُصاحِبُهْ (٥)

رجالٌ من الإيمانِ مَلّاى نُفُوسُهُمْ * وجَيْشٌ مِنَ الأَتْراكِ ظَمْآى قَواضِبُهْ (٦)

صَوالِجُه سُمْرُ القَنَا، وكُراتُه * رُءُوسُ الأَعادِي، والحُصُونُ مَلاعِبُهْ (٧)

---

(١) الردى: الهلاك. (٢) المنون: الموت. وتنبو: تكل وترتد.

(٣) صعر خده: أماله عند النظر إلى الناس تهاونا بهم وكبرا. ويريد بقوله «نعاتبه»: تهدده بالسيوف وتنذره بالقتل. وفي استعمال العتاب بهذا المعنى تهكم ظاهر. وهذا البيت من قصيدة لبشار بن برد يمدح بها عمر بن هبيرة. (٤) يريد «بالسابح»: الفرس الشديد الجرى. والمتن: الظهر. ويريد «بالبرج»: الفارس الذى يشبه البرج فى ضخامته. (٥) انهل: اشرب، من النهل (بالتحريك)، وهو السقية الأولى. وبلدز: قصر الخلافة بالقسطنطينية. والوغى: الحرب. يعد الفارس فرسه بأنه سيبلغ ما يريد من النصر والظفر، وأنه سيستبيح من حمى القصر ما كان ممتنعا، وهناك يحمد راكبه على صدق وعده. (٦) القواضب: السيوف القواطع. ومعنى قوله «ظمآى قواضبه»: أن سيوفه عطشى إلى دماء الأعداء. (٧) الصوالج: العصى المعوجة الأطراف التى يلعبون بها الكرة؛ الواحد صولجان، فارسى معرب. والقنا: الرماح؛ الواحدة قناة. وقد شبه هذا الجيش فى حربه بمن يلعبون الكرة لشوقه إلى الحرب، وقلة مبالاته بالموت فيها، بجعل الرماح صوالجه، ورءوس الأعداء كراته، والحصون مواضع اللعب.

إذا ثارَ دُكَّتْ أَجْبُلٌ وتَخَشَّعَتْ * بِحارٌ وأَمْضَى اللهُ ما هوَ كاتِبُهْ (١)

وذُلَّتْ عُرُوشٌ واستَقَرَّتْ ممالِكٌ * ولو أَنَّ ذَا القَرْنَيْنِ فيها يُناصِبُهْ (٢)

فَمَنْ لَمْ يُشاهِدْ (يَلْدِزًا) بَعدَ رَبِّها * وقد زالَ عنه المُلْكُ وانْدَكَّ جانِبُهْ (٣)

وأَسْلَمَهُ أَحْبابُه لِقُضاتِه * وفَرَّ ولَمْ يَخْشَ المَعَرَّةَ كاتِبُهْ (٤)

وقَلَّمَتِ الأَقْدارُ أَظْفارَ بَطْشِه * ودَلَّ على ما تَجْهَلُ الجِنُّ حاجِبُهْ (٥)

فما شَهِدَ الدُّنْيا تَزُولُ ولا رَأى * بَلاءَ قَضاءِ اللهِ فِيمَنْ يُحارِبُهْ (٦)

أَبِيحَ حِماها وانْطَوَى مَجْدُ رَبِّها * وقامَتْ على البَيْتِ (الحَمِيدِي) نَوادِبُهْ (٧)

ولَمْ يُغْنِ عن (عَبْدِ الحَمِيدِ) دَهاؤُه * ولا عَصَمَتْ (عبدَ الحَمِيدِ) تَجارِبُهْ (٨)

ولَمْ يَحْمِهِ حِصْنٌ ولَمْ تَرْمِ دُونَه * دَنانِيرُه والأَمْرُ بالأَمْرِ حازِبُهْ (٩)

ولَمْ يُخْفِهِ عَنْ أَعْيُنِ الحَقِّ مُجْدَعٌ * ولا نَفَقٌ فى الأَرْضِ جَمٌّ مَسارِبُهْ (١٠)

---

(١) دكت : تهدمت . وما هو كاتبه ، أى ما هو مقدره من النصر والظفر لهذا الجيش .

(٢) ثلث : هدمت . وذو القرنين : ملك معروف باتساع الملك وكثرة الفتوحات . ويناصبه : يعاديه . (٣) ربها : صاحبها ، وهو عبد الحميد .

(٤) يريد «بكاتبه» : عزت العابد باشا . (٥) يقال : هو مقلم الأظفار ، اذا كان أعزل بغير سلاح . ويريد « بما تجهل الجن » : المراديب والأنفاق التى كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد من أعدائه . (٦) فما : جواب « من » فى قوله السابق : « فمن لم يشاهد ... الخ » .

(٧) أبيح حماها ، أى صارت يلدز مفتحة النواحى لكل داخل مهما قل شأنه .

(٨) عصمت : حفظت . (٩) لم ترم دونه دنانيره ، أى أن أمواله لم تدفع عنه أعداءه . فشبه المال بحفظ صاحبه من أعدائه بمن يرمى السهام دفاعا عمن يحتمى به . وحزبه الأمر : نابه واشتد عليه وضغطه . (١٠) يشير فى هذا البيت الى المخابئ والأنفاق التى كان قد أعدها عبد الحميد تحت الأرض ليختبئ فيها من أعدائه .

أَقامَ عليه مَهْلَكًا عندَ مَهْلَكٍ * يَمُرُّ به رَوْحُ الصَّبا فيُواثِبُهْ (١)

تَحامَاهُ حتّى الوَهْمُ خَوْفَ اغتيالِه * فلو مَسَّه طَيْفٌ لدارَتْ لَوالِبُهْ

وأَسْرَفَ فى حُبِّ الحَياةِ فخاطَها * بسُورٍ من الأَهْوالِ لَمْ يَنْجُ راكِبُهْ

ففى كلِّ قُفْلٍ للمَنِيَّةِ مَكْمَنٌ * وفى كلِّ مِفْتاحٍ قَضاءٌ يُراقِبُهْ (٢)

وفى كلِّ رُكْنٍ صُورَةٌ لو تَكَلَّمَتْ * لَما شَكَّ فى (عَبْدِ الحَميدِ) مُخاطِبُهْ

تَماثِيلُ إبهامٍ أَنِيمَتْ وأُقْعِدَتْ * تَراءَى بها أَعْطافُه ومَناكِبُهْ (٣)

تُمَثِّلُه فى نَوْمِه وجُلُوسِه * وتَخْدَعُ فيه الموتَ حينَ يُقارِبُهْ

أَقامَ عليه أَلفَ مَوْتٍ مُحَجَّبٍ * لِيَغْلِبَ مَوْتًا واحدًا عَزَّ غالِبُهْ

سَلُوهُ أَأَغْنَتْ عنه فى يومِ خَلْعِه * عَجائِبُه ؟ أو أَحْرَزَتْه غَرائِبُهْ ؟ (٤)

وقد نَزَلَ المِقْدارُ بالأَمْرِ صادِعًا * فضاقَتْ على شَيْخِ المُلُوكِ مَذاهِبُهْ (٥)

وأَخْرَجَه مِنْ (يَلْدِزٍ) رَبُّ (يَلْدِزٍ) * وجَرَّدَه مِنْ سَيْفِ (عُثْمانَ) واهِبُهْ

وأَصْبَحَ فى مَنْفاهُ والجَيْشُ دُونَه * يُغالِبُ ذِكْرَى مُلْكِه وتُغالِبُهْ (٦)

---

(١) الروح : الريح . يقول : إن عبد الحميد قد بالغ فى المحافظة على نفسه حتى أقام حوله من أسباب الهلاك لطائفه ما لو مرت به ريح الصبا لوثب عنها ظنا منه أنها من أعداء السلطان .

(٢) يشير بهذا البيت الى ما كان يروى من العجائب التى كان يتخذها السلطان عبد الحميد فى الحذر على نفسه من أعدائه ، حتى إنه قد صنعت لمخابئه وخزائن أمواله أقفال إذا حاول غيره فتحها أصابه منها ما يقتله .

(٣) تراءى ، أى تتراءى . والأعطاف : الجوانب . (٤) أحرزته : حفظته .

(٥) المقدار : القدر . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحا . (٦) والجيش دونه ، أى واقف دونه يمنعه من الفرار .

يُنادِيه صَوْتُ الحَقِّ : ذُقْ ما أَذَقْتَهُمْ * فكلُّ امرئٍ رَهْنٌ بِما هُوَ كاسِبُهْ (١)

هُمُ مَنَحوكَ اليومَ ما أَنتَ مُشْتَهٍ * فَرُدَّ لهمْ بالأَمْسِ ما أَنتَ سَالِبُهْ (٢)

ودَعْ عَنْكَ ما أَمَّلْتَ إنْ كنتَ حازِمًا * فلَمْ يَبْقَ لِلآمالِ فَضْلٌ تُجاذِبُهْ (٣)

مَضَى عَهْدُ الاستِبْدادِ وانْدَكَّ صَرْحُه * ووَلَّتْ أَفاعِيهِ وماتَتْ عَقارِبُهْ (٤)

لَكَ اللهُ يا (تَمُّوزُ) إنَّكَ بَلْسَمٌ * لِجُرْحَى الأَسَى والدَّهْرُ تَعْدُو نوائِبُهْ (٥)

فكَمْ رُعْتَ جَبّارًا وأَرْهَقْتَ ظالِمًا * وأَنْصَفْتَ مَظْلُومًا تَوالَتْ مَصائِبُهْ (٦)

فَدَيْناكَ مِنْ شَهْرٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ * أَوائِلُهُ مَيْمُونَةٌ وعَواقِبُهْ (٧)

تُقابِلُه الأَعْيادُ في الأَرضِ كلَّما * تَجَلَّى هِلالُ الشَّهْرِ أَو لاحَ حاجِبُهْ (٨)

ففي الغَرْبِ عِيدٌ يَنْظِمُ الغَرْبُ حُسْنَه * فتَهْتَزُّ مِنْ وَقْعِ السُّرورِ جَوانِبُهْ (٩)

وفي الشَّرقِ عِيدٌ لَمْ يَرَ الشَّرْقُ مِثْلَه * تَدَفَّقُ في دارِ السَّلامِ مَواكِبُهْ (١٠)

---

(١) رهن بما هو كاسبه ، أى مجزى بما اقترفه هو ، لا بما اقترفه غيره ؛ يقال : هو رهن بكذا ، أى مقصور عليه لا يتعداه . (٢) ما أنت مشته ، أى الحياة . وما أنت سالبه ، أى حقوق الأمة وحريتها .

(٣) شبه «الآمال» بالرداء الذى له فضول ، أى زيادات يجذب منها . يقول : إن آمالك فى الملك قد قصرت فليس فيها موضع تمسكه بيدك وتجذبها منه . (٤) الصرح : ما علا من البنيان . ويريد «بالأفاعى والعقارب» : جواسيس عبد الحميد ورسل الشر فى عهده . (٥) تموز : شهر معروف من السنة المسيحية ، ويوافق شهر يوليه ، وهو الذى نالت فيه الأمة التركية دستورها . والبلسم : دواء تضمد به الجراح . (٦) رعت : أفزعت . وأرهقت ظالما : حملته ما لا يطيق من العذاب .

(٧) يقال : يوم أو شهر أغر محجل ، اذا كان مشهورا ؛ وأصلهما من الصفات الممدوحة فى الخيل ، الأغر منها ما كان فى جبهته بياض ، والمحجل ما كان البياض فى قوائمه . (٨) تجلى : ظهر .

(٩) يريد «بالعيد الذى فى الغرب» : عيد الحرية فى فرنسا ، وهو فى شهر تموز (١٤ يوليه) .

(١٠) يريد «بالعيد الذى فى الشرق» : عيد الدستور التركى ؛ وقد نسبه الى الشرق ، لأن الأمم الشرقية التابعة لتركيا كانت تتخذ هذا اليوم عيدا مثلها . ودار السلام : القسطنطينية .

يُطِيفُونَ بالعَرْشِ الكَرِيمِ ورَبِّه * تُطِيفُ بهِمْ آلاؤُه ومناقِبُهْ (١)

لِتَهْنِئْ أميرَ المؤمنين مُحَمَّدا * خِلافَتُه فالعَرْشُ سَعْدٌ كَوَاكِبُهْ

سَتَمْلِكُ أَمْواجَ البِحارِ سَفِينُه * كما مَلَكَتْ ثُمَّ الجِبالِ كَتائِبُهْ (٢)

مَمالِكُهُ مَحْرُوسَةٌ وثُغُورُه * رَكائِبُهُ مَنْصُورَةٌ ومَراكِبُهْ

إلى البرنس حسين كامل باشا (٣)

رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، عبر فيها عن آلام الأمة المصرية وآمالها

[نشرت فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٩ م]

لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فمَتَى تَنَامُ * أَهَمٌّ ذادَ نَوْمَكَ أَمْ هُيامُ (٤)

غَفَا المَحْزُونُ والشاكِى وأَغْفَى * أَخُو البَلْوَى ونامَ المُسْتَهامُ (٥)

وأنتَ تُقَلِّبُ الكَفَّيْنِ آنًا * وآوِنَةً يُقَلِّبُكَ السَّقامُ (٦)

تَحَدَّرَتِ المَدامِعُ مِنكَ حَتَّى * تَعَلَّمَ مِنْ مَحاجِرِكَ الغَمامُ (٧)

---

(١) الآلاء : النعم . والمناقب : الخصال الحميدة ؛ الواحدة منقبة .

(٢) شم الجبال : أعاليها ، الواحد أشم . والكتائب : فرق الجيش ؛ الواحدة كتيبة .

(٣) ولد السلطان حسين كامل فى يوم ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ هـ — ٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م . وفى يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر . وتوفى رحمه الله فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م .

(٤) نصل الدجى : خرج من سواده وأبيض بطلوع الصباح . وذاد : منع . والهيام : العشق .

(٥) غفا وأغفى : نام . والمستهام : العاشق .

(٦) تقليب الكف : كناية عن الحيرة .

(٧) المحاجر : جمع محجر (بفتح الميم وكسر الجيم وسكون ما بينهما) ، وهو ما دار حول العين . والغمام : السحاب . يقول : إن السحاب تعلم انهمال مطره من انهمال مدامعك .

وصَحَّتْ مِنْ تَقَلُّبِكَ الحَشَايَا (١) * وأَشْفَقَ مِنْ تَلَهُّفِكَ الظَّلامُ

تَبِيتُ تُساجِلُ الأَفْلاكَ سُهْدًا (٢) * وعَيْنُ الكَوْنِ رَنَّقَها المَنَامُ

وتَكْتُمُنا حَدِيثَ هَواكَ حَتَّى * أَداعَ الصَّمْتُ ما أَخْفَى الكَلامُ

بِرَبِّكَ هَلْ رَجَعْتَ إلى رَسِيسٍ (٣) * مِنَ الذِّكْرَى وهَلْ رَجَعَ الغَرامُ؟

وقد لَمَعَ المَشِيبُ وذَاكَ سَيْفٌ (٤) * عَلى فَوْدَيْكَ عَلَّقَهُ الحِمامُ

أَيَجْمُلُ بالأَدِيبِ أَدِيبِ مِصْرٍ (٥) * بُكاءُ الطِّفْلِ أَرْهَقَهُ الفِطامُ

ويَصْرِفُه الهَوَى عن ذِكْرِ مِصْرٍ (٦) * ومِصْرٌ فى يَدِ البَاغِى تُضامُ؟

عَدِمْتُ يَراعَتِي إن كان ما بى (٧) * هَوًى بين الضُّلوعِ له ضِرامُ

وما أنا والغَرامَ وشابَ رَأْسِى (٨) * وغالَ شَبابِيَ الحَطْبُ الجُسامُ

ورَبَّانِي الذى رَبَّى (لَبِيدًا) (٩) * فعَلَّمَنِي الذى جَهِلَ الأَنامُ

---

(١) الحشايا : الفرش المحشوة ، الواحدة حشية (بتشديد الياء) . (٢) تساجل الأفلاك سهدا ، أى تشاركها فى السهر وتناوبها فيه . ورنقها : حالطها . (٣) الرسيس : البقية والأثر .

(٤) الفودان : ناحيتا الرأس . والحمام (بكسر الحاء) : الموت . ويريد «بالسيف المعلق على ناحيتى الرأس» : الشيب ، لأن كليهما قاتل .

(٥) أرهقه : آذاه وآلمه . (٦) الباغى : الظالم . (٧) اليراعة : القلم . ويريد بلاغته وأدبه ، لأنهما يكتبان به . وضرام النار : اشتعالها . (٨) غاله : أفناه وأهلكه . والجسام والجسيم : العظيم . (٩) يريد لبيد بن ربيعة العامرى الشاعر المعروف ، صاحب المعلقة المشهورة ، التى أولها : «عفت الديار محلها فمقامها» . وكان من المعمرين ، أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم . ويريد «بالذى ربى لبيدا» : الزمان وتطاوله . وخصه بالذكر لأنه من المعمرين ، ومن جربوا الحياة حتى سئموها ، قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف ابد؟

لَعَمْرُكَ ما أَرِقْتُ لغَيْرِ مِصْرٍ * ومالِي دُونَها أَمَلٌ يُرَامُ (١)

ذَكَرْتُ جَلالَها أيّامَ كانَتْ * تَصُولُ بها الفَراعِنَةُ العِظامُ

وأيّامَ الرجالُ بها رِجالٌ * وأيّامَ الزَّمانُ لها غُلامُ

فأَقْلَقَ مَضْجَعِي ما باتَ فِيها * وباتَتْ مِصْرُ فيه ، فهَلْ أُلامُ؟

أَرَى شَعْبًا بمَدْرَجَةِ العَوادِي * تَمَخَّخَ عَظْمَهُ داءٌ عُقامُ (٢)

إذا ما مَرَّ بالبَأْساءِ عامٌ * أَطَلَّ عليه بالبَأْساءِ عامُ

سَرَى داءُ التَّواكُلِ فيه حَتّى * تَخَطَّفَ رِزْقَهُ ذُلكَ الزِّحامُ (٣)

قد اسْتَعْصَى على الحُكَماءِ مِنّا * كما اسْتَعْصَى على الطِّبِّ الجُذامُ (٤)

هَلاكُ الفَرْدِ مَنْشَؤُهُ تَوانٍ * ومَوْتُ الشَّعْبِ مَنْشَؤُهُ انْقِسامُ

وإنّا قد وَنِينا وانْقَسَمْنا * فلا سَعْيٌ هُناكَ ولا وِئامُ

فساءَ مُقامُنا فى أَرْضِ (مِصْرٍ) * وطابَ لغَيْرِنا فيها المُقامُ

فلا عَجَبٌ إذا مُلِكَتْ علينا * مَذاهِبُنا وأكثَرُنا نِيامُ (٥)

(حُسَيْنُ حُسَيْنُ) أنتَ لها فَنَبِّهْ * رِجالًا عن طِلابِ الحقِّ نامُوا

وكُنْ بأبِيكَ لابْنِ أَخِيكَ عَوْنًا * فأَنتَ بكَفِّهِ نِعْمَ الحُسامُ (٦)

(١) أرق أرقا (وزان فرح فرحا) : سهر . (٢) المدرجة : الطريق . والعوادى : النوائب . وتمخخ العظم ، إذا أخرج مخه . والداء العقام : الذى لا يرجى البرء منه . (٣) يريد «بالزحام» : مزاحمة الأجانب للمصريين . (٤) الضمير فى «استعصى» : يعود على «التواكل» السابق .
(٥) المذاهب : الطرق . (٦) يريد «بابن أخيه» : عباس الثانى خديوى مصر السابق .

أَفِضْ فى قاعَةِ الشُّورَى وِئامًا * فقَـدْ أَوْدَى بِنَا وَبِها ٱلخِصامُ

وعَلِّمْهُـمْ مُصادَمَةَ العَـوادِى (١) * فِمِثْـلُكَ لا يُرَوِّعُـه الصِّـدامُ

ففى حِزْبِ اليَمِينِ لَدَيْكَ قَـوْمٌ * وإنْ قَـلُّوا فإنَّهُـمُ كِـرامُ

وفى حِزْبِ الشِّمالِ لَدَيْكَ أُسْـدٌ (٢) * كُماةٌ لا يَطِيبُ لها ٱنهِـزامُ

فَكونوا لِلبِلادِ ولا يَفُتْكُمْ (٣) * مِنَ النُّهُزاتِ والفُرَصِ ٱغتِنامُ

فما سـادُوا بمُعْجِزَةٍ علينـا (٤) * ولكنْ فى صُـفوفِهِمُ ٱنضِمامُ

فلا تَثِقُوا بوَعْـدِ القَـوْمِ يومًا (٥) * فإنّ سَحَـابَ ساعَتِهِمْ جَهـامُ

وخافُوهُـمْ إذا لانُـوا فإنِّى (٦) * أَرَى السُّـوَّاسَ ليس لهُمْ ذِمَامُ

فكَمْ ضَحِكَ العَمِيدُ على لِحـانَا (٧) * وغَرَّ سَراتَنـا مِنْـه ٱبْتِسـامُ

أَبَا الفَـلَّاحِ إنّ الأَمْرَ فَوْضَى (٨) * وجَهْلُ الشَّعْبِ والفَوْضَى لِزامُ

فأَسْـعِدْنا بنَشْرِ العِـلْمِ وٱعـلَمْ * بأنّ النَّقْصَ يَعْقُبُـه التَّمامُ

---

(١) العوادى : النوائب . و يروّعه : يفزعه . (٢) الكماة : الشجعان ؛ الواحد كمى (بفتح الكاف وتشديد الياء) . (٣) النهزات : ما ينتهز من الفرص ، الواحدة نهزة (بضم فسكون) .

(٤) سادوا : يريد شعوب الغرب . (٥) يريد « بالقوم » : الإنجليز . و « بوعدهم » : ما وعدوا به مصر من الجلاء عنها . والجهام من السحب (بفتح الجيم) : الذى لا ماء فيه .

(٦) الذمام : الذمة والعهد . (٧) يريد عميد الدولة الإنجليزية (السير غورست) . والسراة من الناس : أهل الرفعة والمنزلة ؛ الواحد سرى (بفتح السين وتشديد الياء) .

(٨) أبو الفلاح : كنية كان يكنى بها المغفور له السلطان حسين كامل ، وذلك لما كان يظهره من العناية بالفلاحين والنظر فيما يصلحهم و يعود عليهم بالرفاهية والخصب . ولزام ، أى ان الجهل والفوضى متلازمان ، إذا وجد أحدهما وجد الآخر .

وليس العِلْمُ يُمْسِكُنا وَحِيدًا * اذا لَمْ يَنْصُرِ العِلْمَ ٱعتِرامُ

وإنْ لَمْ يُدْرِكِ الدُّسْتُورُ (مِصْرًا) * فما لِحياتِها أبدًا قِوامُ (١)

حَمَوْنا وِرْدَ ماءِ (النِّيلِ) عَذْبًا * وقالوا : إنّهُ مَوْتٌ زُؤامُ (٢)

وما المَوتُ الزُّؤامُ إذا عَقَلْنا * سِوَى الشَّرِكاتِ حَلَّ لها ٱلحَرامُ

لقد سَعِدَتْ بغَفْلَتِنا فراحَتْ * بثَرْوَتِنا وَأَوَّلُها (ٱلتِّرامُ)

فياوَيْلَ القَناةِ إذا ٱحتَواها * (بَنُو التّامِيزِ) وٱنحَسَرَ اللِّثامُ (٣)

لقد بَقِيَتْ مِنَ الدُّنيا حُطامًا * بأَيْدِينا وقد عَزَّ ٱلحُطامُ (٤)

وقد كُنّا جَعَلْناها زِمامًا * فواهَفْنِي اذا قُطِعَ الزِّمامُ (٥)

(فيا قَصْرَ الدُّبارَةِ) لستُ أَدْرِي * أَحَرْبٌ فى حِرابِكَ أمْ سَلامُ

أَجِبْنا ، هل يُرادُ بنا وَراءٌ * فنَقْضِى أَمْ يُرادُ بنا أَمامُ (٦)

ويا حِزْبَ اليَمينِ إليكَ عَنّا * لقد طاشَتْ نِبالُكَ والسِّهامُ

ويا حِزْبَ الشِّمالِ عليكَ مِنّا * ومِنْ أَبْناءِ نَجْدَتِكَ السَّلامُ

---

(١) قوام الأمر : نظامه وعماده وملاكه الذى يقوم به . (٢) يشير بهذا البيت الى شركة المياه . ويريد بقوله : « موت زؤام » : مايحمله ماء النيل الكدر من الجراثيم . (٣) القناة ، أى قناة السويس . وبنو التامیز : الإنجليز . والتامیز : نهر عندهم معروف . ويريد « بانحسار اللثام » : انكشاف الحجاب عما يضمرونه نحو مصر . (٤) بقيت ، أى القناة . (٥) يريد بهذا البيت والذى قبله أن قناة السويس قد بقيت فى يدنا تراثا عن السلف على قلة تراثنا ، وقد كنا نأمل منها أن تكون صلة بيننا وبين العالم وأخوف ما نخافه أن تنقطع هذه الصلة . (٦) نقضى : نموت . (٧) حزب اليمين : الأعضاء الذين كانوا يؤيدون الحكومة فى مجلس شورى القوانين . وحزب الشمال : المعارضون الذين كانوا يؤيدون رأى الأمة . وأبناء نجدتك ، أى الذين يناصرونك ويرون رأيك . والنجدة : الشجاعة والنصرة .

تحيـــة العـام الهجـــرى

[سنة ١٣٢٨هـ — يناير سنة ١٩١٠م]

لى فِيكَ حِينَ بَدَا سَناكَ وأَشْرَقَا * أَمَلٌ سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَتَحَقَّقَا (١)

أَشْرِقْ علينا بالسُّعودِ ولا تَكُنْ * كأَخِيكَ مَشْئُومَ المَنازِلِ أَخْرَقَا (٢)

قد كانَ جَرّاحَ النُّفُوسِ فَداوِها * مِمّا بِها وكُنِ الطَّبِيبَ مُوَفَّقَا

هَلَّلْتُ حِينَ لَمَحْتُ نُورَ جَبِينِه * ورَجَوْتُ فيه الخَيْرَ حِينَ تَأَلَّقَا (٣)

وهَزَزْتُه بقَصِيدَةٍ لو أَنَّها * تُلِيَتْ على الصَّخْرِ الأَصَمِّ لأَغْدَقَا (٤)

فنَأَى بجانِبِه وخَصَّ بَتَحْسِه * مِصْرًا وأَسْرَفَ فى النُّحُوسِ وأَغْرَقَا (٥)

لو كُنْتُ أَعْلَمُ ما يُحَبِّبُه لنا * لسأَلْتُ رَبِّى ضارِعًا أَنْ يُمْحَقَا

أَوْلَى الأَعاجِمِ مِنَّةً مَذْكورَةً * وأَعادَ للأَتْراكِ ذاكَ الرَّوْنَقَا (٦)

وتَغَيَّرَتْ فيه الخُطوبُ بفارِسٍ * حتّى رأَيتُ الشاهَ يَخْشَى البَيْدَقَا (٧)

---

(١) السنا : الضوء . يخاطب هلال المحرم . (٢) يريد بقوله «أخيك» : هلال العام الذى قبله . والمنازل : البروج التى ينتقل فيها القمر . والأخرق : من الخرق (بضم الخاء) والخرق (بفتح الخاء والراء) ، وهو القسوة والحمق . (٣) تألق : أضاء وأشرق . (٤) يقال : هزه إلى المعروف : اذا حركه اليه وشوقه الى عمله . وأغدق : تفجر بالماء الكثير . ويريد «بالقصيدة» : القصيدة السابقة التى أولها :

أطل على الأكوان والخلق تنظر * هلال رآه المسلمون فكبروا

(٥) نأى : بعد . يريد أنه أعرض عن رجائنا فيه . وأغرق فى النحوس : بالغ فيها وأفرط .

(٦) أولى : أعطى . ويريد أن الأعاجم ، وهم الفرس ، نالوا فيه الدستور ، وكذلك الترك .

(٧) الخطوب : الشئون ؛ الواحد : خطب (بفتح الخاء) . والشاه : ملك العجم . والبيدق : الجندى . ويشير إلى الشاه والبيدق من قطع الشطرنج . والمعنى أن الحكم فى فارس قد أصبح بيد الأمة حتى أصبح الملك يخشى رعيته بعد أن كانت تخشاه .

وأَدالَ مِنْ (عبدِ الحميدِ) لشَعْبِه * فهَوَى وحاوَلَ أَنْ يَعُودَ فأَخْفَقَا (١)

أَمْسَى يُبالِي حارِسًا مِنْ جُنْدِه * ولقد يكُونُ وما يُبالِي الفَيْلَقَا (٢)

ورَمَى على أَرْضِ الكِنانةِ حِرْمَه * بالنازِلاتِ السُّودِ حتّى أَرْهَقَا (٣)

حَصَدَتْ مَناجِلُه غِراسَ رَجائِنا * ولو أَنَّها أَبْقَتْ عليه لأَوْرَقَا (٤)

فتَقَيَّدَتْ فيه الصّحافَةُ عَنْوَةً * ومَشَى الهَوَى بين الرَّعِيّةِ مُطْلَقَا (٥)

وأَتَى يُساوِمُ فى (القَناةِ) خَدِيعَةً * ولو أَنّها تَمَّتْ لَتَمَّ بِها الشَّقَا

إن البَلِيَّةَ أَنْ تُباعَ وتُشْتَرَى * (مِصْرُ) وما فيها وألّا تَنْطِقَا (٦)

كانتْ تُواسِينا على آلامِنا * صُحُفٌ إذا نَزَل البَلاءُ وأَطْبَقَا (٧)

فاذا دَعَوْتُ الدمْعَ فاستَعْصَى بَكَتْ * عنّا أَسًى حتّى تَغَصَّ وتَشْرَقَا

كانتْ لنا يومَ الشدائِدِ أَسْهُمًا * نَرْمِى بها وسَوابِقًا يومَ اللِّقَا (٨)

---

(١) يقال : أدال الله لك من فلان : اذا جعل الكرة والنصر لك عليه . وأخفق فى السعى : لم ينجح فيه . (٢) الضمير فى «أمسى» : لعبد الحميد . والفيلق : الجيش العظيم . (٣) رمى : الضمير فيها يعود على الهلال . وأرض الكنانة : مصر . وأرهق : أنزل على أهلها العسر والظلم والطغيان .

(٤) المناجل : جمع منجل ، وهو آلة يحصد بها الزرع ، معروفة . (٥) يشير إلى تنفيذ قانون المطبوعات الذى عمل به فى عهد وزارة بطرس غالى باشا ، فقيد حرية الرأى والكتابة فى الصحف . والعنوة : القهر . ويريد «بالهوى» : الحكم بما يشتهيه الحاكم ، لا بما يقتضيه العدل . ومطلقا ، أى لا قيد عليه .

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى ما حدث فى عهد نظارة بطرس غالى باشا من أن شركة قناة السويس كانت قد عرضت على الحكومة المصرية مد أجل امتيازها أربعين سنة أخرى تبتدئ من سنة ١٩٦٩ م الى نهاية سنة ٢٠٠٨ م وأبت ذلك الجمعية العمومية بإجماع أعضائها محتجة بأن فى ذلك غبنا فاحشا تقدر بمبلغ ١٣٠٫٥٩٨٫٠٠٠ جنيها ، وكان ذلك فى ٧ أبريل سنة ١٩١٠ م ، وكان رأى الجمعية العمومية فى هذه المسألة قطعيا لا استشاريا . (٧) أطبق عليهم البلاء : غشيهم وغطاهم .

(٨) السوابق : من صفات الخيل ، أى إن الصحف كانت عدّة لنا فى الجهاد .

كانتْ صِمامًا للنُّفُوسِ إذا غَلَتْ * فيها الهُمومُ وأَوْشَكتْ أن تَزْهَقَا

كم نَفَّسَتْ عَنْ صَدْرِ حُرٍّ واجِدٍ * لولا الصِّمامُ مِنَ الأَسَى لَتَمَزَّقا (١)

مالى أَنُوحُ على الصَّحافَةِ جازِعًا * ما ذا أَلَمَّ بها وماذَا أَحْدَقا؟ (٢)

قَصُّوا حَواشِيَها وظَنُّوا أنَّهُمْ * أَمِنُوا صَواعِقَها فكانَتْ أَصْعَقا

وأَتَوْا بحاذِقِهِمْ يَكِيدُ لها بِما * يَثْنِى عَزائِمَها فكانتْ أَحْذَقا (٣)

أَهْلًا بنابِتَةِ البِلادِ ومَرْحَبًا * جَدَّدْتُمُ العَهْدَ الَّذى قد أَخْلَقا (٤)

لا تَيْأَسُوا أَنْ تَسْتَرِدُّوا مَجْدَكُمْ * فَلَرُبَّ مَغْلُوبٍ هَوَى ثمّ ارْتَقَى

مَدَّتْ له الآمالُ مِنْ أَفْلاكِها * خَيْطَ الرَّجاءِ إلى العُلا فتَسَلَّقا (٥)

فتَجَشَّمُوا لِلمَجْدِ كلَّ عَظِيمَةٍ * إنِّى رأَيْتُ المَجْدَ صَعْبَ المُرْتَقَى (٦)

مَنْ رامَ وَصْلَ الشمسِ حاكَ خُيُوطَها * سَبَبًا إلى آمالِه وتَعَلَّقا (٧)

عارٌ على ابْنِ النِّيلِ سَبَّاقِ الوَرَى * ـ مَهْمَا تَقَلَّبَ دَهْرُه ـ أنْ يُسْبَقا

أَوَ كلَّما قالوا تَجَمَّعَ شَمْلُهُمْ * لَعِبَ الشِّقاقُ بجَمْعِنا فتَفَرَّقا (٨)

---

(١) نفست : خففت . والواجد : الحزين . والأسى (بفتح الهمزة) : الحزن . و«من الأسى» متعلق بقوله «لتمزقا» .

(٢) ألم : نزل . وأحدق : أحاط .

(٣) يريد «بحاذقهم» : بطرس غالى باشا رئيس النظار إذ ذاك . ويريد بقوله «فكانت أحذقا» : أنها كانت تؤدى عملها فى نقد الحكومة بمهارة ومداورة حتى لا تؤاخذ .

(٤) نابتة البلاد : فتيها وشبانها . وأخلق : بلى ورث .

(٥) تسلق : صعد .

(٦) تجشموا : تكلفوا .

(٧) حاك : نسج . والسبب : الحبل . يقول : إن من يريد أن يبلغ معالى الأمور تلمس الوسائل لها مهما بدا من ضعفها أو استحالتها .

(٨) الشقاق : الخلاف والعداوة .

فتدفقوا حُجَجًا وحُوطُوا نِيلَكُمْ * فلكَمْ أفاضَ عليكُمُ وتدفقا (١)

حَمَلُوا علينا بالزمانِ وصَرْفِه * فتأنقوا فى سَلْبِنا وتأنقا (٢)

هَزُّوا مَغارِبَها فهابَتْ بأسَهُمْ * يا وَيْلَكُمْ إنْ لَمْ تَهُزُّوا المَشْرِقا (٣)

فتعلَّمُوا فالعِلْمُ مِفْتاحُ العُلا * لَمْ يُبْقِ باباً للسَّعادةِ مُغْلَقا

ثمّ اسْتَمِدُّوا منه كلَّ قُواكُمُ * إنّ القَوىَّ بكلِّ أرْضٍ يُتَّقَى

وابْنُوا حَوالَىْ حَوْضِكُمْ مِنْ يَقْظَةٍ * سُورًا وخُطُّوا مِنْ حِذارٍ خَنْدَقا (٤)

وزِنُوا الكَلامَ وسَدِّدُوهُ فإنّهُمْ * خَبَأُوا لكمْ فى كلِّ حَرْفٍ مَزْلَقا (٥)

وامْشُوا على حَذَرٍ فإنّ طَرِيقَكُمْ * وَعْرٌ أطافَ به الهَلاكُ وحَلَّقا (٦)

نَصَبُوا لكمْ فيه الفِخاخَ وأرْصَدُوا * للسّالِكين بكلِّ فَجٍّ مَوْبِقا (٧)

الموتُ فى غِشْيانِه وطُرُوقِه * والموتُ كلُّ الموتِ ألّا يُطْرَقا (٨)

فتَحَيَّنُوا فُرَصَ الحياةِ كثيرةً * وتَعَجَّلُوها بالعَزائِمِ والرُّقَى (٩)

---

(١) حاطه : صانه وحفظه . (٢) حملوا علينا بالزمان ، أى حاربنا المحتلون بحوادث الزمان ونوائبه . وتأنق فى الأمر : بالغ فيه . (٣) يقول : إن للإنجليز من الحول والقوة ما أرهبوا به دول الغرب ، فليكن لكم أيها المصريون بين أمم الشرق ما للإنجليز بين أمم الغرب . (٤) المراد (بالحوض) هنا : الحمى . (٥) المزلق : مكان الانزلاق ، أى الزلل والسقوط .

(٦) الوعر : الصعب . وحلق : ارتفع . يريد أن الهلاك قد غشى طريقكم من كل مكان .

(٧) الفج : الطريق . والموبق : المهلك . (٨) يريد أن طريق الأمة الى المجد والحرية مملوء بأسباب الهلاك ، على أن ما نحن فيه من استنامة ودعة ورضى بالاستعباد والذل موت أكبر ، ففى الإقدام موت ، وفى الإحجام موت أعظم ، فتحينوا الفرص ، وهو ما يقوله فى البيت الآتى .

(٩) تعجل الأمر : طلبه عاجلا . والرقى : جمع رقية ، وهى معروفة . ويريد «بالعزائم والرقى» هنا : قوة الدهاء والتلطف فى الحيلة ، وحسن التأتى إلى المقاصد .

أَو فاخلُقُوها قادِرِينَ فإنَّما * فُرَصُ الحَياةِ خَلِيقَةٌ أنْ تُخْلَقا

وتَفيَّئُوا ظِلَّ الأَرِيكَةِ وٱقصِدُوا (١) * مَلِكًا بأمَّتِه أَبَرَّ وأَرْفَقَا

لا زالَ تاجُ المُلْكِ فوقَ جَبِينِه (٢) * تَحتَ الهِلالِ يَزِينُ ذاكَ المَفْرِقَا

تحية الأسطول العثمانى

أنشدها فى حفل أقيم بتياترو عباس فى ٩ مارس سنة ١٩١٠ م برآسة رءوف باشا المعتمد العثمانى

بالّذى أَجْراكِ يا رِيحَ الخُزامَى (٣) * بَلِّغِي البُسْفُورَ عن مِصْرَ السَّلامَا

وٱقطِفِي مِنْ كلِّ رَوْضٍ زَهْرَةً (٤) * وٱجعَلِيها لتَحايانا كِماما

وٱنْثُرِي رَيّاكِ فى ذاكَ الحِمَى (٥) * والْثِمِي الأَرْضَ إذا جِئْتِ الإماما

مَلِكٌ للشَّرْقِ فى أيّامِه * هِمّةُ الغَرْبِ نُهوضًا وٱعتزاما

أَيُّها القائمُ بالأَمْرِ لقد * قُمْتَ فى النّاسِ فأَحْسَنْتَ القِياما

جَرِّدِ الرأيَ فكَمْ رَأْيٍ إذا (٦) * سُلَّ مِنْ غِمْدِ النُّهَى فَلَّ الحُساما

---

(١) تفيئوا ظل الأريكة ، يطلب إليهم أن يلتجئوا إليها و يستظلوا بها . والأريكة : سرير الملك .

(٢) مفرق الرأس : وسطه ، وهو حيث يفرق فيه الشعر .

(٣) الخزامى : نبات عطرى زهره من أطيب الأزهار نفحة ؛ وهذا النبات يقارب البنفسج ، و زهره إلى الزرقة واللازوردية .

(٤) الكمام : أغطية الزهر ؛ الواحد كم (بكسر الكاف وتشديد الميم) . يقول : حوطى تحايانا بأزهار الرياض . ويشير بذلك إلى أن التحايا التى يبعث بها إلى البسفور أذكى من الأزهار ريحا ، لأن الأزهار أذكى من أكمامها وأطيب نفحة .

(٥) الريا : الرائحة الطيبة . ويريد «بالإمام» : خليفة المسلمين .

(٦) النهى : العقول ؛ الواحد نهية . وفل الحسام : ثلمه وكسره .

وابعث الأسطول ترمي دونه * قوة الله وراءً وأماما
يكلأ الشرق ويرعى بقعة * رفع الله بها (البيت الحراما) (١)
وثغوراً هي أبهى منظراً * من ثغور الغيد يبدين ابتساما (٢)
خصها الله بأفق مشرق * ضم في اللألاء (مصراً) و (الشاما) (٣)
حي يا مشرق أسطول الألى * ضربوا الدهر بسوط فاستقاما (٤)
ملكوا البر فلما لم يسع * مجدهم نالوا من البحر المراما
بجوار منشآت كالدمى * أينما سارت صبا البحر وهاما (٥)
كلما أوفت على أمواجه * سجد الموج خشوعاً واحتشاما (٦)
كان بالبحر اليها ظمأ * وعجيب يشتكي البحر الأواما (٧)
فهي في السلم جوار تجتلى * تبهر العين رواء ونظاما (٨)
وهي في الحرب قضاء سابح * يدع الخصن تلالا ورجاما (٩)

(١) يكلأ الشرق : يحفظه ويصونه . ويريد «بالبقعة» : الحجاز .
(٢) الغيد : جمع غادة ، وهي المرأة الليئة الناعمة .
(٣) اللألاء : الضياء .
(٤) «ضربوا الدهر ... الخ» : يريد أنهم أخضعوه لسطوتهم وعزمهم فاستقام لهم .
(٥) الجواري المنشآت : السفن . والدمى : جمع دمية ، وهي الصورة المنقشة المزينة . شبه السفن بها في جمالها .
(٦) أوفت : أشرفت . والاحتشام : الحياء .
(٧) الأوام : شدة العطش .
(٨) تجتلى : ينظر اليها الناس معجبين بحسنها ورونقها . والرواء (بضم الراء) : حسن المنظر .
(٩) الرجام : الحجارة ، الواحد رجمة (بضم الراء وسكون الجيم) .

ما نُجُومُ الرَّجْمِ مِنْ أَبْراجِها * إِثْرَ عِفْرِيتٍ مِنَ الجِنِّ تَرامَى (١)

مِنْ مَرامِيها بِأَنْكَى مَوْقِعًا * لَا ولَا أَقْسَى مِراسًا وعُرَاما (٢)

وهِيَ بُرْكانٌ اذا ما هَاجَها * هائِجُ الشَّرِّ عِداءً وخِصاما

جَبَلَ النارِ لقد رُعْتَ الوَرَى * أَنْتَ فى حالَيْكَ لا تَرْعَى ذِماما (٣)

أَنْتَ فى البَرِّ بَلاءٌ فإذا * رَكِبَ البَحْرَ غَدَا مَوْتًا زُؤاما (٤)

فاتَّقُوا الطَّوْدَ مَكِينًا راسِيًا * واتَّقُوا الطَّوْدَ اذا ما الطَّوْدُ عاما (٥)

حَمَلَتْ حَرْبًا فكانَتْ حِقْبَةً * نُذُرًا للمَوْتِ تَجْتاحُ الأَنَاما (٦)

خافَها العالَمُ حتّى أَصْبَحَتْ * رُسُلًا تَحْمِلُ أَمْنًا وسَلاما (٧)

بُعِثَ المَشْرِقُ مِنْ مَرْقَدِه * بعدَ حِينٍ ، جَلَّ مَنْ يُحْيِي العِظاما

أَيُّها الشَّرْقُ شَمِّرْ لا تَنَمْ * وانْفُضِ العَجْزَ فإنّ الجِدَّ قاما

---

(١) ترامى ، أى تتراى وتتساقط . ويشير الى أن الجن كانوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يسترقون السمع من السماء ، فلما بعث صلى الله عليه وسلم صاروا يرجم بالشهب كل من يريد منهم الدنو من السماء واسترقاق السمع ؛ وقد حكى الله تعالى ذلك فى القرآن فى سورة الجن . (٢) أنكى : خبر «لما» فى قوله السابق : «ما نجوم» . والعرام : الشراسة والأذى والحدّة . يريد أن الشهب التى يرجم بها الجن المسترقون السمع من السماء ليست أشدّ وقعا ولا أنكى عذابا من قذائف هذه السفن فى الحرب .

(٣) رعت : أفزعت . والذمام : الحرمة والعهد . (٤) يشير بقوله «أنت فى البر» : الى البراكين المعروفة . وبقوله « فاذا ركب البحر » : إلى الأسطول ، تشبيها له بالبراكين . جعل للبركان مظهرين : مظهره الحقيق فى البر ، ومظهره المجازى فى الأسطول . (٥) الطود : الجبل العظيم . (٦) الحقبة من الدهر : مدة لاحدّ لها . وتجتاح الأنام : تهلكهم .

(٧) يريد بهذا البيت والذى قبله : أن هذه السفن خدمت الحرب والسلم معا ، فكانت فى الحرب رسل موت تحصد الأرواح ، وهى لقوتها وكمال استعدادها أخافت الأعداء فتجنبوا حربها ، فكانت مبعث سلم أيضا .

وامتطِ العَزْمَ جَوادًا لِلعُلَا * وٱجعَلِ الحِكْمَةَ للعَزْمِ زِمَاما (١)

وإذا حاوَلْتَ فى الأُفْقِ مُنًى * فٱرْكَبِ البَرْقَ ولا تَرْضَ الغَمَامَا (٢)

لا تَضِقْ ذَرْعًا بما قال العِدا * رُبَّ ذى لُبٍّ عن الحَقِّ تَعامَى

سابِقِ الغَرْبِىَّ وٱسبِقْ واعتَصِمْ * بالمُروءاتِ وبالبَأْسِ ٱعتِصاما

جانِبِ الأَطْماعَ وانْهَجْ نَهْجَه * وٱجعَلِ الرَّحْمَةَ والتَّقْوَى لِزاما

طَلَبُوا مِنْ عِلْمِهِمْ أَنْ يُعْجِزُوا * قادِرَ المَوْتِ وأَنْ يَثْنُوا الحِماما (٣)

وأَرادُوا منه أَنْ يَرْفَعَهُمْ * فوقَ هامِ الشُّهْبِ فى الغَيْبِ مَقاما (٤)

(قُتِلَ الإنْسَانُ ما أَكْفَرَهُ) * طاوَلَ الخالِقَ فى الكَوْنِ وَسامَى (٥)

أَحْرَجَ الغَيْبَ إلى أَنْ بَزَّهُ * سِرُّه بَزًّا ولَمْ يَخْشَ ٱنتِقاما (٦)

قُوَّةَ الرَّحْمنِ زِيدِينا قُوًى * وأَفِيضِى فى بَنِى الشَّرْقِ الوِئاما

أَفْرِغِى مِنْ كَلِّ صَدْرٍ حِقْدَهُ * أَمْلِإِ التارِيخَ والدُّنْيا كَلاما

أَسأَلُ اللهَ الذى أَلْهَمَنا * خِدْمَةَ الأَوْطانِ شَيْخًا وغُلاما

أَنْ أَرَى فى البَحْرِ والبَرِّ لنا * فى الوَغَى أَندادَ (طُوجُو) و(أُيَاما) (٧)

---

(١) الزمام : ما تقاد به الدابة . (٢) يريد « بركوب البرق » : شدة السرعة ، لأن بطء الغمام لا يصلح مطية للجدّ . (٣) قادر الموت : مقدّره ، وهو الله تعالى .

(٤) الهام : الرءوس . الواحدة هامة . والشهب : النجوم . (٥) طاول : غالب . وساماه مساماة : باراه فى السمو . (٦) بزه : سلبه . (٧) الوغى : الحرب . والأنداد : الأشباه . وطوجو وأياما : قائدان يابانيان معروفان .

حرب طرابلس[1]

[فى سنة ١٩١٢ م]

طَمَعٌ أَلْقَى عنِ الغَرْبِ اللِّثَاما * فاستَفِقْ يا شَرْقُ واحذَرْ أنْ تَنَاما[2]

واحمِلِي أيَّتُها الشمسُ إلى * كلَّ مَنْ يَسْكُنُ والشَّرقِ السَّلاما

وأشهَدِي يومَ التَّنادِي أنَّنا[3] * فى سَبِيلِ الحَقِّ قد مِتْنا كِراما

مادَتِ الأَرْضُ بِنَا حِينَ انتَشَتْ[4] * مِنْ دَمِ القَتْلَى حَلالًا وحَرَاما

عَجَزَ الطُّلْيانُ عَنْ أبطالِنا[5] * فأعَلُّوا مِنْ ذَرارِينا الحُسَاما

كَبَّلُوهُمْ، قَتَلُوهُمْ، مَثَّلُوا[6] * بذَوَاتِ الخِدْرِ، طاحُوا بالِيَمَى

ذَبَحُوا الأَشْياخَ والزُّمْنَى[7] ولَمْ * يَرْحَمُوا طِفْلًا ولَمْ يُبْقُوا غُلاما

أَحْرَقُوا الدُّورَ، أَسَحَّتْ كلَّ ما[8] * حَرَّمَتْ (لاهايُ) فى العَهْدِ احتراما

بارَكَ المَطْرانُ[9] فى أَعْمالِهِمْ * فَسَلُوه بارَكَ القَوْمَ عَلاما؟

---

(١) ترجع أطماع إيطاليا فى طرابلس منذ بدأت أوربا تنشط فى اقتسام افريقيا . ولما رأت إيطاليا أن إنجلترا وفرنسا صارتا صاحبتى النفوذ فى مصر وتونس ، قويت أطماعها فى طرابلس . ولم تأت سنة ١٩١٢ م حتى أغارت إيطاليا على طرابلس تريد انتزاعها من تركيا ، وفى هذه الحرب يقول الشاعر قصيدته .

(٢) اللثام (بالكسر) : النقاب . أى إن أمم الغرب قد كشفوا عما يضمرون للشرق من اقتسامه بينهم . (٣) يوم التنادى : يوم القيامة . (٤) مادت الأرض : اضطربت . وانتشت : سكرت . (٥) أعلوا ، أى سقوا . وأصل الإعلال : السق بعد السق . (٦) طاح به : ذهب به وأهلكه . (٧) الزمنى : ذوو العاهات ؛ الواحد : زمن (بفتح الأول وكسر الثانى) .

(٨) يشير الى مؤتمر لاهاى الذى عقد فى سنة ١٨٩٩ م بدعوة من تقولا الثانى قيصر روسيا للقضاء على أسباب الحرب ، بتقليل السلاح ، وتفويض المشاكل التى تقع بين الدول الى هيئة تحكيم يختار أعضاؤها من بين الدول . (٩) المطران (بالفتح و يكسر) : رئيس الكهنة ، وهو دون البطرق وفوق الأسقف .

أهذا جاءهم إنجيلهم * آمرًا يُلْقِى على الأرض سلاما؟
كشفوا عن نيّة الغرب لنا * وجلَوْا عن أفق الشّرق الظّلاما
فقرأناها سُطورا من دم * أقسمت تلتهم الشّرق التهاما
أطلقوا الأسطول فى البحر كما (١) * يُطلِق الرّاجل فى الجوّ الحماما
فمضى غير بعيد وانثنى * يحمل الأنباء شؤمًا وانهزاما
قد ملأنا البرّ من أشلائهم (٢) * فدعوهم يملئوا الدّنيا كلاما
أعلنوا الحرب واضمرنا لهم (٣) * أيّنا حلّوا هلاكًا واحتراما
خبّروا (فكتور) (٤) عنّا أنّه * أدهش العالم حربًا ونظاما
أدهش العالم لمّا أن رأوا * جيشه يسبق فى الجرى النّعاما
لم يقف فى البرّ إلّا ريثما * يُسلم الأرواح أو يُلقِى الزّماما
حاتم الطّليان قد قلّدتنا (٥) * منّة نذكرها عامًا فعاما
أنت أهديت إلينا عُدّة * ولباسًا وشرابًا وطعاما
وسلاحًا كان فى أيديكم * ذا كلال فغدا يفرى العظاما (٦)

(١) الراجل : الذى يرسل الحمام .
(٢) الأشلاء : الأعضاء وبقايا الأجساد ؛ الواحد شلو .
(٣) احترم القوم : استأصلهم . (٤) فكتور عمانوئيل ، هو ملك إيطاليا .
(٥) شبه ملك الطليان فيما تخلى عنه جيشه للأتراك فى هذه الحرب من الأشياء المذكورة بعد بحاتم الطائى الذى يضرب به المثل فى الكرم ، ولا يخفى ما فى هذا من التهكم .
(٦) كل السيف كلالا : لم يقطع . ويفرى : يشق .

أَكثِرُوا النُّزْهَــةَ فى أَحْيائِنـا * ورُبانا إنّهـا تَشْـفِى السَّـقامَا
وأَقِيمُــوا كلَّ عامٍ مَوْسِمًـا * يُشْبِـعُ الأَيْتـامَ مِنّـا والأَيامَى (١)
لستُ أدْرِى بِتُّ تَرْعَى أمَـةً * مِنْ بَنِى (التَّلْيـانِ) أمْ تَرْعَى سَوامَا (٢)
ما لَهُمْ — والنَّصْرُ مِنْ عاداتِهِمْ — * لَزِمُوا السـاحِلَ خَوْفًا واعتِصاما
أَفْلَتُـوا مِنْ نارِ (فِـيزُوفَ) إلى * نارِ حَرْبٍ لم تَكُنْ أدنَى ضِراما (٣)
لم يَكُنْ (فِـيزُوفُ) أَدْهَى حُمَمًا * مِنْ كُراتٍ تَنْفُثُ المـوتَ الزُّؤاما (٤)
إيهِ يا (فِيزُوفُ) نَمْ عنهمْ فقـد * نَفَضَتْ إفْـريقيَـا عنهـا المَنامَا
فهْىَ بُرْكانٌ لهـمْ سَخَّـرَهُ * مالِكُ المُـلْكِ جَـزاءً وانتِقـاما
لو دَرَوْا ما خَبَـأَ الشَّرقُ لهـمْ * آثَرُوا (فِيزُوفَ) واختارُوا المُقاما
تِـلْكَ عُقْـبَى أُمّـةٍ غادِرَةٍ * تَنْكُثُ العَهْـدَ ولا تَرْعَى الذِّماما (٥)
تِلْكَ عُقْبَى كلِّ جَبّـارٍ طَغَى * أو تَعـالَى أو عَـنِ الحَقِّ تَعامَى
لَو دَرَتْ (رُومَةُ) ما قَـدْ نابَهـا * فى (طَرابُلُس) أَبَتْ إلّا انتِقـاما
وأَبَى كلُّ اشْـتِراكِىٍّ بهـا * أنْ يَرَى التـاجَ عـلى رَأْسٍ أَقامَا
أَعْلَنُـوا ضَـمَّ مَغانِينَـا إلى * مُلْكِ (قُكْتُورَ) ولَمْ يَخْشَوْا مَلاما (٦)

(١) الأيامى : جمع أيم (بتشديد الياء)، وهى من لا زوج لها . (٢) السوام : الإبل الراعية .
(٣) فيزوف : بركان فى جنوبى إيطاليا معروف . (٤) الحمم : جمع حممة، وهى كل ما احترق من النار . يريد ما يقذفه بركان فيزوف . ويريد «بالكرات» : قذائف المدافع . والزؤام : الكريه .
(٥) الذمام : الحق والحرمة . (٦) المغانى : المنازل؛ الواحد مغنى (بفتح فسكون) .

أَعْلَنُوا الضَّمَّ ولمَّا يَفْتَحُوا * قِيدَ أُظْفُورٍ وَرَاءً أو أَمَامَا (١)

فَٱعْجَبُوا مِنْ فاتِحٍ ذِى مِرَّةٍ * يَحْسَبُ النُّزْهَةَ فى البَحْرِ صِدَاما (٢)

ويَرَى الفَتْحَ ٱدِّعاءً باطِلاً * وٱفْتِراءً وٱحْتِجاجًا وٱحْتِكَاما

أيُّها الحائِرُ فى البَحْرِ ٱقْتَرِبْ * مِنْ حِمَى (البُسْفُورِ) إنْ كنتَ هُماما

كم سَمِعْنا عَنْ لِسانِ البَرْقِ ما * يُزْعِجُ الدُّنْيا إذَا الأُسْطُولُ عاما

عامَ شَهْرَيْنِ ولَمْ يَفْتَحْ سِوَى * هُوَّةٍ فيها المَلايِينُ تَرَامَى (٣)

دَفَنُوا تاريخَهُمْ فى قَاعِها * ورَمَوْا فى إثْرِهِ المجدَ غُلامَا

فاطْمَئِنِّى أُمَّ الشَّرْقِ ولا * تَقْنَطِى اليومَ فإنّ الجَدَّ قاما (٤)

إنّ فى أَضْلاعِنا أفئدةً * تَعْشَقُ المجدَ وتَأْبَى أنْ تُضَامَا (٥)

منظومة تمثيليّة

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطليانى لمدينة بيروت انتقاما من الأتراك؛ وذلك فى عهد نشوب الحرب الطرابلسية التى وقعت بين الإيطاليين والترك فى سنة ١٩١٢م. وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت، وزوج له اسمها (ليلى)، وطبيب، ورجل عربى

الجريح:

(لَيْلاىَ) ما أنا حَيٌّ * يُرْجَى ولا أنا مَيْتُ

لَمْ أَقْضِ حَقَّ بِلادِى * وهأَنَا قَدْ قَضَيْتُ (٦)

---

(١) قيد أظفور (بفتح القاف وكسرها)، أى مقدار ظفر. (٢) المرة (بالكسر): القوة والشدة.
(٣) ترامى: تترامى. (٤) الجد (بالفتح): الحظ. والمراد «بقيامه»: انتعاشه.
(٥) تضام: تظلم. (٦) قضيت: مت.

شَفَيْتُ نَفْسِي لَوَ انِّي * لَمَّا رُمِيتُ رَمَيْتُ

(بَيْرُوتُ) لو أنَّ خَصْمًا * مَشَى إلَيَّ مَشَيْتُ

أو داسَ أَرْضَكِ باغٍ * لَدُسْتُهُ وبَغَيْتُ

أَو حَلَّ فيكِ عَدُوٌّ * مُنازِلٌ ما ٱتَّقَيْتُ

لكنْ رَماكِ جَبانٌ * لو بان لى لٱشْتَفَيْتُ (١)

(لَيْلاىَ) لاتَحْسَبِيني * على الحياةِ بَكَيْتُ

ولا تَظُنِّي شَكاتِي * مِنْ مَصْرَعى إن شَكَوْتُ (٢)

ولا يُخِيفَنْكِ ذِكْرِى * (بَيْرُوتَ) أَنّى سَلَوْتُ (٣)

(بَيْرُوتُ) مَهْدُ غَرامِي * فيهِا وفيكِ صَبَوْتُ (٤)

جَرَرْتُ ذَيْلَ شَبابى * لَهْوًا وفيها جَرَيْتُ

فيها عَرَفْتُكِ طِفْلًا * ومِنْ هَواكِ ٱنْتَشَيْتُ (٥)

ومِنْ عُيونِ رُباهَا * وعَذْبِ فِيكِ ٱرْتَوَيْتُ (٦)

فيها (لِلَيْلَى) كِناسٌ * ولِي مِنَ العِزِّ بَيْتُ (٧)

---

(١) اشتفى : أخذ بثأره فشفى بذلك نفسه . (٢) الشكاة : الشكوى .

(٣) أى لاتخشى بالليلى من سلوتى إياك حينما أذكر بيروت ، فكلاكما فى الحب عندى سواء ، كما يتبين ذلك من الأبيات الآتية .

(٤) صبا : مال . أى إن شوقى وغرامى وميلى فيك وفيها .

(٥) انتشى : سكر .

(٦) الربا : ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة ربوة . وعذب فيك ، أى ريقك العذب .

(٧) الكناس : بيت الظبى الذى يأوى إليه .

فيها بَنَى لِيَ مَجْدًا * أوائِلِي وبَنَيْتُ

(لَيْلَى)[1] سِراجُ حَياتِي * خَبَا فما فيه زَيْتُ

قد أَطْفَأَتْهُ كُرَاتٌ[2] * ما مِنْ لَظاهُنَّ فَوْتُ

رَمَى بِهِنَّ بُغَاةٌ * أَصَبْنَنِي فَتَوَيْتُ[3]

ليلى :

لو تُفْتَدَى بِحَياتِي * مِنَ الرَّدَى لَفَدَيْتُ

ولو وَقاكَ وَفِيٌّ * بِمُهْجَةٍ لَوَقَيْتُ

إنْ عِشْتَ أو مِتَّ إِنِّي * كما نَوَيْتَ نَوَيْتُ[4]

الجريح :

(لَيْلاىَ) عِيشِي وقَرِّي * إذَا الحِمامُ دَعانِي

(ليلاىَ) ساعاتُ عُمْرِي * مَعْدُودَةٌ بالثَّوانِي

فَكَفْكِفِي مِنْ دُمُوعٍ * تَفْرِي حُشاشَةَ فانِي[5]

وَمَهِّدِي لِيَ قَبْرًا * على دُرا (لُبْنانِ)

ثم اكْتُبِي فوقَ لَوْحٍ * لِكُلِّ قاصٍ ودانِي:

---

(١) حيا : محمد وطفى . (٢) يريد « بالكرات » : قذائف المدافع المعروفة بالقنابل . واللظى : النار ، أو لهبها . والفوت : الافلات . (٣) نويت : أى هلكت . (٤) كما نويت نويت ، أى أنى جعلت حياتى وموتى تبعا لحياتك وموتك . (٥) تفرى : تقطع . والحشاشة : بقية الروح فى المريض .

هُنا الّذى مات غَدْرًا * هُنا فَتَى الفِتْيانِ
رَمَتْهُ أَيْدِى جُناةٍ * مِنْ جِيرَةِ النِّيرانِ (١)
قُرْصانُ بَحْرٍ تَوَلَّوا * مِنْ حَوْمَةِ المَيْدانِ (٢)
لَمْ يَخْرُجوا قِيدَ شِبْرٍ * عَنْ مَسْبَحِ الحِيتانِ
ولَمْ يُطِيقُوا ثَباتًا * فِى أَوْجُهِ الفُرْسانِ
فَشَمَّرُوا لانتِقامٍ * مِنْ غافِلٍ فى أَمانِ
وسَوَّدُوا وَجْهَ (رُومًا) * بالكَيْدِ لِلجِيرانِ
تَبًّا لَهُمْ مِنْ بُغاثٍ * فَرُّوا مِنَ العِقْبانِ (٣)
لو أَنَّهُم نازَلُونَا * فى الشّامِ يومَ طِعانِ
رَأَوْا طَرابُلُسَ تَبْدُو * لهُم بكُلِّ مَكانِ
يا لَيْتَنى لَمْ أُعاجِلْ * بالمَوتِ قَبْلَ الأَوانِ
حتّى أَرَى الشَّرْقَ يَسْمُو * رَغْمَ اعتِداءِ الزَّمانِ
ويَسْتَرِدُّ جَلالًا * له ورِفْعَةَ شانِ
ولْيَعْلَمِ الغَرْبُ أَنّا * كُأُمَّةِ (اليابانِ)

(١) يريد « بجيرة النيران » : الإيطاليين ، لوجود البراكين فى بلادهم .
(٢) قرصان البحر : لصوصه . وحومة الميدان : موضع القتال . يريد ميدان طرابلس .
(٣) البغاث ؛ طيور يضرب بها المثل فى الضعف . والعقبان : جمع عقاب ، وهو من الطيور الجوارح ، والعرب تسميه (الكاسر) .

لا تَرْتَضِى العَيْشَ يَجْرِى * فى ذِلَّةٍ وهَوانِ

أَرَاهُمُ أَنْزَلُونا * مَنازِلَ الحَيَوانِ

وأَخْرَجُونا جَمِيعًا * عَنْ رُتْبَةِ الإِنْسانِ

وسَوْفَ تَقْضِى عليهم * طَبائِعُ العُمْرانِ (١)

فيُصْبِحُ الشَّرْقُ غَرْبًا * ويَسْتَوِى الخافِقانِ (٢)

لاهُمَّ جَدِّدْ قُوانا * لِخِدْمَةِ الأَوْطانِ (٣)

فنَحْنُ فى كلِّ صُقْعٍ * نَشْكُو بكلِّ لِسانِ (٤)

يا قومَ إنجيلِ (عِيسَى) * وأُمَّةَ القُرآنِ

لا تَقْتُلوا الدهرَ حِقْدًا * فالمُلْكُ للدَّيَّانِ

ليلى :

إِنِّى أَرَى مِنْ بَعِيدٍ * جَماعَةً مُقْبِلِينَا

لَعَلَّ فيهِمْ نَصِيرًا * لَعَلَّ فيهِمْ مُعِينا

العربىّ :

هَوِّنْ عليكَ، تَماسَكْ * إِنِّى سَمِعْتُ أَنِينا (٥)

أَظُنُّ هٰذَا جَرِيحًا * يَشْكُو الأَسَى أَوْ طَعِينا

باللهِ ماذا دَهاهُ * يا هَذه خَبِّرِينا؟

(١) يريد « بطابع العمران » : سنة فى الترقى من حسن إلى أحسن ، كما يدل عليه البيت الآتى .

(٢) الخافقان : المشرق والمغرب . (٣) لاهم ، أى اللهم .

(٤) الصقع (بالضم) : الناحية ، والجمع أصقاع . (٥) تماسك : تمالك .

ليلى :

لقد دهتْهُ المنايا * مِنْ غارة الخائنينا
صَبُّوا علينا الرَّزايا * لَمْ يَتَّقُوا اللهَ فينا
خَفِّفُوا مِنْ أَذاهُ * إنْ كنتمُ فاعلينا

العربيّ :

لا تَيْأسِي، وتَجَلَّدْ * أُراكَ شَهْمًا رَكِينا (١)
أَبْشِرْ فإنكَ ناجٍ * واصبِرْ مع الصّابِرينا

الطبيب :

أواه إنِّي أراهُ * بالموت أَمْسَى رَهينا
جِراحُه بالغاتٌ * تُعْيِي الطَّبِيبَ الفَطِينا
وعَنْ قَرِيبٍ سيَقْضِي * غَضَّ الشَّبابِ حَزِينا (٢)

العربي :

أُفٍّ لقَوْمٍ جِياعٍ * قد أَزْعَجُوا العالَمِينا
قِراهُمُ أين حَلُّوا * ضَرْبٌ يَقُدُّ المُتُونا (٣)
عَقُّوا المُروءَةَ هَدُّوا * مَفاخِرَ الأَوَّلِينا
عاثُوا فَسادًا وفَرُّوا * يَسْتَعْجِلُونَ السَّفِينا (٤)

(١) الركين : الرزين . (٢) يقضي يموت . (٣) القرى : ما يقدّم للضيف . ويقدّ : يقطع . والمتون : الظهور ؛ الواحد : متن . (٤) السفين : السفن ؛ الواحدة سفينة .

وألبسوا الغرب خزيًا * فى قرنه العشرينا

وألجموا كل داعٍ * وأخرجوا المصلحينا

فيا (أربة) مهلًا * أين الذى تدّعينا

ما ذا تريدين منّا * والداء أمسى دفينا

أين الحضارة إنّا * بعيشنا قد رضينا

لم نؤذ فى الدهر جارًا * ولم نخاتل خدينا (١)

(مسرّة) الشام إنّا * إخوانكم ما حيينا (٢)

ثقوا فإنّا وثقنا * بكم وجئنا قطينا (٣)

إنّا نرى فيك (عيسى) * يدعو إلى الخير فينا

قربت بين قلوبٍ * قد أوشكت أن تبينا (٤)

فأنت فخر النصارى * وصاحب المسلمينا

الجريح :

رأيت يأس طبيبى * وهمسه فى فؤادى

لا تنددينى فإنّى * أقضى وتحيا بلادى

---

(١) لم نخاتل : لم نخادع . والخدين : الصاحب .

(٢) مسرة الشام : مطران كبير لطائفة الروم الأرثوذكس من أسرة مسرة المعروفة ببيروت ، وكان يعنى بالجرحى فى هذه الحادثة .

(٣) القطين : أهل الدار المقيمون بها . يريد أن المسلمين والنصارى أهل وطن واحد فى تلك البلاد .

(٤) تبين : تنفصل .

العـــربى :

أســـتَوْدِعُ اللهَ شَهْمًا * نَدْبًا طَـويلَ النِّـجادِ (١)

أَسْـــتَودِعُ اللهَ رُوحًا * كانتْ رَجاءَ البِـــلادِ

فيـا شَهِيـدًا رَمَتْـــهُ * غَدْرًا كُراتُ الأَعادِى

نَمْ هانِئًـا مُطْمَـــئِنًّا * فـــلَمْ تَنَمْ أَحْقَـادِى

فسَـوْفَ يُرْضِـيكَ ثَأْرٌ * يُذِيبُ قَلْبَ الجَمـادِ

استقبال الطيار العثمانى فتحى بك

نشرت فى سنة ١٩١٤ م ويلاحظ أن هذه القصيدة كانت قد أعدت لاستقبال الطيار المذكور، فسقطت به طائرته، ومات قبل إتمام رحلته الى مصر، فرأى حافظ من الوفاء نشر هذه القصيدة بعد موته لتكون له حيا وميتا

أَهْـــلًا بأَوَّلِ مُسْـــلِمٍ * فى المَشْرِقَيْنِ عَـلَا وَطَـارْ

النِّيـــلُ والبُسْـــفُورُ فِيـ * ـكَ تَجـاذَبا ذَيْـلَ الفَخارْ (٢)

يـومَ ٱمتَطَيْتَ بُراقَـكَ الْـ * ـمَيْمُونَ وٱجـتَرْتَ القِفارْ (٣)

تَلْهُـــو وتَعْبَثُ بالـــرِّيَا * ـحِ عـلى المَفـاوِزِ والبِحارْ (٤)

---

(١) الندب : الذى اذا ندب إلى الحاجة خف لقضائها . والنجاد : حمائل السيف ، وطول النجاد : كناية عن طول القامة .

(٢) كنى «بالنيل والبسفور» عن مصر وتركيا .

(٣) البراق : الدابة التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج . شبه الشاعر طائرة فتحى بك بها فى سرعتها ويمنها .

(٤) المفاوز : جمع مفازة ، وهى الفلاة الواسعة التى لا ماء فيها .

لو سابَقَتْكَ سَوابِقُ الْـ * ـأفكارِ أَدْرَكَها العِثارْ (١)

حَسَدَتْكَ فى الأُفُقِ البُرُو * قُ وغارَ فى الأرضِ البُخارْ (٢)

تَجْرِى بسابِحَةٍ تَشُقُّ * سَبِيلَها شَقَّ الإزارْ (٣)

وتَكادُ تَقْدَحُ فى الأَثِيـ * ـرِ فيَسْتَحِيلُ الى شَرارْ

مِثْلَ الشِّهابِ انْقَضَّ فى * آثارِ عِفْرِيتٍ وَثارْ (٤)

فإذا عَلَتْ فكَدَعْوَةِ الْـ * مُضْطَرِّ تَخْتَرِقُ السِّتارْ (٥)

وإذا هَوَتْ فكما هَوَتْ * أُنْثَى العُقابِ على الْهَزارْ (٦)

وتُسِفُّ آوِنَةً وآ * وِنَةً يَجِدُّ بها ازْوِرارْ (٧)

فيَخالُها الرَّاؤُونَ قد * قَرَّتْ وليس بها قَرارْ

لَعِبَ الْجَوادِ أَقَلَّ لَيْـ * ـثًا مِنْ قُضاعَةَ أو نِزارْ (٨)

---

(١) يصفه فى هذا البيت بالسرعة حتى إنه يسبق الفكر فيما يخطر به من خواطر .

(٢) كنى «بالبخار» عن القواطر البخارية .

(٣) يريد بالسابحة : الطائرة ، شبهها بالسفينة السابحة فوق الماء ، وشبه اختراقها للفضاء بشق الثياب .

(٤) شبه الطائرة فى سرعتها بالشهاب الذى كان يرسل على كل من يحاول استراق السمع من الجن .

(٥) شبهها بدعوة المضطر ، لما روى فى الآثار من أنها ليس بينها وبين الله حجاب ، فهى تخترق الآفاق من غير أن يحول بينها وبين الصعود حائل . ويريد «بالستار» : حجاب السماء . (٦) هوت : هبطت . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب الكاسر . والهزار (بالفتح) : عصفور صغير متنوع الصوت ؛ ويقال له : العندليب . (٧) تسف : تدنو من الأرض ؛ يقال : أسف الطائر إذا دنا من الأرض حتى كادت رجلاه تصيبانها . والازورار : الانحراف .

(٨) أقل : حمل . وكنى بقوله : «ليثا من قضاعة أو نزار» عن كون الفارس عربيا . يقول : إن هذه الطائرة تلعب فى سيرها فرحا ونشاطا كما يلعب الجواد بفارسه العربى . وقضاعة ونزار : قبيلتان معروفتان .

أو كاللَّعُوبِ مِن ٱلحمَا * ئِمِ فَوْقَ مَلْعَبِه ٱستَطارْ

وكأنّها فى الأُفْقِ حِيـ * ـنَ يَميلُ مِيزانُ النَّهارْ (١)

والشَّمسُ تُلْقِى فَوْقَها * حُلَلَ ٱحمِرارٍ وٱصفِرارْ

مَلِكٌ تُمَثِّلُه لنا (السِّيما) فيأخُذُنا ٱنْبِهارْ

(فَتْحِى) بربِّكَ ما رَأَيْـ * ـتَ بذٰلِكَ الفَلَكِ المُدارْ

أَبَلَغْتَ تَسْبِيحَ المَلا * ئِكِ أو دَنَوْتَ مِن السِّرارْ (٢)

أَمْ خِفْتَ تِلكَ الرّاصِدا * تِ هُناكَ مِنْ شُهُبٍ وَنارْ (٣)

أرأيتَ سُكّانَ النُّجُو * مِ وأنتَ فى ذاكَ الجِوارْ

أهُناكَ فى (المِرِّيخِ) ما * فى الأرضِ مِن عِلَلِ الشِّجارْ (٤)

أهُناكَ يَسْتَعْدِى الضَّعِيـ * ـفُ على القَوِىِّ فلا يُجارْ (٥)

ما لِٱبنِ آدمَ زاد فى * غُلَوائِه فطَغَى وجارْ (٦)

يالَيْتَ شِعْرِى هل له * فى عالَمِ المَلَكُوتِ ثارْ (٧)

---

(١) ميلان ميزان النهار : كناية عن زوال الشمس عن وسط السماء وميلها الى جهة المغرب .

(٢) السرار (بالكسر) : مصدر سارّه (بتشديد الراء) . ويريد به هنا : مناجاة سكان السماء . يقال : سارّ فلان فلانا يساره : اذا ناجاه وأعلمه بسره . يسأل الطيار هل بلغ بطائرته من العلو إلى حيث يسمع مناجاة الملائكة فى السماء .

(٣) الراصدات : الشهب التى أعدّها الله للجن حين كانت تسترق السمع من السماء ؛ قال تعالى حكاية عن الجن : (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) .

(٤) الشجار : النزاع والخصام .

(٥) يقال : استعديت الأمير على فلان فأعدانى ، أى استعنت به عليه فأعاننى وأنصفنى منه .

(٦) الغلواء (وتسكن اللام) : التغالى . والمراد هنا : التغالى فى الأمل والطموح .

(٧) الثار : الثأر ، وسهلت الهمزة للشعر .

أم لاذَ مُعْتَصِمًا بكُرْ * سِيِّ المُهَيْمِنِ واستَجارْ

فاستَلَّ مِنْ قَلْبِ الجَما * دِ الصُّلْبِ أَجْنِحَةً وَطارْ (١)

وتَسَلَّقَ الأَجْواءَ مُمْ * تَطِيًا عَواصِفَها وسارْ

يَرْجُو النَّجاءَ مِن المَظا * لِمِ والمَغارِمِ والدَّمارْ (٢)

يأيُّها الطَّيّارُ طِرْ * فإذا بَلَغتَ مَدَى المَطارْ (٣)

فزُرِ السُّهَا والفَرْقَدَيْـ * ـنِ إذا أُتيحَ لكَ المَزارْ (٤)

وسَلِ النُّجومَ عنِ الحَيا * ةِ ففي السُّؤالِ لكَ اعتِبارْ

هُمْ يُنْبِئُونَكَ أنَّ كُلَّ الكائِناتِ إلى بَوارْ (٥)

والظُّلْمُ مِنْ طَبعِ النِّظا * مِ فإنْ ظُلِمْتَ فلا تُمارْ (٦)

إنَّ الَّذى بَرَأَ السَّدِيـ * ـمَ هو الَّذى بَرَأَ الغُبارْ (٧)

فى العالَمِ العُلْوِيِّ والـ * ـسُّفْلِيِّ أحكامٌ تُدارْ

خُلِقَ الضَّعيفُ لخِدمةِ الـ * ـأَقْوَى وليس له خِيارْ

فتَقَوَّ يَرْهَبْكَ القَوِيـ * ـُّ وهُنْ يُلازِمْكَ الصَّغارْ (٨)

---

(١) استل : انتزع . (٢) الدمار : الهلاك . (٣) مدى المطار : غايته .

(٤) السها : كوكب خفى لبعده ، وهو فى بنات نعش الصغرى . والفرقدان : نجمان يهتدى بهما .

(٥) البوار : الهلاك والدمار . (٦) ماراه يماريه مماراة : جادله ونازعه . يقول لا تنازع فى ظلم وقع عليك ولا تتبرم به ، فان تدبير العالم ونظامه يقتضيان وجود ظالم ومظلوم وقوى وضعيف .

(٧) برأ : خلق . والسديم : الضباب الرقيق .

(٨) هان يهون : ذل . والصغار : الذل .

فى الأرض ما تبغون من * عز وآمال كبار
فيها الحديد وفيه بأ * س يوم يمتهن الذمار (١)
فيها الكنوز الحافلا * ت لمن تبصر وآستنار
منها آستمد قواه من * قهر الممالك وآستعار (٢)
وبما آحتوت رد الحصيـ * ـف الرأى غارة من أغار (٣)
فى ذمة الآفاق سر * وآرجع إلى تلك الديار (٤)
وآجعل تحيتنا إلى * بلد به للملك دار (٥)
دار عليها للخلا * فة والهدى رفع المنار
دار الغزاة الفاتحيـ * ـن الصفوة الغر الخيار
فى كل حاضرة لهم * غزو ففتح فانتصار
ضربوا الزمان بسوط عز * تهم فلان لهم فدار (٦)
يمشون فى غاب القنا * مشى المرنح بالعقار (٧)

(١) الذمار (بالكسر) : ما يلزمك حفظه وحمايته . يقول : إن فى الأرض من الحديد ما تتخذ منه أسلحة نعتز بها وندفع كل من يحاول أن يعتدى علينا وينتهك من حرماتنا . (٢) « استعار » : معطوف على « استمد » ، أى استعار منها قوته وبأسه . (٣) حصيف الرأى : جيده ومحكمه وسديده .
(٤) يريد « بالديار » : بلاد تركيا موطن الطيار . (٥) يريد « بالبلد » : الآستانة مقر الخلافة .
(٦) دار ، أى دار الزمان لهم بما يشتهون . يقول : إنهم بما لديهم من عزة ومنعة قهروا الزمان على أن يواتيهم بما شاءوا . (٧) القنا : الرماح ؛ الواحدة قناة . شبهها بالغاب فى كثرتها واشتباك بعضها ببعض . والعقار (بالضم) : الخمر . والمرنح بها : الذى يتمايل فى مشيته سكرا ، شبه الجنود وقد ملئوا بنشوة الفرح بالقتال ، بشارب الخمر المترنح سكرا .

مِنْ كلِّ أَرْوَعَ فاتِكٍ (١) * لا يَسْتَشِير سِوَى الغِرارْ

ذِى مِرَّةٍ تُشْجِيه ذا (٢) * تُ النَّقْعِ لا ذاتُ الخِمار

يَغْشَى المَعامِعَ ضارِباً (٣) * بِحَياته ضَرْبَ القِمَار

لا يَنْثَنِي أو تَخْرُجَ الـ (٤) * أَجْرامُ عَنْ فَلَكِ المَدار

عَبَسَتْ لهُمْ أيّامُهُمْ (٥) * والعَبْسُ يَعْقُبُه ٱفتِرار

ما عابَهُمْ أنّ الصُّعُو * دَ يَلِيه فى الدَّهْرِ ٱنحِدار

فلِكُلِّ غادٍ رَوْحَةٌ (٦) * ولِكلِّ وُضّاءٍ سِرار

ولَسَوْفَ يَعْلُو نَجْمُهُمْ (٧) * ويَسُودُ ذَيّاكَ الشِّعار

---

(١) الأروع : هو الذى يعجبك بشجاعته ومنظره . والغرار (بالكسر) : حدّ السهم والرمح والسيف .

(٢) المرة : قوّة الخلق (بفتح الخاء) وشدّته واستحكامه . وذات النقع : الحرب لما تثيره من النقع ، وهو الغبار . والخمار (بالكسر) : ما تغطى به المرأة وجهها . يقول : إن الحرب تطرب هذا الفارس وتشوقه أكثر مما تشوقه النساء بمحاسنهن .

(٣) المعامع : الحروب ؛ الواحدة : معمعة . يقول : إن هذا الفارس يدخل الحرب مقامرا بحياته وسواء لديه أخسرها أم كسبها .

(٤) يصفه بالثبات والإقدام وأنه لا يرجع عن غايته حتى تخرج الكواكب عن أفلاكها فى الدوران .

(٥) العبس : العبوس . والافترار : التبسم والضحك الحسن .

(٦) الوضاء (بضم الواو وتشديد الضاد) : البهيج الحسن ؛ يريد البدر . والسرار (بكسر السين) : الليلة التى يستسر فيها القمر ، أى يختفى ، وذلك لا يكون إلا فى آخر الشهر ، وربما كان ليلة ، وربما كان ليلتين . وكنى بذلك عما ينتهى اليه كل نضرة وجمال من بلى وذهاب .

(٧) يريد « بالشعار » : الهلال ، وكان شعار الدولة العثمانية .

إلى معتمد بريطانيا فى مصر

قالها عند تعيين معتمد جديد لبريطانيا، وهو السر مكماهون

[نشرت فى يناير سنة ١٩١٥ م]

أَىْ (مَكْمَهُونُ) قَدِمْتَ بالْـ ... ـقَصْدِ الحَمِيدِ وبالرِّعَايَهْ

ما ذا حَمَلْتَ لنا عَنِ الْـ ... ـمَلِكِ الكَبِيرِ وعن (غِرَايَهْ)؟ (١)

أَوْضِحْ (لِمِصْرَ) الفَرْقَ ما ... بَيْنَ السِّيادَةِ والحِمَايَهْ

وأَزِلْ شُكُوكًا بالنُّفُو ... سِ تَعَلَّقَتْ مُنْذُ البِدايَهْ

ودعِ الوُعُودَ فإنّها ... فيما مَضَى كانتْ رِوايَهْ

أَضْحَتْ دُمُوعُ النِّيلِ سَلْـ ... ـطَنَةً وقد كانَتْ وِلايَهْ

فَتَعَهَّدُوها بالصَّلا ... حِ وأَحْسِنُوا فيها الوِصايَهْ

إنّا لَنَشْكُو واثِقِي ... نَ بعَدْلِ مَنْ يُشْكِى الشِّكايَهْ (٢)

نَرْجُو حَياةً حُرَّةً ... مَضْمُونَةً فى ظِلِّ رايَهْ

ونَرُومُ تَعْلِيمًا يَكُو ... نُ له مِن الفَوْضَى وِقايَهْ

ونَوَدُّ ألَّا تَسْمَعُوا ... فينا السِّعايَةَ والوِشايَهْ

أنتمْ أَطِبّاءُ الشُّعُو ... بِ وأَنْبَلُ الأَقْوَامِ غايَهْ

---

(١) غرايه، يريد السير إدوارد غراى، وزير خارجية إنجلترا إذ ذاك.

(٢) يقال: أشكيت فلانا، إذا قبلت شكواه وأرضيته وأزلت شكايته.

أنّى حَلَلْتُمْ فى البِلا * دِ لكمْ مِنَ الإصْلاحِ آيَهْ
رَسَخَتْ بِنايَةُ مَجْدِكُمْ * فَوْقَ الرَّوِيَّةِ والهِدايَه (١)
وعَدَلْتُمُ فَمَلَكْتُمُ الـ * ـدُّنْيَا وفى العَدْلِ الكِفايَهْ
إنْ تَنْصُرُوا المُسْتَضْعَفِيـ * ـنَ فنَحْنُ أَضْعَفُهُمْ نِكايَهْ
أو تَعْمَلُوا لصَلاحِنا * فَتَدارَكُوه إلى النِّهايَهْ
إنّا بَلَغْنا رُشْدَنا * والرُّشْدُ تَسْبِقُه الغَوايَهْ
لَا تَأْخُذُونا بالكَلا * مِ فلَيْسَ فى الشَّكْوَى جِنايَهْ
هَذا (حُسَيْنٌ) فَوْقَ عَرْ * شِ (النِّيلِ) تَحْرُسُه العِنايَهْ
هُوَ خَيْرُ مَنْ يَبْنِى لنا * فَدَعُوه يَنْهَضُ بالبِنايَهْ

إلى غليوم الثانى امبراطور ألمانيا

قالها بكر عليه إثارته الحرب العظمى وما ارتكبه فيها من الفظائع

[نشرت فى يناير سنة ١٩١٥ م]

لِلّهِ آثارٌ هُناكَ كَرِيمَةٌ * حَسَدَتْ رَوائِعَ حُسْنِها (بِرْلِينُ) (٢)
طاحَتْ بِها تِلْكَ المَدافِعُ تارَةً * لمّا أَمَرْتَ وتارةً (زِبْلِينُ) (٣)

---

(١) يصف فى هذا البيت الانجليز بأنهم أسسوا مجدهم على التأنى فى الأمور، واتباع سواء السبيل .

(٢) يريد آثار الحضارة فى فرنسا وغيرها من الممالك التى خربها الألمان فى الحرب العظمى .

(٣) طاحت بها ؛ أى محتها . وزبلين : يريد نوعا من الطائرات سمى باسم مخترعه ، وهو الكونت زبلين الألمانى .

ما ذا رَأَيْتَ مِنَ النَّبَّالة والعُـلا * فى عُدْمِهِـنَّ وكُلُّهُـنَّ عُيُونُ (١)

لو أنّ فى (بِرْلِينَ) عِنْـدَكَ مِثْلَها * لعَرَفْتَ كيف تُجِلُّها وتَصُونُ

إنْ كنتَ أنتَ هَدَمْتَ (رِمْسَ) فإنّه * أَوْدَى بِمَجْدِكَ رُكْنُها المَوْهُونُ (٢)

لَم يُغْنِ عنها مَعْبَـدٌ خَرَّبْتَـه * ظُلْمًا ولَمْ يُمْسِكْ عِنانَكَ دِينُ

لا تَحْسَبَنَّ الفَخْـرَ ما أَحْرَزْتَه * الفَخْرُ بالذِّكْرِ الجَمِيـلِ رَهِينُ

هلْ شِدْتَ فى (بِرْلِينَ) غيرَ مُعَسْكَرٍ * قامَتْ عليه مَعاقِلٌ وحُصُونُ

وجَمَعْتَ شَـعْبَكَ كلَّه فى قَبْضَـةٍ * إنْ لَمْ تَكُنْ لانَتْ فسَوْفَ تَلِينُ

نَظَمَتْ تِجارَتُكَ المَـدائِنَ والقُرَى * (فالنِّيلُ) ناءَ بِها وناءَ (السِّينُ) (٣)

فبِكُلِّ أَرْضٍ مِنْ رِجالِكَ عُصْـبَةٌ * وبِكلِّ بَحْـرٍ مِنْ لِدُنْكَ سَفِينُ

تَسْرِى وتَسْرُكَ أَيْنَ لُحْنَ يُظِلُّها * لا اللَّيْثُ يُزْعِجُهـا ولا التِّنِّينُ (٤)

فالأَمْرُ أمرُكَ والمُهَنَّـدُ مُغْمَدٌ * والنَّهْىُ نَهْيُكَ والسُّرَى مَأْمُونُ (٥)

---

(١) عدمهن ، أى فقدانهنّ وذهابهن .

(٢) رمس : مدينة فرنسية مشهورة بكنيستها التاريخية ، وقد خربها الألمان بمدافعهم فى الحرب الأخيرة ، ثم جدّدت بعد انتهائها . والموهون : الذى أدركه الوهن ، وهو الضعف والانحلال . يقول : إن اعتداءك على هـذا البلد أظهرك بمظهر المخرّب فانهدم بذلك ما بنيته من مجد وفخر .

(٣) يقال : ناء بالحمل ، إذا أثقله ولم يقدر على حمله . والسين : نهر بفرنسا معروف .

(٤) يريد « بالنسر » : الراية الألمانية . والليث : إشارة إلى بريطانيا . والتنين : إشارة إلى اليابان . والمعنى أن سفن التجارة الألمانية تسير مظللة براية دولتها ، فلا تقدر أية دولة مهما عظمت أن تعوقها عن سبيلها .

(٥) المهند : السيف . والمعنى أن الأمر والنهى كلاهما لك فى أيام السلم .

قد كان فى (بِرْلِينَ) شَعْبُكَ وادِعاً * يستعمر الأَسْواقَ وهِىَ سُكُونُ (١)

فُتِحَتْ له أَبْوابُها فسَبِيلُها * وَقْفٌ عليه ورِزْقُه مَضْمُونُ

فعَلامَ أَرْهَقْتَ الوَرَى وأَثَرْتَها * شَعْواءَ فيها لِلهَلاكِ فُنُونُ؟ (٢)

تاللهِ لو نُصِرَتْ جُيُوشُكَ لانْطَوَى * أَجَلُ السَّلامِ وأَفْقَرَ المَسْكُونُ

سَبْعُونَ مِلْيُونًا إذا وَزَّعْتَها * بَيْنَ الحَواضِرِ نالَنَا مِلْيُونُ

وَيْلٌ لِمَنْ يستعمرون بِلادَه * القَحْطُ أَيْسَرُ خَطْبِه والْهُونُ (٣)

أَكْثَرْتَ مِنْ ذِكْرِ الإلهِ تَوَرُّعًا * وزَعَمْتَ أَنَّكَ مُرْسَلٌ وأَمِينُ

عَجَبًا أَتَذْكُرُه وتَمْلَأُ كَوْنَه * وَيْلًا لِيَنْعَمَ شَعْبُكَ المَغْبُونُ

وكذلِكَ القَصّابُ يَذْكُرُ رَبَّه * والنَّصْلُ فى عُنُقِ الذَّبِيحِ دَفِينُ

---

(١) الوادع : الساكن المطمئن . ويستعمر، يريد : يعمر . والذى وجدناه فى كتب اللغة أنه يقال : أعمره المكان واستعمره فيه ، أى جعله يعمره . وفى التنزيل العزيز : (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)، أى أذن لكم فى عمارتها . ولم نجد فى كتب اللغة ما شاع استعماله بين كتاب العصر من قولهم : استعمرت المكان (بالبناء للفاعل) بمعنى عمرته .

(٢) أرهقت الورى : ظلمتهم وحملتهم ما لا يطيقون . وشعواء، يريد غارة شعواء أى عامة شاملة .

(٣) الهون (بضم الهاء) : الذل .

الحـــرب العظمى

[نشرت فى ١٥ يوليه سـنة ١٩١٥ م]

(١) لاهُمَّ إنّ الغَرْبَ أَصْبَحَ شُعْلَةً * مِنْ هَوْلِها أُمُّ الصَّواعِق تَفْرَقُ

(٢) العِـلْمُ يُذْكِى نارَها وتُثـيرُها * مَدَنِيَّـةٌ خَـرْقَاءُ لا تَتَرَفَّـقُ

(٣) ولقد حَسِبْتُ العِـلْمَ فينا نِعمَةً * تَأْسو الضَّعيفَ ورَحمةً تَتَدَفَّقُ

(٤) فإذا بِنِعْمَتِـهِ بَـلاءٌ مُرْهِـقٌ * واذا بِرَحْمَتِـهِ قَضـاءٌ مُطْبِـقُ

(٥) عَجَـزَ الرُّماةُ عن الرُّماةِ فأَرْسَلُوا * كِسَفًا يَمُوجُ بها دُخانٌ يَخْنُـقُ

(٦) تَتَعوَّذُ الآفاقُ منـــه وتَنْثَنِى * عَنْـهُ الرِّياحُ ويَتَّقِيـهِ الفَيْلَقُ

(٧) وتَنـابَلُوا بالكِيمياءِ فأَسْـرَفُوا * وتساجَلُوا بالكَهْرَباءِ فأَغْرَقُوا

وتَنازَلُوا فى الجوِّ حين بَدَا لَهُمْ * أنّ البَسِيطَةَ عَنْ مَداهُمْ أَضْيَقُ

(٨) نَفِسُوا على الحيتانِ واسِعَ مُلْكِها * فتَفَنَّنُـوا فى سَـلْبِه وتَأَنَّقُـوا

(٩) مَلَكُوا مَسابِحَها عَلَيْهـا بَعْدَ ما * غَلَبُوا النُّسُورَ على الجواءِ وحَلَّقُوا

إنْ كان عَهْدُ العِـلْمِ هَذا شَأْنُه * فِينا فعَهْـدُ الجاهِلِيَّـةِ أَرْفَـقُ

---

(١) لاهتم ، أى اللهمّ . وتفرق : تخاف وتفزع . (٢) يذكى نارها : يشعلها . والخرقاء : الحمقاء . ويشير الى أثر العلم فيما أوجد من مخترعات مهلكة فى الحرب . (٣) تأسو الضعيف ، أى تعمل على تقويته وتعالج ضعفه . (٤) مطبق : عام شامل . (٥) يريد «بالكسف» : قطع الدخان من الغازات السامة التى استعملت فى الحرب أخيرا ، شبهها بكسف السحاب ، أى قطعه ؛ الواحدة كسفة . (٦) الفيلق : الجيش العظيم . (٧) التنابل : الرامى بالنبل . يشير إلى استعمال المواد الكيمائية وتسخير الكهرباء فى الإهلاك والتدمير . (٨) نفس عليه الشىء : حسده عليه ولم يره أهلا له . (٩) الجواء : جمع جو . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله إلى استخدام الغواصات والطائرات فى الحروب .

مظاهرة السيدات

قالها فى مظاهرة قامت بها السيدات فى الثورة الوطنية فى سنة ١٩١٩ م

ونشرت إذ ذاك فى منشورات وطنية ، وتأخر نشرها فى الصحف إلى ١٢ مارس سنة ١٩٢٩ م

خَـرَجَ الغَـوانِي يَحْتَجِجْـ * ـنَ ورُحْتُ أَرْقُبُ جَمْعَهُنّْ

فإذا بِهِنَّ تَخِـذْنَ مِنْ * سُـودِ الثِّيـابِ شِـعارَهُنّْ

فطَلَعْنَ مِثْلَ كَواكِبٍ * يَسْطَعْنَ فى وَسَطِ الدُّجُنّْ (١)

وأَخَذْنَ يَجْتَزْنَ الطَّرِيـ * ـقَ ودارُ (سَعْدٍ) قَصْدُهُنّْ

يَمْشِينَ فى كَنَفِ الوَقا * رِ وقـد أَبَنَّ شُعُورَهُنّْ

وإذا بَجَيْـشٍ مُقْبِـلٍ * والخَيْـلُ مُطْلَقَـةُ الأَعِنّـْ

وإذا الجُنـودُ سُـيُوفُهـا * قـد صُوِّبَتْ لنُحُورِهِنّـْ

وإذا المَـدافِـعُ والبَنـا * دِقُ والصَّـوارِمُ والأَسِـنّْ (٢)

والخَيْـلُ والفُـرْسانُ قَـدْ * ضَرَبَتْ نِطـاقًا حَوْلَهُنّـْ

والـوَرْدُ والرَّيْحانُ فى * ذاكَ النَّهـارِ سِـلاحُهُنّْ

فتَطاحَنَ الجَيْشانِ سا * عاتٍ تَشِيب لها الأَجِنّـْ

فتَضَـعْضَعَ النِّسْـوانُ والنِّسْـوانُ ليسَ لهنّ مُنَّـهْ (٣)

ثم انْهَـزَمْنَ مُشَتَّتـا * تِ الشَّمْلِ نَحوَ قُصورِهِنّْ

---

(١) الدجنة : الظلمة . (٢) الصوارم : السيوف القواطع . (٣) المنة : القوّة .

فليهنأ الجيش الفخو * ر بنصره وبكسرهنّه

فكأنما الألمان قد * لبسوا البراقع بنهنّه

وأتوا (بهندنبرج)[1] مخ * تفيا بمصر يقودهنّه

فلذاك خافوا بأسهن * وأشفقوا من كيدهنّه

أياصوفيا[2]

قالها حين خيف على الآستانة أن تملكها دول الحلفاء وتنزعها من يد الأتراك

وذلك عقب الحرب العظمى، وكانت جيوش تلك الدول قد احتلت هذه المدينة

[وتأخر نشر هذه القصيدة الى سنة ١٩٣٢ م]

(أياصوفيا)[3] حان التفرّق فاذكري * عهود كرام فيك صلّوا وسلّموا

اذا عدت يوما للصليب وأهله * وحلّى نواحيك المسيح ومريم[4]

ودقّت نواقيس وقام مزمّر * من الروم فى محرابه يترنّم

فلا تنكري عهد المآذن إنه * على الله من عهد النواقيس أكرم

---

(١) هندنبرج، هو القائد الألمانى المعروف فى الحرب العظمى.

(٢) يلاحظ أننا راعينا فى وضع هذه القصيدة تاريخ قولها لا تاريخ نشرها، لأن مراعاة ذلك أجدى على مؤرخ الأدب.

(٣) أياصوفيا: أعظم مسجد فى القسطنطينية، وكان قبل الفتح العثمانى الكنيسة الأولى فى الشرق فحوّلها العثمانيون مسجدا.

(٤) يريد صورتى عيسى ومريم اللتين توضعان فى الكنائس عادة.

تَبارَكْتَ ، (بَيْتُ القُدْسِ) جَدْلَانُ آمِنٌ * ولا يَأْمَنُ (البَيْتُ العَتِيقُ) المُحَرَّمُ (١)

أَيُرْضِيكَ أَنْ تَغْشَى سَنابِكُ خَيْلِهِمْ * حِماكَ وأَنْ يُمْنَى (الحَطِيمُ) و(زَمْزَمُ)؟ (٢)

وكيف يَذِلُّ المُسْلِمُونَ وبَيْنَهُمْ * كِتابُكَ يُتْلَى كلَّ يَوْمٍ ويُكْرَمُ؟

نَبِيُّكَ مَحْزُونٌ وبَيْتُكَ مُطْرِقٌ * حَياءً وأَنْصارُ الحَقِيقَةِ نُوَّمُ

عَصَيْنا وخالَفْنا فعاقَبْتَ عادِلًا * وحَكَّمْتَ فينا اليومَ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ

مصر

أنشدها فى الحفل الذى أقيم بفندق الكونتنتال لتكريم المرحوم عدلى يكن باشا بعد عودته من أوربا قاطعا المفاوضة مع الانجليز ومستقيلا من الوزارة . نشرت فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١م

وهذه القصيدة على لسان مصر تتحدث عن نفسها

وَقَفَ الخَلْقُ يَنْظُرونَ جَمِيعًا * كيف أَبْنِى قَواعِدَ المَجْدِ وَحْدِى

وبُناةُ الأَهْرامِ فى سالِفِ الدَّهْـ * ـرِ كَفَوْنِى الكَلامَ عندَ التَّحَدِّى

أَنا تاجُ العَلاءِ فى مَفْرِقِ الشَّرْـ * ـقِ ودُرَّاتُه فَرائدُ عِقْدِى (٣)

أَىُّ شَىْءٍ فى الغَرْبِ قد بَهَرَ النّا * سَ جَمالًا ولَمْ يَكُنْ منه عِنْدِى؟

---

(١) كنى «ببيت القدس والبيت العتيق» : عن معابد النصارى ومعابد المسلمين . يقول : إن معابد النصارى فى فرح وأمن ، ومعابد المسلمين فى خوف وفزع . (٢) سنابك الخيل : أطراف حوافرها ؛ الواحد سنبك . ويمنى : يتلى ويصاب . والحطيم : مابين الركن وزمزم والمقام . جعل سقوط الآستانة فى يد الإفرنج خطرا يخشى أن يمتد إلى البيت الحرام ، لأن فى سقوط الدولة العثمانية سقوطا لولايتها . (٣) العلاء (بالفتح والمد) : الرفعة والشرف . والمفرق (كمقعد ومجلس) : وسط الرأس . والفرائد : الجواهر التى لا توائم لها لنفاستها ؛ الواحدة فريدة . ويريد «بدراته» : ممالك الشرق التى كان لمصر الزعامة عليها .

فـتُرابي تِـبْرٌ ونَهْـرِي فُـراتٌ * وسَمـائِي مَصْقُـولَةٌ كالفِـرِنْد (١)

أيْمَـا سِرْتَ جَدْوَلٌ عِنـد كَرْم * عنـد زَهْرٍ مُدَبَّرٍ عنـد رَنْد (٢)

ورِجالِي لو أَنْصَـفُوهُمْ لَسـادُوا * مِنْ كُهُـولٍ مِلْءِ العُيُـونِ ومُرْدِ (٣)

لو أَصابُوا لَهُـمْ مَجـالًا لأَبْدَوْا * مُعْجِزاتِ الذَّكاءِ فى كلِّ قَصْدِ

إنّهـمْ كالظُّبَـا أَلَحَّ عليهـا * صَدَأُ الدَّهْرِ مِنْ ثَواءٍ وغِمْدِ (٤)

فاذا صَيْـقَلُ القَضاءِ جَـلاها * كُنَّ كالمَوْتِ مالَه مِنْ مَرَدِّ (٥)

٥ أنا إنْ قَـدَّر الإلٰهُ مَمـاتى * لا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرأسَ بَعْدِى

٦ ما رَمانِى رامٍ وَراحَ سَـلِيمًا * مِنْ قَـدِيمٍ عِنـايَةُ اللهِ جُنْـدِى

٧ كم بَغَتْ دَوْلَةٌ عَلَىَّ وجارَتْ * ثمّ زالَتْ وتلْكَ عُقْـبَى التَّعَـدِّى

٨ إنّـنى حُـرَّةٌ كَسَرْتُ قُيُودِى * رَغْمَ رُقْبَى العِدَا وقَطَّعْتُ قِـدِّى (٦)

وتَمـائَلْتُ للشَّـفاءِ وقَـدْ دَا * نَيْتُ حَيْنِى وهَيَّأَ القَـوْمُ لَحْـدِى (٧)

قُـلْ لِمَنْ أَنْكَرُوا مَفـاخِرَ قَـوْمِى * مِثْـلَ ما أَنْكَـرُوا مَآثِرَ وُلْدِى

هَـلْ وَقَفْـتُمْ بِقِمَّةِ الهَـرَمِ الأَكْـ * ـبَرِ يومًا فـرَيْتُمْ بَعْضَ جُهْـدِى؟ (٨)

---

(١) الفرات : العذب . والفرند : السيف . (٢) مدبر، أى مختلف الألوان، أو مشرق مثلاً لى . والرند : شجر طيب الرائحة ، وله حب يقال له : الغار . (٣) ملء العيون ، أى تعجبك مناظرهم . والمرد : جمع أمرد ، وهو الشاب نبت شاربه ولم تنبت لحيته . (٤) الظبا : جمع ظبة ؛ وهى حدّ السيف والسنان ونحوهما . والثواء : طول المكث . (٥) الصيقل : شاحذ السيوف وجاليها ؛ والجمع صياقل وصياقلة . (٦) رقبى العدا ، أى مراقبتهم لى . والقد : القيد يقدّ من جلد . (٧) الحين (بالفتح) : الهلاك . (٨) فريتم، أى فرأيتم .

هَلْ رَأَيْتُمْ تلك النُّقُوشَ اللَّواتِى * أَعْجَزَتْ طَوْقَ صَنْعَةِ المُتَحَدِّى؟ (١)

حالَ لَوْنُ النَّهارِ مِنْ قِدَمِ العَهْـ * ـدِ وما مَسَّ لونَها طُولُ عَهْدِ (٢)

هل فَهِمْتُمْ أَسرارَ ما كان عِنْدِى * مِنْ عُلُومٍ مَخْبُوءَةٍ طَىَّ بُرْدِى؟ (٣)

ذاكَ فَنُّ التَّحْنِيطِ قد غَلَبَ الدهـ * ـرَ وأَبْلَى البِلَى وأَعْجَزَ نِدِّى

قد عَقَدْتُ العُهودَ مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْ * نَ ففِى (مِصْرَ) كان أولُ عَقْدِ (٤)

إنّ مَجْدِى فى الأُولَياتِ عَرِيقٌ * مَن له مِثلُ أُولَياتِى ومَجْدِى؟ (٥)

أنا أُمُّ التَّشْرِيعِ قد أَخَذَ الرُّو * مانُ عَنِّى الأُصولَ فى كلِّ حَدّ (٦)

ورَصَدْتُ النُّجومَ مُنْذُ أَضاءَتْ * فى سَماءِ الدُّجَى فأَحْكَمْتُ رَصْدِى (٧)

وشَدا (بنتئور) فَوْقَ رُبوعِى * قَبْلَ عَهْدِ اليُونانِ أو عَهْدِ (نَجْدِ) (٨)

---

(١) الطوق : الطاقة والجهد . والمتحدى : المعارض الذى ينازعك الغلبة والفخر .

(٢) حال : تغير وتحوّل . (٣) البردى (بالتشديد وخفف للشعر) : نبات تعمل منه الحصر وكان يصنع منه الورق قديما . (٤) يشير إلى المحالفة التى عقدت بين رمسيس الثانى وملك الحثيين سنة ١٢٥٠ ق م على أن يمسكا عن الحروب ، وأن يكونا صديقين الى الأبد . وقد حدّدا فى تلك المحالفة حدود أملاكهما ، وهى أقدم محالفة عرفت فى التاريخ .

(٥) الأوليات ، أى السنين الأولى . (٦) يشير الى ما هو معروف من أن المصريين قديما كانوا مصدر القوانين الإدارية ، وعنهم أخذت الأمم المجاورة لهم ، وقد وفد اليهم من واضعى القوانين ليكرغ وصولون اليونانيان ، وعن اليونان أخذ الرومان .

(٧) كان المصريون من أقدم الأمم التى اشتغلت بعلم الفلك ، وقد ذكر مؤرخو اليونان أن أمتهم أخذت هذا العلم عن المصريين ، وقد عثر فى بعض المقابر على آلات للرصد ومصوّرات لشكل السماء ومواقع نجومها . (٨) بنتاءور : أقدم شاعر عرفه التاريخ ، وهو مصرى . و« قبل عهد اليونان » ... الخ ، أى قبل شعراء اليونان وشعراء العرب .

وقديما بَنَى الأَساطِيلَ قَوْمِى * فَفَرَقْنَ البِحارَ يَحْمِلْنَ بَنْدِى (١)

قَبْلَ أُسْطُولِ (نِلسن) كان أُسْطُو * لِى سَرِيًّا وطالِعِى غيرَ نَكْدِ (٢)

فَسَلُوا البَحْرَ عن بَلاءِ سَفِينِى * وسَلُوا البَرَّ عن مَواقِعِ جُرْدِى (٣)

أَتُرانِى وقد طَوَيْتُ حَياتِى * فى مِراسٍ لَمْ أَبْلُغِ اليَوْمَ رُشْدِى ؟

أىُّ شَعْبٍ أَحَقُّ مِنِّى بعَيْشٍ * وارِفِ الظِّلِّ أخضرِ اللَّوْنِ رَغْدِ ؟ (٤)

أَمِنَ العَدْلِ أَنْهُمْ يَرِدُونَ الْـ * ـماءَ صَفْوًا وأَنْ يُكَدَّرَ وِرْدِى ؟

أَمِنَ الحَقِّ أنهُمْ يُطْلِقُونَ الْـ * ـأُسْدَ منهمْ وأَنْ تُقَيَّدَ أُسْدِى ؟

نِصْفُ قَرْنٍ إلّا قليلا أُعانِى * ما يُعانِى هَوانَه كلُّ عَبْدِ

نَظَرَ اللهُ لى فأَرْشَدَ أَبْنا * ئِى فشَدُّوا إلى العُلَا أىَّ شَدِّ

إنّما الحَقُّ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الدَّ * ـيّانِ أَمْضَى مِنْ كلِّ أبيَضَ هِنْدِى (٥)

قد وَعَدْتُ العُلا بكلِّ أَبِيٍّ * مِن رِجالِى فأَنْجِزُوا اليومَ وَعْدِى

أَمْهِرُوها بالرُّوحِ فهى عَرُوسٌ * تَشْنَأُ المَهْرَ مِنْ عُرُوضٍ ونَقْدِ (٦)

---

(١) فرقن البحار : شققنها . والبند : العلم الكبير . وقد ذكر المؤرخون أن نخاو من ملوك مصر القدماء، كان قد أرسل عددا من الملاحين للطواف بسفنهم حول إفريقية ، فأتموا سياحتهم فى ثلاث سنين .

(٢) نلسن ، هو أمير البحر الإنجليزى الذى أحرق أسطول نابليون بونابرت فى موقعة أبى قير المعروفة . والنكد : الشؤم .

(٣) الجرد : الخيل . ويريد الجيوش البرية .

(٤) الوارف من الظلال : الواسع الممتد .

(٥) الأبيض الهندى : السيف .

(٦) تشنأ : تكره . والعروض : جمع عرض (بالتحريك) ، وهو كل شىء سوى الدراهم والدنانير .

وَرِدُوا بِى مَنَاهِلَ العِزِّ حتّى * يَخْطُبَ النجمُ فى المَجَرَّةِ وُدِّى (١)

وَٱرْفَعُوا دَوْلَتِى على العِلْمِ والأَخْـ * ـلاقِ فالعِلْمُ وَحْدَهُ ليس يُجْدِى (٢)

وتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ فالصبرُ إنْ فا * رَقَ قوماً فما لَهُ مِنْ مَسَدِّ (٣)

خُلُقُ الصَّبْرِ وَحْدَه نَصَرَ القَوْ * مَ وأَغْنَى عن ٱختراعٍ وعَدِّ (٤)

شَهِدُوا حَوْمَةَ الوَغَى بنُفُوسٍ * صابراتٍ وأَوْجُهٍ غيرِ رُبْدِ (٥)

فمَحَا الصَّبْرُ آيةَ العِلْمِ فى الحَرْ * بِ وأَنْحَى على القَوِىِّ الأَشَدِّ (٦)

إنّ فى الغَرْبِ أَعْيُنًا راصداتٍ * كَحَلَتْهَا الأَطْمَاعُ فيكمْ بسُهْدِ (٧)

فَوْقَهَا مِجْهَرٌ يُرِيهَا خَفَايَا * كُمْ ويَطْوِى شُعَاعُه كلَّ بُعْدِ (٨)

فاتّقُوها بجُنّةٍ مِنْ وِئامٍ * غيرِ رَثِّ العُرَا وسَعْىٍ وكَدِّ (٩)

وٱصفَحُوا عن هَنَاتِ مَنْ كان منكمْ * رُبَّ هافٍ هَفَا على غَيْرِ عَمْدِ (١٠)

---

(١) « يخطب النجم ... الخ » : كناية عن العلو والرفعة . (٢) يجدى : ينفع .

(٣) من مسد ، أى من شىء يقوم مقامه . (٤) يريد « بالقوم » : الإنجليز ، وذلك لما اشتهروا به من الصبر والأناة . (٥) الوغى : الحرب ، لما فيها من الجلبة والصوت . وحومتها : ساحتها . وربد : عابسة متجهمة ؛ الواحد أربد . (٦) يريد « بآية العلم » : ما آخترعه العلم من أسلحة . وأنحى عليه : أقبل عليه بالإضعاف والإهلاك . ويريد « بالقوى الأشد » : الألمان .

(٧) « كحلتها الأطماع ... الخ » ، أى إن طمع الغربيين فيكم جعل أعينهم يقظة لاتذوق النوم ، تحين بكم الفرص . (٨) المجهر : المنظار . (٩) الجنة (بالضم) : ما وقاك فى الحرب . والرث : البالى . ويريد « بالعرا » : الصلات والروابط ؛ الواحدة عروة . (١٠) الهنات : جمع هنة ، وهى اليسير المحتمل من الزلات . ويشير بهذا البيت إلى اختلاف الزعماء الذى بدأت بوادره فى ذاك الحين على رآسة المفاوضات الرسمية .

نَحْنُ نَجْتَازُ مَوْقِفًا تَعْثُرُ الآ (١) * راءُ فيه وعَثْرَةُ الرأْيِ تُرْدِى

ونُعِيرُ الأَهْواءَ حَرْبًا عَوانًا (٢) * مِنْ خِلافٍ والخُلْفُ كالسَّلِّ يُعْدِى

ونُثِيرُ الفَوْضَى على جانِبَيْه (٣) * فيُعِيدُ الجَهولُ فيها ويُبْدِى

ويَظُنُّ الغَوِىُّ أَنْ لا نِظامٌ * ويَقُولُ القَوِىُّ قد جَدَّ جِدِّى

فقِفُوا فيه وَقْفَةَ الحَزْمِ وارْمُوا * جانِبَيْه بعَزْمَةِ المُسْتَعِدِّ

إِنَّنا عند فَجْرِ لَيْلٍ طَوِيلٍ * قد قَطَعْناهُ بَيْنَ سُهْدٍ ووَجْدِ

عَمَرَتْنا سُودُ الأَهاوِيلِ فيه (٤) * والأَمانِىُّ بَيْنَ جَزْرٍ ومَدِّ

وتَجَلَّى ضِياؤُه بَعْدَ لَأْيٍ (٥) * وهو رَمْزٌ لعَهْدِىَ المُسْتَرَدِّ

فاسْتَبِينُوا قَصْدَ السَّبِيلِ وجِدُّوا (٦) * فالمَعالى مَخْطُوبَةٌ للمُجِدِّ

تصريح ٢٨ فبراير

[نشرت فى أول ابريل سنة ١٩٢٢ م]

مالِىَ أَرَى الأَكْمامَ لا تُفَتِّحُ (٧) * والرَّوْضَ لا يَذْكُو ولا يُنَفِّحُ

والطَّيْرَ لا تَلْهُو بتَدْوِيمِها (٨) * فى مُلْكِها الواسِعِ أَوْ تَصْدَحُ

---

(١) تردى : تهلك . (٢) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد أخرى ، كأنهم جعلوا الأولى بكرا ، وهى أشد الحروب . (٣) الضمير فى قوله « جانبيه » يعود على قوله « موقفا » المتقدم ذكره . (٤) الأهاويل : جمع أهوال . (٥) بعد لأى ، أى بعد إبطاء واحتباس ومشقة . (٦) قصد السبيل : الطريق المستقيم . (٧) الأكمام : جمع كم (بكسر الكاف) ، وهو غطاء الزهر . ويذكو : تسطع رائحته . وينفح : يفوح طيبه . ويلاحظ أننا لم نجد فى كتب اللغة « نفح » بتشديد الفاء ، فلعل حافظا رأى هذه الصيغة فى كلام بعض المولدين . (٨) تدويم الطائر : تحليقه فى الهواء . وتصدح : ترفع صوتها بالغناء .

والنِّيلَ لا تَرْقُصُ أَمْواهُه * فَرْحَى ولا يَجْرِى بها الأَبْطَحُ (١)

والشمسَ لا تُشْرِقُ وُضّاءَةً * تَجْلُو هُمومَ الصَّدْرِ أَو تَنْزِحُ (٢)

والبَدْرَ لا يَبْدُو على ثَغْرِه * مِنْ بَسَماتِ اليُمْنِ ما يَشْرَحُ

والنَّجْمَ لا يَزْهَرُ فى أُفْقِه * كأنّه فى غَمْرَةٍ يَسْبَحُ (٣)

أَلَمْ يَجِئْها نَبَأٌ جاءَنا * بأنّ مِصْرًا حُرَّةٌ تَمْرَحُ؟ (٤)

أَصْبَحْتُ لا أَدْرِى على خِبْرَةٍ * أَجَدَّتِ الأَيّامُ أَمْ تَمْزَحُ؟

أَمَوْقِفٌ للجِدِّ نَحْتازُه * أَمْ ذاكَ لِلّاهِى بِنا مَسْرَحُ؟

أَلْمَحُ لاسْتِقْلالِنا لَمْعَةً * فى حالِكِ الشَّكِّ فأَسْتَرْوِحُ (٥)

وتَطْمِسُ الظُّلْمَةُ آثارَها * فأَنْثَنى أُنْكِرُ ما أَلْمَحُ

قد حارَتِ الأَفْهامُ فى أَمْرِهِمْ * إنْ لَمَّحُوا بالقَصْدِ أَوْ صَرَّحُوا (٦)

فقائِلٌ لا تَعْجَلُوا إنّكُمْ * مَكانَكُمْ بالأَمْسِ لم تَبْرَحُوا (٧)

وقائِلٌ أَوْسِعْ بها خُطْوَةً * وَراءَها الغايةُ والمَطْمَحُ

وقائِلٌ أَسْرَفَ فى قَوْلِه : * هٰذا هُوَ استِقْلالُكُمْ فافْرَحُوا

---

(١) الأمواه : جمع ماء . والأبطح : المسيل الواسع للماء . (٢) وضاءة : ذات حسن وبهجة . وتنزح (من باب منع وضرب)، أى تنزح الهم وتفنيه وتذهبه، وأصله من نزح البئر، وهو الاستقاء من مائها حتى ينفد أو يقل . (٣) يزهر : يضيء ويتلألأ . ويريد «بالغمرة» : الماء الكثير . (٤) تمرح : من المرح (بالتحريك)، وهو شدة الفرح . (٥) الحالك : الشديد السواد . واسترواح إلى الشيء : سكن إليه واطمأن . (٦) الضمير فى «أمرهم» للإنجليز . (٧) لا تعجلوا، أى لا تعجلوا بالفرح وتهنئة بعضكم بعضا ببدا الاستقلال المزعوم، فإن حالتكم لم يغيرها هذا التصريح .

إنْ تَسْأَلُوا العَقْلَ يَقُلْ عاهِدُوا * واسْتَوْثِقُوا فى عَهْدِكُمْ تَرْبَحُوا

وأَسِّسُوا دارًا لِنُوَابِكُمْ * لِلرَّأْيِ فيها والحِجَا أَفْسِحُوا (١)

ولْتَذْكُرِ الأُمَّةُ مِيثاقَها * أَلَّا تَرَى عِزَّتَها تُجْرَحُ

وَلْتَنْتَخِبْ صَفْوَةَ أَبْنائِها * فِمْنْهُمُ المُخْلِصُ والمُصْلِحُ

ولْيَتَّقِ اللهَ أُولُو أَمْرِها * أَنْ يُسْكِتُوا الأَصْواتَ أَوْ يُرْفِحُوا (٢)

* * *

أو تَسْأَلُوا القَلْبَ يَقُلْ حاذِرُوا * وصابِرُوا أَعْداءَكُمْ تُفْلِحُوا (٣)

إنِّى أَرَى قَيْدًا فلا تُسْلِمُوا * أَيْدِيَكُمْ فالقَيْدُ لا يُسْجِحُ (٤)

إنْ هَيَّأُوهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ * فهو على لِينٍ به أَفْدَحُ

حَتَّامَ — والصَّبْرُ له غايةٌ — * لِغَيْرِنا مِنْ بِئْرِنا نَمْتَحُ؟ (٥)

حَتَّامَ — والأَمْوالُ مَشْفُوهَةٌ — * نَمْنَحُ إلّا (مِصْرَ) ما نَمْنَحُ؟ (٦)

حَتَّامَ يُمْضِى أَمْرَنا غَيْرُنا * وذاكَ بالأَحْرارِ لا يَمْلُحُ؟

---

(١) يلاحظ أننا لم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة أنه يقال : أفسحت له فى المكان (بالهمز فى أوّله) ، والذى وجدناه أنه يقال : فسحت له فيه . قال تعالى : (فافسحوا يفسح الله لكم) .

(٢) يريد بقوله «يرفحوا» : أنهم ينفون من خالفهم فى سياستهم إلى رفح (بالتحريك)، وهى مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط معروفة ، كما كانوا يفعلون قبل هذا التصريح .

(٣) صابروا أعداءكم، أى غالبوهم فى الصبر .

(٤) لايسجح، أى لايفرج عمن تقيد به ولا يفلته .

(٥) متح الماء من البئر يمتحه متحا : استخرجه منها .

(٦) المشفوه : الذى كثرت عليه الأيدى حتى استنفد .

أَسَاءَ بَعْضُ النَّاسِ فى بَعْضِهِمْ * ظنا وقد أَمْسَوْا وقَدْ أَصْبَحُوا (١)

فَانْتَهَزَتْ أَعْدَاؤُنَا نُهْزَةً * فينا وما كانت لهم تَسْنَحُ (٢)

فالرأْىُ كلُّ الرَّأْىِ أَنْ تُجْمِعُوا * فإنّما إجماعُكُمْ أَرْجَحُ

وكلُّ مَنْ يَطْمَعُ فى صَدْعِكُمْ * فإنّه فى صَخْرَةٍ يَنْطَحُ (٣)

أَخْشَى إذا ٱسْتَكْثَرْتُمُ بَيْنَكُمْ * مِنْ قَادَةِ الآراءِ أَنْ تُفْضَحُوا

فَلْتَقْصِدُوا ما ٱسْطَعْتُمُ فيهِمُ * فإنّما فى القِلّةِ المُنْجَحُ

عيد الاستقلال

[نشرت فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٣ م تحت عنوان : (بين النقطة والمقام)]

أَشْرِقْ فَدَتْكَ مَشَارِقُ الإصْباحِ * وأَمِطْ لِثَامَكَ عن نَهَارٍ ضاحِى (٤)

بُورِكْتَ يا يَوْمَ الخلاصِ ولا وَنَتْ * عنكَ السُّعودُ بِغُدْوَةٍ ورَواحِ

باللهِ كُنْ يُمْنًا وكُنْ بُشْرَى لنا * فى رَدِّ مُغْتَرِبٍ وفَكِّ سَراحِ (٥)

---

(١) يشير بهذا البيت إلى اختلاف الأحزاب السياسية . وخبر « أمسوا » « وأصبحوا » محذوف لعلم به ، أى أمسوا وأصبحوا يتبادلون سوء الظن وأتهام بعضهم بعضا بالخيانة .

(٢) النهزة : الفرصة . وتسنح : تلوح . (٣) يقال : تطح فى صخرة ، إذا صعب عليه ما يريد من صدع وانشقاق . وأصله من قول الأعشى :

كناطح صخرة يوما ليوهنها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(٤) أمط لثامك ، أى أكشف قناعك ، يخاطب عيد الاستقلال . والنهار الضاحى : المشرق .

(٥) يشير بقوله « فى رد مغترب ... الخ » : الى المغفور له سعد زغلول باشا وكان منفيا إذ ذاك فى جبل طارق بعد أن كان مع صحبه فى جزيرة سيشل .

أَقْبَلْتَ والأَيَّامُ حَوْلَكَ مُثَّلٌ * صَفَّيْنِ تَخْطِرُ خَطْرَةَ المَيَّاحِ (١)

وخَرَجْتَ مِنْ حُجْبِ الغُيُوبِ مُحَجَّلًا * فى كلِّ لَحظٍ مِنكَ أَلْفُ صَباحِ (٢)

لو صَحَّ فى هٰذا الوُجودِ تَنَاسُخٌ * لَرَأَيْتُ فيكَ تَناسُخَ الأَرْوَاحِ

ولَكُنْتَ يومَ (اللّابرنت) بعَيْنِه * فى عِزَّةٍ وجَلَالَةٍ وسَماحِ (٣)

يومٌ يُرِيكَ جَلالُهُ ورُواؤُه * فى الحُسْنِ قُدْرَةَ فالِقِ الإصْباحِ (٤)

خَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ حُلَّةَ عَسْجَدٍ * وحَباهُ (آذارٌ) أَرَقَّ وِشاحِ (٥)

اللهُ أَثْبَتَه لنا فى لَوْحِه * أَبَدَ الأَبِيدِ فما لَه مِنْ ماحِى (٦)

حَيِّيهِ عَنّا يا أَزاهِرُ وٱمْلَئِى * أَرْجاءَه بأَرِيجِكِ الفَوّاحِ (٧)

وٱنفَحْهُ عنّا يا رَبِيعُ بكلِّ ما * أَطْلَعْتَ مِنْ رَنْدٍ ونَوْرِ أَقاحِ (٨)

تِهْ يا (فُؤادُ) فحَوْلَ عَرْشِكَ أُمَّةٌ * عَقَدَتْ خَناصِرَها على الإصْلاحِ (٩)

أَبناؤُنا ـ وهُم أَحاديثُ النَّدَى ـ * لَيْسُوا على اوْطانِهِمْ بشِحاحِ (١٠)

صَبَرُوا على مُرِّ الخُطوبِ فأَدْرَكُوا * حُلْوَ المُنَى مَعْسُولَةَ الأَقْداحِ

---

(١) المياح : المتبختر فى مشيته ، وهو ضرب حسن من المشى . (٢) محجلا : مضيئا وأصله من التحجيل فى الخيل ، وهو بياض فى قوائمها . (٣) اللابرنت : قصر أمنمحتب الثانى الذى اشتهر فى قديم الزمان بعظمته ، وكان مقرا للحكومة . ويريد « بيومه » : أيام أمنمحتب التى كانت كلها خيرا وبركة على مصر . (٤) فالق الإصباح ، هو الله تعالى . (٥) العسجد : الذهب . وآذار : شهر من شهور السنة المسيحية معروف ، تكثر فيه الأزهار . (٦) أبد الأبيد : كناية عن الدوام . (٧) أريج الزهر : رائحته . (٨) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية . والأقاحى : جمع أقحوان ، وهو نبات له زهر أبيض ، وأوراق زهره صغيرة مفلجة ؛ وتشبه به الثغور . (٩) عقد الخناصر على الأمر : كناية عن الإجماع على القيام به . (١٠) الندى : الجود . وشحاح : بخلاء .

شاكى سلاح الصبر ليس بأعزل (١) * يغزوه رب عوامل وصفاح
الصبر - إن فكرت - أعظم عدة * والحق - لو يدرون - خير سلاح
قد أنكروا حق الضعيف فهل أتى (٢) * إنكار ذاك الحق فى إصحاح ؟
كم خدرت أعصاب مصر نوافح (٣) * لوعودهم كنوافح التفاح
فتعلل المصرى مغتبطا بها (٤) * أرأيت طفلا علله بداح ؟
وتأنقوا فى الحلف حتى أصبحت (٥) * أقواههم تذرى بغير رياح
لما تنبه بالكنانة نائم (٦) * وأصات بالشكوى الأليمة صاحى
وتكشفت تلك الغياهب وانطوت (٧) * وبدت شموس الحق وهى ضواحى
علموا بمجد الله أن قرارنا (٨) * فى ظل غير الله غير مباح
فاليوم قرى يا كنانة واهدئى * حرم الكنانة لم يكن بمباح
من ذا يغير على الأسود بغابها * أو من يعوم بمسبح التمساح؟

---

(١) شاكى سلاح الصبر: أى المتسلح به . والعوامل : هى صدور الرماح مما يلى أسنتها ؛ الواحد عامل وعاملة . والصفاح : السيوف . يقول : إن الصبور متسلح ليس بأعزل يطمع فيه ذوالرمح والسيف .

(٢) الإصحاح : من الأقسام التى تنقسم اليها أسفار التوراة والانجيل . يقول : هل أحل لكم إنكار حق الضعيف فى كتاب سماوى ؟

(٣) نوافح التفاح : روائحه . وكان الشاعر يعتقد أن نفحة التفاح منوّمة ، فكان هذا يكثر من شمه وأكله ، نفى ذلك عنه أحد من اتصلوا به .

(٤) الداح : نقش يلوح به للصبيان يعللون به .

(٥) تأنقوا فى الحلف ، أى أتقنوه . وتذرى : تطير وتنثر . (٦) أصات : صوت وصاح .

(٧) الغياهب : الظلمات ؛ الواحد غيهب . والضواحى : المشرقة . (٨) غير مباح : غير ممكن .

للنِّيلِ مَجْدٌ فى الزّمانِ مُؤَثَّلٌ * مِنْ عَهْدِ (آمُونٍ) وعَهْدِ (فَتاحِ) (١)

فَسَلِ العُصُورَ به وَسَلْ آثارَه * فى (مِصْرَ) كَمْ شَهِدَتْ مِن السُّيّاحِ

يا صاحِبَ القُطْرَيْنِ غَيرَ مُدافَعٍ * ما مِثْلُ ساحِكَ فى العُلا مِنْ ساحِ (٢)

لَمْ يَبْدُ نُورٌ فَوْقَ نُورٍ يُجْتَلَى * كالتّاجِ فَوْقَ جَبِينِكَ الوَضّاحِ (٣)

ذَكَرَتْ بعَرْشِكَ (مِصْرُ) يَوْمَ وَلِيتَه * عَرْشَ (المُعِزِّ) بها وعَرْشَ (صَلاحِ) (٤)

فى كلِّ قُطْرٍ مِنْ جَلالِكَ رَوْعَةٌ * ولكلِّ قُطْرٍ منكَ ظِلُّ جَناحِ (٥)

لكَ (مِصْرُ) و (السُّودانُ) والنَّهْرُ الّذى * يَخْتالُ بينَ رُبًى وبَيْنَ بِطاحِ

وبَواسِقُ (السُّودانِ) تَشْهَد أنّها * غُرِسَتْ بعَهْدِ جُدودِكَ الفُتّاحِ (٦)

لا غَرْوَ إنْ غَنَّى بمَدْحِكَ صائِحٌ * أو مُسْجِحٌ فى حَلْبَةِ المُدّاحِ (٧)

حُسْنُ الغِناءِ مع الصِّياحِ كحُسْنِه * عندَ الخَبِيرِ به مع الإسْجاحِ (٨)

---

(١) المؤثل : المؤصل الثابت . وأمون : كان أجل معبود لقدماء المصريين حتى عهد اخناتون ، وكان اسمه يدمج فى أسماء الملوك ، فيقال : أمينحتب . وفتاح : يريد به منفتاح بن رمسيس الثانى .

(٢) صاحب القطرين : ملك مصر والسودان . (٣) يجتلى : يرى .

(٤) يريد « بالمعز » : المعز لدين الله الخليفة الفاطمى المعروف . و « بصلاح » : السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

(٥) يشير بهذا البيت الى عطف المغفور له (الملك فؤاد) على أقطار الشرق .

(٦) البواسق : الأشجار المرتفعة ؛ الواحدة : باسقة .

(٧) مسجح ، الصواب فيها : ساجح ، أى ساجع فى غنائه كما تسجع الحمامة ، اذ المستعمل فى هذا المعنى « سجح » لا « أسجح » . يقول : سيان من رفع صوته بمدحك ، أو من أرسله فى هدوء ولين .

(٨) يريد بالإسجاح : السجع بالغناء ؛ وقد تقدّم التنبيه على خطأ هذا الاستعمال فى الحاشية التى قبل هذه .

أو لم يكن لكَ مُلْكُ مِصْرَ ونيلُها * يَنْسابُ بين مُرُوجِها الأَفْياحِ؟ (١)

مَنْضُورَةَ الجَنَّاتِ حالِيَةَ الرُّبَا * مَطْلُولَةَ السَّرَحاتِ والأَرْواحِ (٢)

قد قال (عَمْرٌو) فى ثَراها آيَةً * مَأْثُورةً نُقِشَتْ على الأَلْواحِ: (٣)

بَيْنَا تَرَاهُ لآلِئًا وكأنَّما * نُثِرَتْ بتُرْبَتِهِ عُقُودُ مِلاحِ

وإذا به للنَّاظِرِينَ زُمُرُّدٌ * يَشْفِيكَ أَخْضَرُهُ مِن الأَتْرَاحِ

وإذا به مِسْكٌ تَشُقُّ سَوادَه * شَقَّ الأَدِيمِ مَحارِثُ الفَلَّاحِ (٤)

البَرْلَمانُ تَهَيَّأَتْ أَسْبابُهُ * لَمْ يَبْقَ مِنْ سَبَبٍ سِوَى المِفْتاحِ

هُوَ فى يَدَيْكَ وَدِيعَةٌ لَرَعِيَّةٍ * تُثْنِى بأَلْسِنَةٍ عليكَ فِصاحِ

رُدَّ الوَدِيعَةَ يا (فُؤادُ) فإنَّما * رَدُّ الوَدِيعَةِ شِيمَةُ المِسْماحِ (٥)

وانْهَضْ بشَعْبِكَ يا (فُؤادُ) إلى العُلا * وإلى مَكانٍ فى الوُجُودِ بَراحِ (٦)

---

(١) المروح : الأراضى الواسعة فيها نبت كثير ، والأفياح ، أى الواسعة .

(٢) منضورة : حسنة بهيجة ، وحالية الربا ، أى مكسوة المرتفعات بانواع الزهر والنبات ، ومطلولة ، أى أصابها الطل ، وهو المطر الضعيف الخفيف ، والسرحات : جمع سرحة ، وهى الشجرة العظيمة ، والأرواح : الرياح .

(٣) يريد "بعمرو" : عمرو بن العاص فاتح مصر ، ويشير "بالآية" : الى ما روى من أن عمرا وصف مصر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وصفا ممتعا معروفا جاء منه هذه المعانى التى يضمنها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بعد .

(٤) يشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله الى أحوال ثلاث : حال تربة مصر أيام الفيضان والماء يغمرها ، ثم حالها وقد تكشفت عنها المياه وكسا النبات الأخضر أرضها ، ثم حالها بعد الحصاد وقد باتت الأرض جرداء سوداء ، فشبهها فى الحالة الأولى باللؤلؤ فى بياضه ، وفى الثانية بالزمرد فى خضرته ، وفى الثالثة بالمسك فى سواده ، وقد وردت هذه المعانى فى وصف عمرو لمصر .

(٥) المسماح : الكثير السماح .

(٦) البراح : المكان الذى لاستترة فيه من شجر وغيره ، يريد مكانا ظاهرا للعالم .

فالله يَشْهَدُ والخَلائِقُ أنّنا * طُلّابُ حَقٍّ فى الحَياةِ صِراحِ (١)

هٰذا مَنارُ البَرْلَمانِ أمامَكُمْ * لِهُدَى السَّبيلِ كإبْرَةِ المَلّاحِ (٢)

فتَيَمَّمُوه مُخْلِصينَ فما لَكُمْ * مِنْ دُونِه مِنْ غِبْطَةٍ وفَلاحِ (٣)

الفَصْلُ للشُّورى وتِلْكَ هى الّتى * تَزَعُ الهَوَى وتَرُدُّ كلَّ جِماحِ (٤)

هى لا تَضِلُّ سَبيلَها فكأنّما * خُلِقَ السَّبيلُ لها بغَيْرِ نَواحِى

هى — لا بَراحَ — تَرُدُّ كَيْدَ عَدُوِّكُمْ * وتَفُلُّ غَرْبَ الغاصِبِ المُجْتاحِ (٥)

فتَكَنَّفُوا الشُّورَى على اسْتِقْلالِكُمْ * فى الرأْيِ لا تُوحِيهِ نَزْعَةُ واحِى (٦)

ويَدُ الإلٰهِ مع الجَماعةِ فاضْرِبُوا * بعَصَا الجَماعَةِ تَظْفَرُوا بنَجاحِ

كُونُوا رِجالًا عامِلينَ وكَذِّبُوا * — والصُّبْحُ أبْلَجُ — حامِلَ المِصْباحِ (٧)

ودَعُوا التَّخاذُلَ فى الأُمورِ فإنّما * شَبَحُ التَّخاذُلِ أنْكَرُ الأشْباحِ

---

(١) الصراح (بالكسر) وهو أفصح من (الضم والفتح) : المحض الخالص الذى لا شائبة فيه .

(٢) إبرة الملاح : هى التى يتبين بها الجهات و يهتدى بها فى السير .

(٣) تيمموه ، أى اقصدوا إليه .

(٤) تزع الهوى : تكفه وتزجره .

(٥) لا براح ، أى لا ريب . وتفل : تثلم وتكسر . والغرب : الحدّ .

(٦) تكنفوا الشورى : أحيطوا بها والزموها . وقوله « لا توحيه نزعة واحى » ، أى اصدروا عن رأيكم ولا تلقوا الأمر عن غيركم . والواحى : من وحيت إليه الكلام ، بمعنى أوحيته إليه .

(٧) يريد « بحامل المصباح » : الفيلسوف اليونانى ديوجينيس المولود سنة ٤١٢ ق م والمتوفى سنة ٣٢٣ ق م . وكان قد خرج يوما فى رائعة النهار يحمل مصباحا يبحث عن رجل . يقول : كذبوا هذا الفيلسوف الذى ينكر وجود رجل يعتد به و يعتمد عليه .

والله ما بَلَغَ الشَّقَاءُ بِنَا المَدَى * بِسِوَى خِلَافٍ بيننا وتلاحى (١)

قُمْ يابنَ (مِصْرَ) فأنتَ حُرٌّ واسْتَعِدْ * مَجْدَ الجُدودِ ولا تَعُدْ لِمَرَاحِ (٢)

شَمِّرْ وكافِحْ فى الحَيَاةِ فهٰذه * دُنْيَاكَ دارُ تَنَاحُرٍ وكِفَاحِ

وانْهَلْ مع النُّهَّالِ مِنْ عَذْبِ الحَيَا * فإذا رَقَا فامْتَحْ مع المُتَّاحِ (٣)

وإذا أَلَحَّ عليكَ خَطْبٌ لا تَهُنْ * واضْرِبْ على الإلحاحِ بالإلْحَاحِ (٤)

وخُضِ الحياةَ وإنْ تَلاطَمَ مَوْجُها * خَوْضَ البِحارِ رِياضَةُ السَّبَّاحِ

واجْعَلْ عِيانَكَ قبلَ خَطْوِكَ رائِدًا * لا تَحْسَبَنَّ العُمْرَ كالضَّحْضَاحِ (٥)

وإذا اجتَوَتْكَ مَحَلَّةٌ وتَنَكَّرَتْ * لكَ فاعْدُها وانْحَ مع الرُّوَّاحِ (٦)

فى البَحْرِ لا تَثْنِيكَ نارُ بَوَارِجٍ * فى البَرِّ لا يَلْوِيكَ غابُ رِمَاحِ

وانظرْ إلى الغَرْبِىِّ كيف سَمَتْ به * بينَ الشعوبِ طَبِيعَةُ الكَدَّاحِ (٧)

والله ما بَلَغَتْ بَنُو العَرَبِ المُنَى * إلّا بِنِبْرَاتٍ هُنَاكَ صِحَاحِ

رَكِبُوا البِحارَ وقد تَجَمَّدَ ماؤُها * والجَوَّ بينَ تَنَاوُحِ الأَرْوَاحِ (٨)

---

(١) التلاحى : التخاصم . (٢) يريد «بالمراح» : الأخذ فى أسباب الفرح واللهو .

(٣) انهل : اشرب ، من النهل (بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . والحيا : المطر . ورقا (مسهل من رقأ بالهمز) ، بمعنى جف وانقطع . والمتح : نزح الماء من البئر . ينصح المصرى بأن يرد موارد الحياة سهلها وصعبها . (٤) لا تهن ، أى لا تذل ولا تضعف . (٥) العمر : الماء الكثير . والضحضاح : الماء القريب القعر . (٦) اجتواه : كرهه . يقول : إذا نبا بك منزل ، وتعذرت عليك الإقامة به فاهجره إلى غيره وارتحل عنه مع المرتحلين . (٧) الكداح : الجاد المجتهد فى العمل .

(٨) تناوح الأرواح : اختلاف مهاب الرياح .

وَالْبَرّ مَصْهُورَ الحَصَى مُتَأَجِّجًا * يَرْمِى بِنَزّاعِ الشَّوَى لَوّاحِ (١)

يَلْقَى فَتَيُّهُمُ الزَّمانَ بِهِمَّةٍ * عَجَبٍ ووَجْهٍ فى الخُطُوبِ وَقاحِ (٢)

وَيَشُقُّ أَجْوَازَ القِفارِ مُغامِرًا * وَعْرُ الطَّرِيقِ لَدَيْهِ كالصَّحْصاحِ (٣)

وَابْنُ الكِنانَةِ فى الكِنانَةِ راكِدٌ * يَرْنُو بِعَيْنٍ غيرِ ذاتِ طِماحِ (٤)

لا يَسْتَغِلُّ — كما عَلِمْتَ — ذَكاءَه * وذَكاؤُه كالخاطِفِ اللَّمّاحِ (٥)

أَمْسَى كماءِ النَّهْرِ ضاعَ فُراتُه * فى البَحْرِ بَيْنَ أجاجِه المُنْداحِ (٦)

فَانْهَضْ ودَعْ شَكْوَى الزَّمانِ ولا تَنُحْ * فى فادِحِ البُؤْسَى مع الأَنْواحِ (٧)

وَارْبَحْ لِمَصْرَ بِرَأْسِ مالِكَ عِزَّةً * إنّ الذَّكاءَ حُبالَةُ الأَرْباحِ (٨)

وإذا رُزِقْتَ رَآسَةً فانْسُجْ لها * بُرْدَيْنِ مِنْ حَزْمٍ ومِنْ إسْجاحِ (٩)

واشْرَبْ من الماءِ القَراحِ مُنَعَّمًا * فلَكَمْ وَرَدْتَ الماءَ غيرَ قَراحِ (١٠)

---

(١) المصهور : الذى أصابه الحر وحمى عليه . والمتأجج : الملتهب . والشوى : اليدان والرجلان وقحف الرأس . يصف البر بأنه يقذف بحر شديد ينزع الشوى . وفى القرآن فى وصف النار : (كلا إنها لظى نزاعة للشوى) . ولواح ، أى حر مغير للألوان .

(٢) وقاح : مجتر .

(٣) أجواز القفار : أوساطها ؛ الواحد جوز . والصحصاح : ما استوى من الأرض .

(٤) يرنو : ينظر . والطماح : الطموح والتطلع إلى المجد .

(٥) الخاطف اللماح : البرق .

(٦) الفرات : العذب . والأجاج : الشديد الملوحة . والمنداح : المنبسط المتسع .

(٧) يقال : فدحه الأمر ، إذا أثقله وبهظه . والأنواح : النائحات .

(٨) حبالة الصائد : الشرك الذى يصيد به .

(٩) الإسجاح : حسن العفو .

(١٠) الماء القراح : الصافى الخالص . يريد العيش الصافى من الأكدار .

من قصيدة فى شؤون مصر السياسية

قالها فى عهد وزارة إسماعيل صدقى باشا

وقد نظمها حافظ بعد إحالته الى المعاش فى سنة ١٩٣٢ م وكانت تبلغ نحو مائتى بيت لم نعثر منها إلا على هذه الأبيات

قَدْ مَرَّ عامٌ يا سُعادُ وعامُ * وابنُ الكِنانَةِ فى حِماهُ يُضَامُ
صَبُّوا البَلاءَ على العِبادِ فنِصْفُهُمْ * يَجْبِى البِلادَ ونِصْفُهُمْ حُكّامُ
أَشْكُو الى (قَصْرِ الدُّبارَةِ) ما جَنَى * (صِدْقِى الوَزِيرُ) وما جَبَى (عَلّامُ)[1]

ومنها فى الإنجليز :

قُلْ للُحايِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِماءَنا * تَجْرِى وهَلْ بَعْدَ الدِّماءِ سَلامُ؟[2]
سُفِكَتْ مَوَدَّتُنا لَكُمْ وبَدا لَنا * أَنَّ الحِيادَ على انْحِصامٍ لِئامُ
إنَّ المَراجِلَ شَرُّها لا يُتَّقَى * حتّى يُنَفِّسَ كَرْبَهُنَّ صِمامُ[3]
لَمْ يَبْقَ فِينا مَنْ يُمَنِّى نَفْسَه * بِوِدادِكُمْ فوِدادُكُمْ أَحْلامُ
أَمِنَ السِّياسَةِ والمُرُوءَةِ أَنَّنا * نَشْقَى بِكُمْ فى أَرْضِنا ونُضامُ؟
إنّا جَمَعْنا لِلجِهادِ صُفُوفَنا * سَنَمُوتُ أو نَحْيا ونَحْنُ كِرامُ

ومنها فى مخاطبة إسماعيل صدقى باشا :

ودَعَا عليكَ اللهَ فى مِحْرابِهِ * الشَّيْخُ والقِسِّيسُ والحاخامُ
لا هُمَّ أَحْيِ ضَمِيرَهُ لِيَذُوقَها * غُصَصًا وتَنْسِفَ نَفْسَهُ الآلامُ

(١) يريد محمد علام باشا وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب . ويشير بقوله «وما جبى علام» : الى ما كانوا يجبونه من الأموال إعانة لحزب الشعب . (٢) أشار بقوله «الحايد» : إلى أن الانجليز فى هذه الفترة التى قيلت فيها هذه الأبيات كانوا يدّعون الحياد فى الشؤون المصرية . (٣) المراجل : القدور .

إلى الإنجليز :

[نشرت فى ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م]

بَنَيْتُمْ على الأَخْلَاقِ آساسَ مُلْكِكُمْ * فكانَ لَكُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ ذِمامُ (١)

فمالِى أَرَى الأَخلاقَ قد شابَ قَرْنُها * وحَلَّ بها ضَعْفٌ ودَبَّ سَقامُ (٢)

أَخافُ عَلَيْكُمْ عَثْرَةً بَعْدَ نَهْضَةٍ * فلَيْسَ لِمُلْكِ الظَّالِمِينَ دَوامُ

أَضَعْتُمْ وِدادًا لو رَعَيْتُمْ عُهُودَه * لَما قامَ بَيْنَ الأُمَّتَيْنِ خِصامُ

أَبَعْدَ حِيادٍ لا رَعَى اللهُ عَهْدَه * وبَعْدَ الجُروحِ الناغِراتِ وِئامُ (٣)

اذا كانَ فى حُسْنِ التَّفاهُمِ مَوْتُنا * فليسَ على باغِى الحَياةِ مَلامُ (٤)

الى المندوب السامى

[نشرت فى ١١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

أَلَمْ تَرَ فى الطَّرِيقِ الى (كِيادِ) * تَصيدُ البَطَّ بُؤْسَ العالَمِينا؟ (٥)

أَلَمْ تَلْمَحْ دُمُوعَ الناسِ تَجْرِى * مِنَ البَلْوَى أَلَمْ تَسْمَعْ أَنِينَا؟

أَلَمْ تُخْبِرْ بَنِى النّامِيزِ عَنّا * وقد بَعَثُوكَ مَنْدُوباً أَمِينا

بأَنّا قد لَمَسْنا الغَدْرَ لَمْسًا * وأَصْبَحَ ظَنُّنا فيكُمْ يَقِينا؟

---

(١) الذمام : الحق والحرمة .

(٢) القرن : الذؤابة من الشعر .

(٣) الناغرات : الداميات .

(٤) يقول : إذا كان حسن التفاهم بيننا و بينكم يجلب لنا الموت بالذل والاستعباد كان سوء التفاهم خيرا لنا ، لأن فيه حياتنا .

(٥) كياد : بركة بإقليم الشرقية اعتاد أن يذهب اليها المندوب السامى وحاشيته لاصطياد بعض أنواع الطيور .

كَشَفْنَا عَنْ نَوَايَاكُمْ (١) فَسُمْتُمْ * وقد بَرِحَ الخَفاءُ مُحَايِدِينَا
سَنُجْمِعُ أَمْرَنَا وتَرَوْنَ مِنَّا * لَدَى الجُلَّى (٢) كِراماً صابِرِينا
ونَأْخُذُ حَقَّنا رَغْمَ العَوادِي * تُطِيفُ بِنا ورَغْمَ القاسِطِينا (٣)
ضَرَبْتُمْ حَوْلَ قادَتِنا نِطاقًا * مِنَ النِّيرانِ يَعْيِي الدّارِعِينا (٤)
على رَغْمِ المُرُوءَةِ قد ظَفِرْتُمْ * ولكنْ بالأُسُودِ مُصَفَّدِينا (٥)

الأخلاق والحياد

قالها وكان الإنجليز إذ ذاك يدعون الحياد فى الشؤون المصرية

[نشرا فى ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

لا تَذْكُرُوا الأَخْلاقَ بَعْدَ حِيادِكُمْ (٦) * فُصابُكُمْ ومُصابُنا سِيّانِ
حارَبْتُمُ أَخْلاقَكُمْ لِتُحارِبُوا (٧) * أَخْلاقَنا فتَأَلَّمَ الشَّعْبانِ

(١) لم نجد فى كتب اللغة (النوايا) جمع نية ، كما استعمله الشاعر هنا ، وهو جمع شائع فى كلام أهل العصر ، وهو من غلطاتهم ؛ والقياس : نيات . وبرح الخفاء ، أى وضح الأمر وتبين . (٢) الجلى : النازلة الشديدة . (٣) القاسطون : الظالمون . (٤) الدارعون : لابسو الدروع . يشير بهذا البيت وما بعده الى ما كان يصبه الإنجليز على زعماء النهضة الوطنية المصرية من أنواع العذاب من سجن ونفى واعتقال ومحاصرة بيوتهم بالجنود . (٥) المصفد : المقيد .

(٦) يخاطب الإنجليز فى هذا البيت ويقول : إنكم بهذا الحياد المكذوب تضيعون ما عرفتم به من الأخلاق الفاضلة ، فلا تدّعوها لكم بعد ، فصابكم فى الأخلاق بهذا الطمع والظلم كمصابنا باخلالكم .

(٧) يشير (بالأخلاق) المضافة إلى الإنجليز فى هذا البيت إلى ما عرفوا به من الصبر والأناة وعدم الأخذ بالقسوة والعنف . و بالأخلاق المضافة الينا ، الى ما أظهرناه فى نهضتنا الوطنية من صبر على الجهاد واستمساك بحقوق البلاد . يقول . إنكم أيها الإنجليز بقسوتكم على المصريين تحاربون أخلاقكم السالفة الذكر فى سبيل محاربة أخلاقنا ، فكلا الشعبين متألم ، لأنه يحارب فيما طبع عليه .

ثمن الحياد

[نشرت فى ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

لقد طَالَ الحِيادُ ولَمْ تَكُفُّوا * أَمَا أَرْضَاكُمُ ثَمَنُ الحِيادِ ؟

أَخَذْتُمْ كلَّ ما تَبْغُون مِنَّا * فما هٰذا التَّحَكُّمُ فى العِبادِ ؟

بَلَوْنَا شِدَّةً منكم ولِينا * فكان كِلاهُمَا ذَرَّ الرَّمَادِ

وسالَمْتُمْ وعادَيْتُمْ زَمانًا * فلَمْ يُغْنِ المُسالِمُ والمُعادِى

فَلَيْسَ وراءَكُمْ غَيْرُ التَّجَنِّى * ولَيْسَ أَمامَنَا غَيْرُ اجتِهادِ

إلى الإنجليز

[نشرت فى ٢٨ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

حَوَّلُوا النِّيلَ واحْجُبُوا الضَّوءَ عَنَّا * واطْمِسُوا النَّجْمَ واحرِمُونَا النَّسِيمَا

واملَئُوا البَحْرَ إنْ أَرَدْتُمْ سَفِينًا * واملَئُوا الجَوَّ إنْ أَرَدْتُمْ رُجُومَا

وأَقِيمُوا لِلعَسْفِ فى كلِّ شِبْرٍ * (كُنْسْتَبْلًا) بالسَّوْطِ يَفْرِى الأَدِيمَا (١)

إنَّنا لَنْ نَحُولَ عن عَهْدِ مِصْرٍ * أو تَرَوْنَا فى التُّرْبِ عَظْمًا رَمِيمَا

عاصِفٌ صانَ مُلْكَكُمْ وحِمَاكُمْ * وكَفَاكُمْ بالأَمْسِ خَطْبًا جَسِيمَا

---

(١) العسف : الظلم والأخذ بالقوة . ويفرى الأديم : يشق الجلد .

غالَ (أَرْمادَةَ)[1] العَدُوَّ فَفُزْتُمْ * وبَلَغْتُمْ فى الشَّرْقِ شَأْوًا عَظِيمَا
فَعَدَلْتُمْ هُنَيْهَةً وبَغَيْتُمْ * وتَرَكْتُمُ فى النِّيلِ عَهْدًا ذَمِيمَا
فَشَهِدْنا ظُلْمًا يُقالُ له العَدْ * لُ ووُدًّا يَسْقِى الحَمِيمَ الحَمِيمَا[2]
فاتَّقُوا غَضْبَةَ العَواصِفِ إنِّى * قد رَأَيْتُ المَصِيرَ أَمْسَى وَخِيما

الحياد الكاذب

[نشرت فى سنة ١٩٣٢ م]

(قَصْرَ الدُّبارَةِ) قَدْ نَقَضْـ * ـتَ العَهْدَ نَقْضَ الغاصِبِ
أَخْفَيْتَ ما أَضْمَرْتَه * وأَبَنْتَ وُدَّ الصاحِبِ
الحَرْبُ أَرْوَحُ للنُّفُو * سِ مِنَ الحِيادِ الكاذِبِ

جلاء الإنجليز عن مصر

قالها تنديدا بكاتب فرنسى كان قد زعم أن جلاء الانجليز عن مصر سيكون فى أكتوبر

كَمْ حَدَّدُوا يومَ الجَلاءِ الذى * أَصْبَحَ فى الإبْهامِ كالمَحْشَرِ
وسَنَّ قَوْمُ الطَّيْشِ مِنْ جَهْلِهِمْ * كِذْبَةَ (إبريلَ لأكْتُوبَرِ)

(١) غال : أهلك . وأرمادة : هى الأسطول الأسبانى الذى كان يريد مهاجمة الأسطول الانجليزى فى القرن السادس عشر ، فتحطم بعاصفة شديدة حالت بينه وبين مهاجمته . وإلى هذه القصة يشير الشاعر بهذا البيت والذى قبله . ويشير بقوله « وبلغتم فى الشرق » : إلى كثرة مستعمرات الانجليز فيه .

(٢) يريد «بالحميم» الأول : الصديق . و «بالحميم» الثانى : الشراب الشديد الحرارة .

الامتيازات الأجنبية

سَكَتُّ فأَصْغَرُوا أَدَبِي * وقُلْتُ فأَكْبَرُوا أَرَبِي (١)

وما أَرْجُوهُ مِنْ بَلَدٍ * به ضاقَ الرَّجاءُ وَبِي؟

وهلْ (فى مِصْرَ) مُفْخَرَةٌ * سِوَى الأَلْقابِ والرُّتَبِ؟

وذِى إِرْثٍ يُكاثِرُنا * بمالٍ غيرِ مُكْتَسَبِ (٢)

وفى الرُّومِىِّ مَوْعِظَةٌ * لشَعْبٍ جَدَّ فى اللَّعِبِ (٣)

يُقَتِّلُنا بلا قَوَدٍ * ولا دِيَةٍ ولا رَهَبِ (٤)

ويَمْشِى نَحْوَ رايَتِهِ * فتَحْمِيهِ مِن العَطَبِ (٥)

فقُلْ للفاخِرِين : أَمَا * لهٰذا الفَخْرِ مِنْ سَبَبِ؟

أَرُونِى بَيْنَكُمْ رَجُلًا * رَكِينًا واضِحَ الحَسَبِ (٦)

أَرُونِى نِصْفَ مُخْتَرِعٍ * أَرُونِى رُبْعَ مُحْتَسِبِ (٧)

أَرُونِى نادِيًا حَفْلًا * بأَهْلِ الفَضْلِ والأَدَبِ؟

وماذا فى مَدارِسِكُمْ * مِن التَّعْلِيمِ والكُتُبِ؟

---

(١) الأرب : العقل . (٢) كاثره بماله : فاخره بكثرته .

(٣) يريد « بالشعب » : الشعب المصرى . وجدّ فى اللعب : أى استمرّ عليه وواظب .

(٤) القود : القصاص . والرهب (بالتحريك) : الخوف . (٥) العطب : الهلاك .

(٦) الركين : الرزين . (٧) يريد « بالمحتسب » : العالم بتدبير الأموال والتصرف فيها على أحسن وجه ؛ ومنه قولهم : « فلان محتسب البلد » .

وماذا فى مَساجِدِكُمْ * مِنَ التَّبْيانِ والْخُطَبِ؟
وماذا فى صَحائِفِكُمْ * سِوَى التَّمْويهِ والكَذِبِ؟
حَصائِدُ أَلْسُنٍ جَرَّتْ * إلى الوَيْلاتِ والْحَرَبِ (١)
فَهُبُّوا مِنْ مَراقِدِكُمْ * فإنَّ الْوَقْتَ مِنْ ذَهَبِ
فَهٰذِى أُمَّةُ (اليابا * نِ) جازَتْ دارَةَ الشُّهُبِ (٢)
فَهامَتْ بالعُلا شَغَفًا * وهِمْنا بابْنَةِ الْعِنَبِ (٣)

---

(١) حصائد الألسنة : ما تقتطعه من الكلام الذى لا خير فيه ، الواحدة حصيدة ، تشبيها له بما يحصد من الزرع إذا جف . وفى حديث معاذ : « وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم » . والحرب (بالتحريك) : الهلاك .

(٢) الدارة : المنزل .

(٣) ابنة العنب : الخمر .

الشكوى

الى محمد الشيمى بك المحامى بطنطا

قال حافظ هذين البيتين وكان يعمل بمكتبه فى أول شبابه قبل انتظامه فى سلك المدرسة الحربية ، ثم تركه لخلاف وقع بينهما

حِرابُ حَظَّى قد أَفْرَغْتُهُ طَمَعًا * بباب أستاذِنَا (الشِّيمِى) ولا عَجَبا
فعادَ لى وهو مَمْلوءٌ فقلتُ له : * مِمَّا؟ فقال مِن الحَسْراتِ واحَرَبَا (١)

الى آدم أبى البَشَر

سَلِيلَ الطِّينِ كم نِلْنَا شَقاءً * وكَمْ خَطَّتْ أَنامِلُنا ضَرِيحَا (٢)
وكم أَزْرَتْ بنا الأَيّامُ حَتّى * فَدَتْ بالكَبْشِ (إسْحَاقَ) الذَّبِيحَا (٣)

(١) سكن السين فى « الحسرات » لضرورة الوزن ، والحرب بالتحريك : الهلاك .

(٢) سليل الطين ، يريد آدم أبا البشر عليه السلام . وخط القبر : حفره . يقول لآدم : تركت بنيك يعبث بهم الشقاء والفناء .

(٣) أزرت بنا الأيام ، أى تهاونت بنا ، ووضعت من شأننا . و إسحاق الذبيح ، هو نبى الله إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ؛ وقد اختلف العلماء فى الذبيح من ولدى إبراهيم ، فقيل : هو إسحاق كما هنا ، وقيل : هو إسماعيل . وقصة هذا الذبح والفداء مشهورة ؛ وقد قصها الله تعالى فى القرآن ، إذ قال تعالى فى سورة الصافات : (فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) الآيات .

وباعَتْ (يُوسُفًا)[١] بَيْعَ المَوالِي * وأَلْقَتْ فى يَدِ القَوْمِ (المَسِيحَا)

ويا (نُوحًا)[٢] جَنَيْتَ على البَرَايَا * ولَمْ تَمْنَحْهُمُ الوُدَّ الصَّحِيحَا

عَلامَ حَمَلْتَهُمْ فى الفُلْكِ هَلَّا * تَرَكْتَهُمُ فَكُنْتَ لَهُمْ مُرِيحَا

أَصابَ رِفاقِيَ القِدْحَ المُعَلَّى[٣] * وصادَفَ سَهْمِيَ القِدْحَ المَنِيحا

فلو ساقَ القَضاءُ إلىَّ نَفْعًا * لَقامَ أَخُوهُ[٤] مُعْتَرِضًا شَحِيحَا

---

(١) يوسف ، هو ابن يعقوب عليهما السلام ، وأمره مع إخوته من إلقائه فى الجب ، والتقاط بعض السيارة له ، وبيعهم إياه بيع العبيد مشهور ، وقد قص الله ذلك فى القرآن فى سورة يوسف . والموالى : العبيد ؛ الواحد مولى . ويريد « بالقوم » : جماعة اليهود الذين أرادوا صلب عيسى عليه السلام ؛ وقد قص الله تعالى ذلك فى القرآن .

(٢) يشير الى قصة نبى الله نوح عليه السلام ، وأمره مع قومه والطوفان الذى أرسله الله عليهم ونجاته بمن معه فى السفينة مشهور ، وقد قص الله تعالى ذلك فى القرآن .

(٣) القدح (بكسر القاف وسكون الدال) : واحد القداح ، وهى سهام الميسر . والقدح المعلى ، هو السهم السابع منها ، وهو أفضلها ، لأنه اذا خرج حاز سبعة أنصباء . والمنيح : سهم من سهام الميسر لا نصيب له ولا فرض ، وهو الثالث من القداح الغفل التى ليس لها فرض ولا أنصباء .

(٤) أخوه ، أى أخو القضاء ، وهو القدر .

النفس الحزينة

بيتان مترجمان عن (چان چاك[1] روسو)

[نشرا فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

خَلَقْتَ لى نَفْسًا فأَرْصَدْتَهَا * لِلحُزْنِ والبَلْوَى وهٰذا الشَّقاءْ[2]

فآمَنْ بنَفْسٍ لَمْ يَشُبْهَا الأَسَى * لَعلَّهَا تَعْرِفُ طَعْمَ الهَنَاءْ[3]

سعيٌ بلا جدوى

يصف سعيه المتواصل وبؤسه وإباءه ، ويتمنى الراحة من ذلك بالموت

[نشرت فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٠ م]

سَعَيْتُ إلى أَنْ كِدْتُ أَنْتَعِلُ الدَّما * وعُدْتُ وما أَعْقَبْتُ إلّا التَّنَدُّمَا[4]

لَحَى اللهُ عَهْدَ القاسِطِين الّذى به * تَهَدَّمَ مِنْ بُنْيانِنا ما تَهَدَّمَا[5]

إذا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّعادَةَ بينهمْ * فلا تَكُ مِصْرِيًّا ولا تَكُ مُسْلِمَا

سَلامٌ على الدُّنيا سَلامَ مُوَدِّعٍ * رَأَى فى ظَلامِ القَبْرِ أُنْسًا ومَغْنَمَا

---

(١) روسو ، هو الكاتب الفرنسى المعروف ، بطل الحرية وزعيم المساواة . ولد سنة ١٧١٢ م ، وكانت وفاته فى ٣ يوليه سنة ١٧٧٠ م . وله عدة تآليف ، منها كتاب الاتفاق الجمهورى ، وكتاب إميل ، وقاموس فى الموسيق ، وآخر فى علم النبات ، وغيرها .

(٢) أرصدتها للحزن : حبستها عليه .

(٣) لم يشبها : لم يخالطها . أى آمن على بنفس أخرى لم تخالطها الأحزان .

(٤) يقول : إنه تقرحت قدماه من كثرة السعى على الرزق حتى صار دم قدميه أشبه بالنعل لها ، وما عاد بعد كل هذا إلا بالندم .

(٥) القاسطون : الجائرون المائلون عن الحق ؛ ويريد بهم المحتلين وصنائعهم .

أَضَـرَّتْ به الأُولَى فهامَ بأُخْتِها * فإنْ ساءَت الأُخْرَى فوَيْلاهُ مِنْهُمَا (١)

فهُبِّي رِياحَ المـوتِ نُكْبًا وأَطْفِئِي * سِراجَ حَياتِي قَبْلَ أنْ يَتَحَطَّمَا (٢)

فما عَصَمَتْنِي مِنْ زَمانِي فَضائِلِي * ولكنْ رأيتُ الموتَ للحُرِّ أَعْصَمَا (٣)

فيا قلبُ لا تَجْزَعْ إذا عَضَّكَ الأَسَى * فإنَّكَ بَعْـدَ اليَوْمِ لن تَتَأَلَّمَا (٤)

ويا عَيْنُ قد آنَ الجُمُودُ لِمَدْمَعِي * فلا سَيْلَ دَمْعٍ تَسْكُبِين ولا دَمَا (٥)

ويا يَدُ ما كَلَّفْتُـكِ البَسْـطَ مَرَّةً * لِذِي مِنَّـةٍ أَوْلَى الجَمِيـلَ وأَنْعَمَا

فللّه ما أَحْـلاكِ فى أَنْمُـلِ البِلَى * وإنْ كنتِ أَحْلَى فى الطُّرُوسِ وأَكْرَمَا (٦)

ويا قَـدَمِي ما سِـرْتِ بى لِمَـذَلَّةٍ * ولَمْ تَرْتَقِى إلّا إلى العِـزِّ سُلَّمَـا

فلا تُبْطِئِى سَيْرًا الى الموتِ واعلَمِى * بأنّ كَرِيمَ القَـومِ مَن مات مُكْرَمَا

ويا نفسُ كم جَشَّمْتُكِ الصبرَ والرضا * وجَشَّمْتِنِى أن أَلْبَسَ المجـدَ مُعْلَمَا (٧)

فما اسطَعْتِ أنْ تَسْتَمْرِئِى مُرَّ طَعْمِه * وما اسطَعتُ بين القومِ أنْ أتقدَّمَا (٨)

---

(١) يريد «بالأولى» : الدنيا . و«بالأخرى» : الآخرة ؛ إذ شقى فيها كما شقى فى دنياه فويلاه .

(٢) النكب : جمع نكباء ، وهى الريح اذا انحرفت عن وجهها ووقعت بين ريحين ، وهى ريح مهلكة للزرع والمواشى ، حابسة للقطر . ويحطم : يتكسر .

(٣) عصمتنى : حفظتنى .

(٤) يشير بقوله «بعد اليوم» : إلى الموت .

(٥) جمود الدمع : انقطاعه أو قلته . فكر الشاعر فى هذا البيت أن ماتمناه من الموت قد وقع ، وانقطعت عنه أسباب الحزن المجرية للدموع .

(٦) فى أنمل البلى ، أى فى يد الفناء . والطروس : جمع طرس (بكسر الطاء وسكون الراء) ، وهو الصحيفة يكتب فيها .

(٧) جشمتك : كلفتك . والمعلم من الثياب : الذى فيه أعلام من طراز أو غيره . شبه المجد به فى وضوحه وظهوره .

(٨) استمرأ الطعام : استطابه واستساغه . ويشير بالشطر الأول من هذا البيت إلى الصبر والرضا الواردين فى البيت السابق . وبقوله « وما اسطعت بين القوم ... الخ » إلى المجد ، فى البيت السابق أيضا . يقول لنفسه : إن كابدا لم يستطع القيام بما كلف به .

فهٰذا فِراقٌ بيننا فتَجَمَّلِي * فإنّ الرَّدَى أَحْلَى مَذاقا ومَطْعَما (١)

ويا صَدْرُ كم حَلَّت بذاتِكَ ضِيقةٌ * وكَمْ جالَ فى أَنْحائِكَ الهَمُّ وارتَمَى

فهَلَّا تَرَى فى ضِيقةِ القَبْرِ فُسْحَةً * تُنَفِّسُ عنكَ الكَرْبَ إنْ بِتَّ مُبْرَما؟ (٢)

ويا قَبْرُ لا تَبْخَلْ بِرَدِّ تَحِيَّةٍ * على صاحبٍ أَوْفَى علينا وسَلَّما (٣)

وهيهاتَ يأتى الحَيُّ للمَيْتِ زائرًا * فإنّى رأيتُ الوُدَّ فى الحَيِّ أَسْقَما

ويأيُّها النَّجمُ الّذى طال سُهْدُه * وقد أَخَذَتْ منه السُّرَى أين يَمَّما (٤)

لَعَلَّكَ لا تَنْسَى عُهودَ مُنادِمٍ * تَعَلَّمَ منك السُّهْدَ والأَيْنَ كُلَّما (٥)

الإخفاق بعد الكدّ

وفيها يغنى مجد الترك والعرب، ويشير الى معان أخرى فى الشكوى

[نشرت سنة ١٣١٨ هـ — سنة ١٩٠٠ م]

ماذا أَصَبْتَ مِنَ الأَسْفارِ والنَّصَبِ * وطَيِّكَ العُمْرَ بَيْنَ الوَخْدِ والخَبَبِ؟ (٦)

تَراكَ تَطْلُبُ لا هَوْنًا ولا كَثَبًا * ولا تَرَى لكَ مِنْ مالٍ ولا نَشَبِ (٧)

---

(١) تجمل : لاتظهرى الجزع . (٢) المبرم : المنضجر . (٣) أوفى، أى أشرف عليها زائرا . (٤) السرى (بضم السين) : السير ليلا . ويمم : قصد . (٥) الأين : التعب والإعياء . وفى هذا البيت والذى قبله ينادى الشاعر النجم الذى أخذ منه السهر والسرى كل مأخذ، ويطلب إليه أن يذكر عهود أليف له فى سهره وسيره . وقوله « كلما » ، أى كلما سهرت أيها النجم وتعبت من السرى .

(٦) النصب (بالتحريك) : التعب . والوخد : الإسراع فى المشى . والخبب (بالتحريك) : أن يقل الفرس أيامنه جميعا وأياسره جميعا إذا عدا . (٧) الهون : الهين . والكثب (بالتحريك) : القرب . والهون والكثب : صفتان لموصوف محذوف، أى لاطلبا هينا ولا قريبا . والنشب : المال الأصيل .

لا تُطْعِمانِيَ أَنْيابَ المَلامِ عَلَى * هٰذا العِثارِ فإنِّي مَهْبِطُ العَجَبِ (١)

وَدِدْتُ لو طَرَحُوا بِي يومَ جِئْتُهُمُ * في مَسْبَحِ الحُوتِ أو في مَسْرَحِ العَطَبِ (٢)

لعلَّ (مانِيَ) لاقَى ما أُكابِدُه * فوَدَّ تَعْجِيلَنا مِن عالَمِ الشَّجَبِ (٣)

إنِّي احْتَسَبْتُ شَبابًا بِتُّ أُنْفِقُه * وعَزْمَةً شابَتِ الدُّنيا ولَمْ تَشِبِ (٤)

كم هِمْتُ في البِيدِ والآرامُ قائِلَةٌ * والشَّمسُ تَرْمِي أَدِيمَ الأَرْضِ باللَّهَبِ (٥)

وكم لَبِسْتُ الدُّجَى والتُّرْبُ ناعِسَةٌ * واللَّيْلُ أَهْدَأُ مِنْ جَأْشِي لَدَى النُّوَبِ (٦)

والنَّجمُ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِي ويَحْسَبُنِي * لَدَى السُّرَى ثامِنًا للسَّبْعَةِ الشُّهُبِ (٧)

لكنَّنِي غيرُ مَجْدُودٍ وما فَتِئَتْ * يَدُ المَقادِيرِ تُقْصِينِي عن الأَرَبِ (٨)

---

(١) «لا تطعماني ... الخ»، أي لاتجعلاني طعمة . وقد شبه الملام، بالاسد ذي الأنياب؛ ونفسه بالفريسة . (٢) تمنى لوطرحه أهله يوم ولادته في قاع البحر أو في أي طريق من طرق الهلاك .

(٣) ماني، هو ماني الثنوي صاحب مذهب المانوية المشهور. ويشير الشاعر بهذا البيت إلى ما كان يراه ماني من وجوب تعجيل الفناء للبشر بقطع النسل، وقد ظهر ماني في أيام سابور بن أردشير، وقتل في زمن بهرام بن سابور . والشجب : الحزن والعنت يصيب الإنسان من مرض ونحوه . (٤) يريد أنه لم يستفد من شبابه ولا عزمته في أيام الحياة شيئا، فاحتسبهما عند الله وعدهما فيما يدخره من أجر وثواب .

(٥) هام : ذهب على وجهه حائرا لا يدري أين يتوجه . والآرام : الظباء؛ الواحد : رئم، وهو في الأصل مخصوص بالظبي الخالص البياض . والقائلة : المستكنة وقت الظهيرة لشدة الحر؛ ويقال : إن الظباء لا تقيل إلا إذا اشتد القيظ . وأديم الأرض : وجهها وظاهرها . (٦) الترب (بضم فسكون) : جمع ترباء، بمعنى التراب؛ وهذا الجمع مطرد في (فعلاء) مؤنث (أفعل) ويريد بكونها ناعسة، أنها مستقرة في مكانها لقلة من يثيرها من المأوة بالمشي عليها . والجأش : النفس . وقيل : القلب . يصف في الشطر الأخير الليل بأنه أشد هدوءا من هدوء نفسه واطمئنانها عند نوائب الدهر . (٧) الشهب السبعة، هي السيارة، وهي : زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر . يقول : إنه مستمر على السرى استمرار هذه الكواكب، حتى كأنه واحد منها . (٨) المجدود : المحظوظ .

وقد غَدَوْتُ وآمالِى مُطَرَّحَةٌ * وفى أُمُورِىَ ما لِلصَّبِّ فى ٱلذَنَبِ (١)

فإنْ تَكُنْ نِسْبَتِى للشَّرْقِ مانِعَتِى * حَظًّا فَوَاهًا لمَجْدِ التُّرْكِ والعَرَبِ

وقاضِباتٍ لهُمْ كانت إذا ٱخْتُرِطَتْ * تَدَثَّرَ الغَرْبُ فى ثَوْبٍ مِنَ الرَّهَبِ (٢)

وجَمْرَةٍ لهُمُ فى الشَّرْقِ ما هَمَدَتْ * ولا عَلاها رَمادُ الخَتْلِ والكَذِبِ (٣)

مَتَى أَرَى (النِّيلَ) لا تَحْلُو مَوارِدُه * لغيرِ مُرْتَهِبٍ لِلّهِ مُرْتَقِبِ

فقد غَدَتْ (مِصْرُ) فى حالٍ إذا ذُكِرَتْ * جادَتْ جُفونِى لها باللُّؤْلُؤِ الرَّطِبِ (٤)

كأنّنِى عندَ ذِكْرِى ما ألَمَّ بها * قَرْمٌ تَرَدَّدَ بين المَوْتِ والهَرَبِ (٥)

إذا نَطَقْتُ فَقاعُ السِّجْنِ مُتَّكَأٌ * وإنْ سَكَتُّ فإنّ النَّفْسَ لَمْ تَطِبِ (٦)

أيَشْتَكِى الفَقْرَ غادِينا ورائِحُنا * ونحن نَمْشِى على أرضٍ مِنَ الذَّهَبِ

والقَوْمُ فى (مِصْرَ) كالإسْفَنْجِ قد ظَفِرَتْ * بالماءِ لَمْ يَتْرُكوا ضَرْعًا لمُحْتَلِبِ (٧)

---

(١) مطرحة ، ملقاة منبوذة . ويريد بقوله « وفى أمورى ... الخ » : أن أموره معقدة متعذرة الحل ، كأنها ذنب الضب الذى يضرب به المثل فى التعقيد .

(٢) القاضبات : السيوف القواطع . واخترط السيف : استله من غمده . وتدثر : التف . والرهب (بالتحريك) : الخوف والرعب . يتحسر على زمان كانت فيه للترك والعرب سطوة يخشى بأسها الغرب .

(٣) استعار «الجمرة» فى هذا البيت لقوّة الدولة وشوكتها وعزها . والختل : الخداع . يصف سياستهم بالصراحة وأنها لم يغشها كذب ولا خداع كما غشى غيرها من سياسات دول الغرب .

(٤) الرطب (بسكون الطاء) معروف ، وتحريكها هنا لضرورة الوزن ؛ ويلاحظ أننا لم نجد ذلك فى شعر آخر فيما راجعنا . (٥) القرم : السيد العظيم والبطل الشجاع . (٦) يقول : إنه إذا ذكر مصر اضطرب أمره بين إقدام عاقبته العقاب ، وإحجام يعقبه لذع الضمير .

(٧) يريد « بالقوم » : الأجانب . يقول : إن هؤلاء الأجانب فى مصر امتصوا كل خيرها كالإسفنج يمتص ما فى الوعاء من ماء . والضرع للبهائم بمنزلة الثدى للمرأة ، جمعه ضروع .

(يا آلَ عُثمانَ) ما هٰذا الجَفاءُ لنا * ونَحْنُ فى اللهِ إخْوانٌ وفى الكُتُبِ (١)

تَرَكْتُمُونا لأَقْوامٍ تُخالِفُنا * فى الدِّينِ والفَضْلِ والأخلاقِ والأَدَبِ

حسرة على فائت

[نشرت فى يونيه سنة ١٩٠٢ م]

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِن الدُّنْيا بأَيْدِينا * إلّا بَقِيَّةُ دَمْعٍ فى مَآقِينا (٢)

كَمْ قِلادَةَ جِيدِ الدَّهْرِ فانفَرَطَتْ * وفى يَمِينِ العُلا كُنّا رَياحِينا

كانت مَنازِلُنا فى العِزِّ شامِخَةً * لا تُشْرِقُ الشَّمْسُ إلّا فى مَغانِينا (٣)

وكانَ أَقْصَى مُنَى نَهْرِ (المَجَرَّة) لو * مِن مائِه مُزِجَتْ أَقْداحُ ساقِينا (٤)

والشُّهْبُ لو أنّها كانت مُسَخَّرَةً * لَرَجْمِ من كانَ يَبْدُو مِن أَعادِينا

فلَمْ نَزَلْ وصُرُوفُ الدَّهْرِ تَرْمُقُنا * شَزْرًا وتَخْدَعُنا الدّنيا وتُلْهِينا (٥)

حتّى غَدَوْنا ولا جاهٌ ولا نَشَبٌ * ولا صَدِيقٌ ولا خِلٌّ يُواسِينا (٦)

---

(١) آل عثمان : الترك .

(٢) المآقى : جمع مؤق ومأق ، وهو مجرى الدمع من العين .

(٣) المغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل الذى غنى به أهله ، أى أقاموا .

(٤) المجرة : نجوم كثيرة يتشرضوء هافيرى كأنه بقعة بيضاء ؛ وتشبهها الشعراء بالنهر ، كما فى هذا البيت .

(٥) صروف الدهر : غيره ونوائبه . والنظر الشزر : أن تنظر إلى غيرك بجانب عينك ولا تستقبله بوجهك معرضا عنه ، أو غاضبا عليه .

(٦) النشب : المال والعقار .

وداع الشباب

قال هذه القصيدة فى دار وسط مزارع فى الجيزة قضى فيها بعض أيام شبابه ، ثم مر بها بعد عهد طويل من تحوّله عنها فتحرّكت فى نفسه ذكريات ، وجاش صدره بهذه الأبيات

[نشرت فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٢ م]

كم مَرَّ بى فيكِ عَيْشٌ لَسْتُ أَذْكُرُه * ومَرَّ بى فيكِ عَيْشٌ لَسْتُ أَنْساهُ (١)

وَدَّعْتُ فيكِ بَقايَا ما عَلِقْتُ به * مِنَ الشَّباب وما وَدَّعْتُ ذِكْراهُ

أَهْفُو إليه على ما أَقْرَحَتْ كَبِدى * مِنَ التَّباريحِ أُولَاهُ وأُخْراهُ (٢)

لَبِسْتُه ودُمُوعُ العَيْنِ طَيِّعَةٌ * والنفسُ جَيَّاشَةٌ والقَلْبُ أَوّاهُ (٣)

فكان عَوْنِى على وَجْدٍ أُكابِدُه * ومُرَّ عَيْشٍ على العِلّاتِ أَقْساهُ

إنْ خانَ وُدِّى صَدِيقٌ كنتُ أَصْحَبُه * أو خانَ عَهْدِى حَبِيبٌ كنتُ أَهْواهُ

قد أَرْخَصَ الدَّمْعَ يَنْبُوعُ الفَناءِ به * وا لَهْفَتِى ونُضُوبُ الشَّيْبِ أَغْلاهُ (٤)

كم رَوَّحَ الدمعُ عَنْ قَلْبِى وكم غَسَلَتْ * منه السَّوابِقُ حُزْناً فى حَنَاياهُ (٥)

---

(١) يقول : إنه مرت به فى هذا البيت شؤون وأحوال نسى بعضها وذكر بعضها .

(٢) أهفو ، أى أميل . والتباريح : ما يعانيه المحب من شدّة الشوق .

(٣) جياشة : مضطربة بمختلف العواطف . والأوّاه : الحزين .

(٤) أرخصه : جعله رخيصا . والضمير فى «به» يعود على الشباب . ونضوب الشيب ، أى ذبول العود وجفافه فى المشيب . يقول فى الشطر الأول : إن غزارة الدمع فى عهد الشباب قد جعلته رخيصا يفيض لأقل الأشياء ؛ ويتلهف فى الشطر الثانى على قلة هذا الدمع فى عهد المشيب حتى علا وعز ، فلا يجيبه اذا دعاه .

(٥) روح الدمع عن قلبى ، أى خفف من حزنه ونفس من لوعته . وسوابق الدموع : ما أسرع منها .

لَمْ أَدْرِ ما يَدُه حتّى تَرَشَّفَه * فَمُ المَشِيبِ على رَغْمِي فأَفْناهُ (١)

قالوا تَحَرَّرْتَ مِنْ قَيْدِ المِلاحِ فعِشْ * حُرًّا ففِي الأَسْرِ ذُلٌّ كُنتَ تأْباهُ

فقُلْتُ يا لَيْتَه دامَتْ صَرامَتُه * ما كان أَرْفَقَه عندى وأَحْناهُ (٢)

بُدِّلْتُ منه بقَيْدٍ لَسْتُ أُفْلِتُه * وكيف أُفْلِتُ قَيْدًا صاغَه اللهُ (٣)

أَسْرَى الصَّبابَةِ أَحْياءٌ وإنْ جَهِدُوا * أَمَّا المَشِيبُ ففِي الأَمْواتِ أَسْراهُ

وقال :

كتب بها من السودان إلى بعض أصدقائه يشكو حظه ويتشوّق إلى مصر

رَمَيْتُ بها على هٰذا التَّبابِ * وما أَوْرَدْتُها غيرَ السَّرابِ (٤)

وما حَمَّلْتُها إلّا شَقاءً * تُقاضِينِي به يومَ الحِسابِ (٥)

جَنَيْتُ عليكِ يا نَفْسِي وقَبْلِي * عليكِ جَنَى أَبِي فدَعِي عِتابِي (٦)

فلَوْلا أَنَّهم وأَدُوا بَيانِي * بَلَغْتُ بكِ المُنى وشَفَيْتُ مابِي (٧)

---

(١) يده ، أى نعمة الدمع عندى ؛ ويقال : ترشفه ، أى شربه قليلا قليلا .

(٢) يا ليته ، أى يا ليت هذا القيد السابق ذكره . وصرامته : شدّته وإحكامه وتعذر الإفلات منه .

(٣) المعروف أن الباء تدخل على المتروك عكس ما استعمله الشاعر هنا ؛ ولكن ورد فى عبارة بعض اللغويين ما يفيد صحة دخول الباء على المأخوذ كاستعمال الشاعر . قال أبو العباس ثعلب : يقال « بدّلت الخاتم بالحلقة » : اذا أذبته وسوّيته حلقة ؛ وبدّلت الحلقة بالخاتم : اذا أذبتها وجعلتها خاتما . والمراد بالقيد هنا : قيد المشيب . (٤) بها ، أى بالنفس . والتباب : الخسران والنقص . والسراب : هو ما تراه نصف النهار من اشتداد الحر كالماء عن بعد ؛ ويشبه به الخداع . (٥) تقاضينى : تحاسبنى عليه .

(٦) جناية أبيه عليه أنه كان سببا فى ولادته ، إشارة الى قول المعرّى :

هـذا جناه أبى على * وما جنيت على أحد

(٧) وأده : دفنه حيا .

سَعَيْتُ وكم سَعَى قَبْلى أديبٌ * فآبَ بخَيْبةٍ بَعْدَ اغْترابِ

(١)

وما أعْذَرْتُ حتى كان نَعْلِى * دَمًا ووِسادَتى وَجْهَ التُّرابِ

(٢)

وحتى صَيَّرَتْنى الشمسُ عَبْدًا * صَبِيغًا بَعْدَ ما دَبَغَتْ إهابِى

(٣)

وحتى قَلَّمَ الإمْلاقُ ظُفْرِى * وحتى حَطَّمَ المِقْدارُ نابِى

(٤)

مَتى أنا بالِغٌ يا (مِصْرُ) أرْضًا * أَشُمُّ بتُرْبِها رِيحَ المَلابِ

(٥)

رأيتُ ابْنَ البُخارِ على رُباها * يَمُرُّ كأنَّه شَرْخُ الشَّبابِ

كأنّ بجَوْفِه أحشاءَ صَبٍّ * يُؤَجِّجُ نارَها شَوقُ الإيابِ

(٦)

إذا ما لاحَ ساعَلَنا الدَّياجِى * أَبَرْقُ الأَرْضِ أمْ بَرْقُ السَّحابِ

وقال :

ما لِهَذَا النَّجْمِ فى السَّحَرِ * قد سَها مِنْ شِدّةِ السَّهَرِ؟

(٧)

خِلْتُه يا قَوْمُ يُؤْنِسُنِى * إنْ جَفانى مُؤْنِسُ السَّحَرِ

يا لِقَوْمِى إنّنى رَجُلٌ * أَفْنَتِ الأَيّامُ مُصْطَبَرِى

(٨)

أَسْهَرَتْنِى الحادِثاتُ وقد * نامَ حتّى هاتِفُ الشَّجَرِ

---

(١) ما أعذرت : ما قصرت . و يريد «بكون نعله دما» : كثرة السعى الى أن تقرحت قدماه فصار الدم لها كالنعل . (٢) الصبيغ : المصبوغ . و إهاب الانسان : جلده . (٣) قلمه : قطعه . والإملاق : الفقر المدقع . و يريد «بالظفر والناب» فى هذا البيت : أسباب قوته . (٤) الملاب : لفظ فارسى ، وهو كل عطر سائل . (٥) ابن البخار : القطار . والربا : ما ارتفع من الأرض . وشرخ الشباب : أوله و ريعانه ، شبه به القطار فى السرعة . (٦) الدياجى : الظلمات ، جمع داجية .

(٧) مؤنس السحر : حبيبه أو نديمه . (٨) هاتف الشجر : الطائر المغرّد .

والدُّجَى يَخْطُو على مَهَلٍ * خَطْوَ ذى عِزٍّ وذى خَفَرِ (١)

فِيه شَخْصُ اليَأْسِ عانَقَنِي * كَحَبِيبٍ آبَ مِن سَفَرِ

وأَثارَتْ بى فَوادِحُه * كامِناتِ الهَمِّ والكَدَرِ (٢)

وكأنّ اللَّيْلَ أَقْسَمَ لا * يَنْقَضِى أو يَنْقَضِى عُمُرِى

أيُّها الزَّنْجِىُّ ما لَكَ لَمْ * تَخْشَ فينا خالِقَ البَشَرِ؟ (٣)

لِى حَبِيبٌ هاجِرٌ ولَهُ * صُورَةٌ مِن أَبْدَعِ الصُّوَرِ

أَتَلاشَى فى مَحَبَّتِه * كَتَلاشِى الظِّلِّ فى القَمَرِ

شكوى الظلم

لَقَدْ كانَتِ الأَمْثالُ تُضْرَبُ بَيْنَنا * بِجَوْرِ (سَدُومٍ) وهوَ مِنْ أَظْلَمِ البَشَرْ (٤)

فلمّا بَدَتْ فى الكَوْنِ آياتُ ظُلْمِهِمْ * إذا (بِسَدُومٍ) فى حُكومَتِه (عُمَرْ) (٥)

(١) الخفر : شدة الحياء . وقد كنى «بتمهل الدجى فى خطوه» عن طول الليل .

(٢) الفوادح : ما يثقل حمله من النوائب .

(٣) يريد «بالزنجى» : الليل ، لسواده .

(٤) سدوم (بالدال المهملة ، وقيل بالذال المعجمة) : إحدى مدائن قوم لوط الخمس التى دمرها الله لجور أهلها وكفرهم ، وكان لها قاض يضرب به المثل فى الظلم ، يقال له : (سدوم) أيضا ، فقيل : «أظلم من قاضى سدوم» .

(٥) الحكومة : الحكم . وعمر ، هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ ضرب به المثل فى العدل . ويريد الشاعر بهذا البيت : أن ظلم سدوم يتضاءل حتى يصير عدلا اذا قيس بظلم حكام هذا العصر .

وقال فى مرض له :

مَرِضْنا فما عادَنا عائدُ * ولا قيلَ : أَيْنَ الفَتَى الأَلْمَعِى؟ (١)

ولا حَنَّ طِرْسٌ إلى كاتِبٍ * ولا خَفَّ لَفْظٌ على مِسْمَعِ (٢)

سَكَتْنا فعَزَّ علينا السُّكوت * وهانَ الكلامُ على المُدَّعِى

فيا دَوْلَةً آذَنَتْ بالزوال * رَجَعْنا لعَهْدِ أَهَوَى فارْجِعِى (٣)

ولا تَحْسِبِينا سَلَوْنا النَّسيب * وبين الضُّلُوعِ فؤادٌ يَعِى (٤)

سجن الفضائل

نَعِمْنَ بنَفْسِى وأَشْقَيْنَنِى * فيا لَيْتَهُنَّ ويا لَيْتَنِى (٥)

خِلالٌ تَزَلْنَ بِخَصْبِ النُّفُوس * فَرَوَّيْنَهُنَّ وأَظْمَأْنَنِى

تَعَوَّدْنَ مِنِّى إباءَ الكَرِيم * وصَبْرَ الحَلِيم وتِيهَ الغَنِى

وعَوَّدْتُهُنَّ نِزالَ الخُطُوب * فما يَنْثَنِينَ وما أَنْثَنِى

إذا ما لَهَوْتُ بلَيْلِ الشَّباب * أَهَبْنَ بعَزْمِى فَنَبَّهْنَنِى (٦)

---

(١) الألمعى : الذكى المتوقد ذكاء . (٢) الطرس : الصحيفة يكتب فيها . والمسمع (بكسر الميم الأولى) : الأذن . (وبفتحها) : السمع . (٣) يريد دولة الأدب .

(٤) النسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر . ويعى : يحفظ .

(٥) نعمن ، أى الخلال المذكورة فى البيت الآتى . فاليتهن و ياليتنى ، أى ياليتهن ما نعمن و ياليتنى ما شقيت . (٦) أهاب به : دعاه .

فما زِلْتُ أَمْرَحُ فى قِدِّهِنَّ * ويَمْرَحْنَ مِنِّى بِرَوْضٍ جَنِى (١)

إلى أَنْ تَوَلَّى زَمَانُ الشَّباب * وأَوْشَكَ عُودِى أَنْ يَنْحَنِى

فيا نَفْسُ إنْ كنتِ لا تُوقِنِين * بِمَعْقُودِ أَمْرِكِ فاسْتَيْقِنِى (٢)

فهٰذِى الفَضِيلةُ سِجْنُ النُّفوس * وأَنتِ الجَدِيرَةُ أَنْ تُسْجَنِى

فلا تَسْأَلِينِى مَتَى تَنْقَضِى * لَيالِى الإسارِ؟ ولا تَحْزَنِى

كتاب الى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

كتب به اليه من السودان

كِتابِى إلى سَيِّدِى، وأَنا مِنْ وَعْدِه بين الجَنَّةِ والسَّلْسَبِيل (٣)، ومِنْ تِيهِى به فوقَ النَّثْرَةِ والإكْلِيل (٤)؛ وقد تَعَجَّلْتُ السُّرور، وتَسَلَّفْتُ (٥) الحُبُور؛

* وقَطَّعْتُ ما بينى و بين النَّوائب *

و بَشَّرْتُ أَهْلِى بالّذى قد سَمِعْتُه * فما مِحْنَتِى إلَّا لَيالٍ قَلائلُ

وقلتُ لهُمْ لِلشَّيخِ فِينا مَشِيئةٌ * فليسَ لنا مِنْ دَهْرِنا ما نُنازِلُ (٦)

---

(١) القدّ (بالكسر) : السير يقدّ من جلد يقيد به الأسير؛ والضمير يعود على الخلال . وروض جنى (بتشديد الياء وخففت للشعر)، أى أدرك ثمره وصلح للجنى . يقول : إننى فى ضيق من هذه الخلال الحميدة، وهن فى سعة من نفسى . (٢) بمعقود أمرك، أى بما هو حتم عليك من مصيرك وما لا بد لك منه، وهو الموت . (٣) السلسبيل : اسم عين ماء فى الجنة؛ قال تعالى : «عينا فيها تسمى سلسبيلا» .

(٤) النثرة : اسم كوكب تسميه العرب «نثرة الأسد»، وهى من منازل القمر . والإكليل : منزل من منازل القمر (أيضا)، وهو أربعة أنجم مصطفة . (٥) تسلفت الحبور : طلبته مقدّما قبل أوانه .

(٦) ننازل : نقاتل .

وجَمَعْتُ فيه بين ثِقَةِ الزَّبِيدِيِّ[1] بالصَّمْصَامَة ، والحارِثِ بالنَّعامة[2] ؛ فلَمْ أقُلْ ما قال الهُذَلِيُّ[3] لصاحِبِه حِينَ نَسِيَ وَعْدَه ، وحَجَبَ رِفْدَه[4] :

* يا دارَ عاتِكَةَ الّتي أَتَعَزَّلُ[5]

---

(١) الزبيدى ، هو عمرو بن معد يكرب الفارس المشهور ، وهو من بنى زبيد ، وقد أدرك الجاهلية والإسلام ، وله بلاء حسن فى المعارك التى شهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى غيرها . والصمصامة : اسم سيفه .

(٢) الحارث ، هو ابن عباد التغلبى ؛ وهو من شيوخ العرب ورؤسائهم . والنعامة : اسم فرسه .

(٣) يريد « بالهذلى » أبا بكر . و « بصاحبه » : أبا جعفر المنصور الخليفة العباسى المعروف . ويشير الكاتب بهذا الكلام إلى ما حدث بينهما ، وكان أبو بكر الهذلى هذا من جلساء المنصور وصحابته ، وكان قد تعوّد ألا يكلم المنصور إلا جوابا على سؤال إجلالا له ، ورهبة منه ، وقد وعده المنصور ذات يوم بجائزة ، ثم تثاقل عن الوفاء بوعده ، فبينما هما يسيران ذات يوم إذ مرا بدار عاتكة التى يشبب بها الأحوص ؛ فقال الهذلى للمنصور : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت عاتكة التى يقول فيه الشاعر .

* يا دار عاتكة التى أتعزل *

فعجب المنصور من صاحبه كيف بدأه بالكلام على غير عادته ، وفطن إلى ما يريد الهذلى بذكر هذه الأبيات ، وهو قول الشاعر فيها :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول مالا يفعل

وتذكّر وعده ، فقام بوفائه لساعته . والشعر للأحوص بن محمد بن عبد الله الأنصارى من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز ، وأولها :

يا دار عاتكة التى أتعزل * حذر العدا وبك الفؤاد موكل

إنى لأمنحك الصدود وإننى * قسما اليك مع الصدود لأميل

ويريد الكاتب بهذا الكلام : انه لا يذكر الأستاذ الإمام بوعده كما فعل الهذلى مع المنصور .

(٤) الرفد : العطاء والصلة .

(٥) أتعزل : أتجنب .

بل أناديه نِداءَ الأَخِيذَةِ[1] فى عَمُّورِيَّة، شُجاعَ الدَّوْلَةِ العَبّاسيّة، وأَمُدُّ صَوتِى بِذِكْرِ إحسانِه، مَدَّ المُؤَذِّنِ صَوْتَه فى أَذانِه، وأَعْتَمِدُ عليه فى البُعْدِ والقُرْب، اعتمادَ المَلّاحِ على نَجْمَةِ القُطْب.

وقال أَصَيْحَابِى وقد هَالَنِى النَّوَى ٭ وهالَهُمُ أَمْرِى: مَتى أَنْتَ قَافِلُ؟[2]

فقلتُ: إذا شاءَ الإمامُ فأَوْبَتِى ٭ قَرِيبٌ ورَبْعِى بالسَّعَادَةِ آهِلُ[3]

وهٰأنَا مُتَماسِكٌ حتّى تَنْحَسِرَ هٰذه الغَمْرَة[4]، ويَنْطَوِىَ أَجَلُ تلكَ الفَتْرَه، ويَنْظُرُ لى سَيِّدى نَظْرَةً تَرْفَعُنى مِنْ ذاتِ الصَّدْع[5]، إلى ذاتِ الرَّجْع، وتَرُدُّنى إلى وَكْرِى[6] الّذى فيه دَرَجْتُ رَدَّ الشّمسِ قَطْرَةَ المُزْنِ إلى أَصْلِها، ورَدَّ الوَفِىِّ الأَماناتِ إلى أَهلِها.

---

(١) الأخيذة: الأسيرة، فعيلة بمعنى مفعولة. وعمورية: بلد من بلاد الروم فتحه المعتصم بالله ثامن خلفاء بنى العباس فى سنة ٢٢٣ هـ. ويريد «بشجاع الدولة العباسية»: المعتصم بالله السابق ذكره. ويشير بهذا الكلام الى امرأة من نساء المسلمين أسرها الروم فى عمورية فى عهد المعتصم، وكان الروم يعذبونها، فصاحت: وامعتصماه، فقال لها بعض الحراس ساخرا بها: سيأتيك المعتصم على جواد أبلق وخلفه خيول بلق فينقذك من أيدينا. فنمى خبر هذا الكلام إلى الخليفة المعتصم، فأقسم أن يفتح بلاد الروم، ويعود بالأسيرة؛ ثم جرّد لوقته على بلاد الروم جيشا كثيفا كله خيول بلق، وتقدمه هو على جواد أبلق. فنكل بالروم وفتح عمورية، ودخل على الأسيرة فى سجنها واستخلصها وأعادها الى بلادها.

(٢) النوى: البعد. وقافل: راجع. (٣) قال: «قريب» ولم يقل: «قريبة» لأنه يستعمل فى المذكر والمؤنث كما قال الله تعالى: «إن رحمة الله قريب من المحسنين». وآهل بالسعادة: عامر بها.

(٤) تنحسر هذه الغمرة، أى تنكشف هذه المصيبة. (٥) الصدع: الشق. ويريد «بذات الصدع»: الأرض. والرجع: المطر بعد المطر. وذات الرجع، أى السماء. قال تعالى: (والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع). (٦) الوكر: عش الطائر؛ والمراد به هنا: وطنه. ودرجت: مشيت. والمزن (بضم فسكون): السحاب. ويشير بهذه العبارة الى ماء المطر الذى يسقط من السماء، فتحوّله الشمس بحرّها إلى بخار، ثم يعود الى أصله سحابا.

فإنْ شاءَ فالقُرْبُ الّذى قد رَجَوْتُه * وإنْ شاءَ فالعِزُّ الّذى أنا آمُلُ

وإلّا فإنّى قافُ (رُؤْبَةَ)(١) لَمْ أَزَلْ * بقَيْدِ النَّوَى حتّى تَغُولَ الغَوائِلُ

فلقد حَالَتْ السُّودانَ حُلولَ الكَلِيمِ(٢) فى التّابُوت، والمُغَاضِبِ(٣) فى جَوْفِ الحُوت(٤)؛ بين الضِّيقِ والشِّدّة، والوَحْشَةِ والوُحْدة. لا، بل حُلول الوَزِيرِ(٥) فى تَنُّورِ العَذاب والكافِرِ فى مَوْقِفِ يومِ الحِساب؛ بين نارَين: نارِ القَيْظ، ونارِ الغَيْظ.

فنادَيْتُ باسمِ الشَّيخِ والقَيْظُ جَمْرُه * يُذِيبُ دِماغَ(٦) الضَّبِّ والعَقْلَ ذاهِلُ

فصِرتُ كأنّى بين رَوْضٍ ومَنْهَلٍ * تَدِبُّ الصَّبا(٧) فِيه وتَشْدُو البَلابِلُ

---

(١) رؤبة، هو ابن العجاج بن رؤبة، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية. وكان هو وأبوه من رجاز الإسلام وفصحائهم المذكورين المقدّمين منهم. ومات رؤبة فى أيام المنصور، وكان يصنع أكثر أراجيزه على روى القاف الساكنة، فضرب بقافه المثل فى السكون وعدم الحركة؛ والمراد هنا: إن لم يدركنى الأستاذ الإمام بمساعيه، فإنى مستقر فى هذه البلاد البعيدة لا أبرحها، كقاف رؤبة فى سكونها، حتى يأتى الأجل. وفى قاف رؤبة هذه يقول أبو العلاء:

مالى غدوت كقاف رؤبة قيدت * فى الدهر لم يقدر له إجراؤها

والغوائل: الدواهى التى تأخذ الإنسان من حيث لا يدرى. (٢) الكليم: نبى الله موسى عليه السلام؛ وقصة وضعه فى التابوت وإلقائه فى اليم وهو وليد مشهورة، وقد قصها الله تعالى فى القرآن فى غير موضع. (٣) يريد «بالمغاضب»: نبى الله يونس عليه السلام، قال تعالى فى سورة الأنبياء: (وذا النون إذ ذهب مغاضبا) الآية. وقصة التقام الحوت إياه وخروجه من جوفه مشهورة؛ وقد ذكرها الله تعالى فى القرآن. (٤) كذا ورد ضبط هذا اللفظ بضم الواو فى شرح القاموس ضبطا بالعبارة.

(٥) يريد «بالوزير»: أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات، وزير الخليفتين، المعتصم بالله، وابنه الواثق بالله. ويشير بهذه العبارة إلى ما يروى من أن هذا الوزير كان لشدّة ظلمه قد صنع تنورا يدخل فيه من أمر بقتله مبالغة فى تعذيبه، فأراد الله أن يكون هو أوّل من يعذب فيه حتى يموت، وذلك بأمر الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٣٣ هـ. (٦) يذيب دماغ الضب: كناية عن شدّة الحر. والضب: حيوان قصير الذنب، معقده، خشن الجلد، ولونه إلى غبرة مشربة بالسواد. (٧) الصبا: ريح الشمال. وتشدو، أى تغرد.

واليومَ أكتُبُ إليه وقد قَعَدَتْ هِمَّةُ النَّجْمَيْن(١)، وقَصُرَتْ يَدُ الجَدِيدَين(٢) ؛ عن إزالَةِ ما فى نَفْسِ ذلكَ الجَبَّارِ(٣) العَنِيد(٤)، فلقد نَمَى ضِبُّ(٥) ضِغْنِه علَىّ ، وبَدَرَتْ(٦) بَوادِرُ السُّوءِ منه إلىّ ؛ فأَصْبَحْتُ كما سَرَّ العَدُوَّ وساءَ الحَمِيم(٧) ، وآلامِى كأنَّها جُلودُ أَهْلِ الجحيم، كلَّما نَضِجَ منها أَدِيمٌ تَجَدَّد أَدِيم(٨) ؛ وأَمْسَيْتُ ومُلْكُ آمالى إلى الزَّوال أَسْرَعُ مِنْ أَثَرِ الشِّهابِ فى السَّماء، ودَوْلَةُ صَبْرِى إلى الاضْمِحْلال أَحَثُّ(٩) مِنْ حَبابِ الماء؛ فنَظَرْتُ فى وُجوهِ تلك العِباد ، وإنِّى لَفارِسُ(١٠) العَيْنِ والفُؤاد ؛ فَلَمْ تَقِفْ فِراسَتِى على غيرِ بابِك .

---

(١) يريد «بالنجمين» : المشترى والزهرة ؛ وكان القدماء يعتقدون أن لهما تأثيرا فى نفوس البشر يؤلفان منها ما فترق . ويقال : قعدت همته عن كذا ، أى عجزعنه .

(٢) الجديدان : الليل والنهار .

(٣) يريد « بالجبار العنيد » : كنشنر باشا سردار الجيش المصرى إذ ذاك ، وكان بينه وبين حافظ نفور وجفوة ، حتى يقال : إنه لغضبه على حافظ كتب أمام اسمه : لا يرقى ولا يرفت .

(٤) نمى ينمى وينمو : زاد .

(٥) الضب : الغيظ والحقد الخفى .

(٦) بدرت : أسرعت . والبوادر : جمع بادرة ، وهى ما يبدو من الإنسان عند حدته من خطأ وسقطات ، والمراد « ببوادر السوء » : أوائله .

(٧) الحميم : الصديق .

(٨) الأديم : الجلد . ويشير بهذه العبارة الى قوله تعالى فى صفة عذاب أهل النار : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) .

(٩) أحث : أشد سرعة . وحباب الماء : فقاقيعه التى تكون على سطحه .

(١٠) فارس : اسم فاعل من الفراسة ، وهى الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية .

وإنّى أُهْدِيكَ[1] سَلاما لو آمتزَجَ بالسَّحاب ، وآختَلَطَ منه بالضَّباب[2] ؛ لأَصْبَحَتْ تَتَهادَى بقَطْرِه الأَكاسِرَه[3] ، وأَمْسَتْ تَدَّخِرُ منه الرُّهْبانُ فى الأَدِيرَه[4] ؛ ولَأَغْنَى ذاتَ المِحاب ، عن الغالِيةِ والمَلاب[5] ؛ ولا بِدْعَ[6] إذا جادَ السَّيِّدُ بالرَّدِّ ، فقد يُرَى وَجْهُ المَليكِ فى آلمِرْآة ، وخَيالُ آلقَمَر فى آلأَضَاة[7] ؛ وإن حال حائل ، دون أُمْنِيَّةِ هٰذا السائل ؛ فهو لا يَدُمُّ يَوْمَك ، ولا يَيْأَسُ مِنْ غَدِك ؛ فأنتَ خَيْرُ ما تكونُ حِينَ لا تَظُنُّ نَفْسٌ بنَفْسٍ خَيْرا ؛ والسَّلام .

---

(١) صوابه «أهدى لك» أو «إليك» . (٢) لعاب السحاب : مطره . (٣) قطر السحاب : ماؤه الذى يقطر منه . والأكاسرة : ملوك فارس . (٤) لم نجد هـذا الجمع «للدير» فى مدونات اللغة التى بين أيدينا ؛ والذى وجدناه أن جمعه : أديار ، كما فى القاموس وغيره ؛ وديورة ، كما فى المصباح ؛ وهذا الجمع المذكور هنا شائع الاستعمال فى كلام المعاصرين ، بل لا يستعملون غيره . وقد شبه المطر الممزج بسلافه بالخمر المعتقة عنـد الرهبان ، المحفوظة فى أديارهم . (٥) الغالية : نوع من الطيب مركب من أخلاط تغلى على النار . والملاب : كل عطر مائع ؛ وهو لفظ فارسى معرب . (٦) لا بدع ، أى ليس غريبا ولا أول شىء حدث . (٧) الأضاة (بفتح الهمزة وتخفيف الضاد) : الغدير ؛ وجمعه أضوات (بالتحريك) .

المراثي

رثاء عثمان[1] السيد أباظه بك

سنة ١٨٩٦ م

رُدَّا كُؤوسَكُما عن شِبْهِ مَفْؤُودِ * فليس ذٰلك يومَ الرّاحِ والعُودِ[2]

ياساقِيَيَّ أَرانِي قد سَكَنْتُ إلى * ماءِ المَدامِعِ عن ماءِ العَناقِيدِ[3]

وبِتُّ يَرْتاحُ سَمْعِي حين يَفْتُقُه * صَوْتُ النَّوادِبِ لا صَوْتُ الأَغارِيدِ[4]

فَأَمْسِكا الرّاحَ إنِّي لا أُخامِرُها * وبَلِّغا الغِيدَ عَنِّي سَلْوَةَ الغِيدِ[5]

ثم امضِيا ودَعانِي إنني رَجُلٌ * قد آلَ أَمْرِي إلى هَمٍّ وتَسْهِيدِ

أَبَعْدَ (عُثْمانَ) أَبْغِي مَأْرَبًا حَسَنًا * مِنَ الحَياةِ وحَظًّا غَيْرَ مَنْكُودِ؟

---

(١) عثمان أباظه بك، هو ابن السيد أباظه باشا، ولد فى سنة ١٢٦٤ هـ — ١٨٤٨ م وألحقه والده بالمدرسة الخديوية، ثم مدرسة الإدارة والألسن، وهى مدرسة الحقوق فى أول عهدها؛ وتولى جملة مناصب، فكان ناظر قسم، ثم ناظر قلم قضايا مديرية الشرقية؛ واختاره المغفور له اسماعيل باشا الخديوى مفتشا لتفتيش (الزنكلون) وأنعم عليه بالرتبة الثانية، وبعد أن تقلد عدة أعمال أخرى استقال منها، وأقام ببلده (الربعماثة) باقليم الشرقية؛ وكان بيته ملتقى العظماء والأدباء والشعراء، وكان حافظ ابراهيم بك كثير التردد عليه، وتوفى سنة ١٨٩٦ م. وكان أبوه السيد أباظه باشا أول من نال لقب (باشا) من المصريين العرب.

(٢) المفؤود: مصاب الفؤاد. والراح: الخمر.

(٣) سكن الى الشيء: استراح اليه وأنس به. ويريد بماء العناقيد: الخمر.

(٤) يفتقه: أى يشقه وينفذ فيه. والأغاريد: جمع أغرودة، وهى الأغنية.

(٥) لا أخامرها: أى لا أخالطها. والغيد: جمع غيداء، وهى المرأة المتثنية لينا ونعمة.

إنّي لَيَحْزُنُنِي أنْ جاءَ يَنْشُدُه * داعِي المَنُونِ وأنّي غيرُ مَنْشُودِ (١)

أمْسَتْ تُنافِسُ فيكَ الشُّهْبَ مِنْ شَرَفٍ * أرْضٌ تَوارَيْتَ فيها يافَتَى الجُودِ (٢)

لَوْ لَمْ تَكُنْ سَبَقَتْكَ الأنْبِياءُ لَها * قُلْنا بأنَّكَ فيها خيرُ مَلْحُودِ

ووَدَّتِ الرِّيحُ لو كانَتْ مُسَخَّرَةً * لِحَمْلِ نَعْشِكَ عن هامِ الأماجِيدِ (٣)

والشمسُ لو أنّها مِن أُفْقِها هَبَطَتْ * وآثَرَتْ مَعْكَ سُكْنَى القَفْرِ واللِّبدِ

وقد تَمَنَّى الضُّحى لو أنّهُمْ دَرَجُوا * هٰذا الفَقِيدَ بثَوْبٍ منه مَفْقُودِ (٤)

يا راحِلاً أكْبَرَتْكَ الحادِثاتُ وَما * أكْبَرْتَها عندَ تَلْيِينٍ وتَشْدِيدِ (٥)

أبْكَيْتَ حتّى العُلا والمَكْرُماتِ وما * جَفَّتْ عليكَ مَآقِي الخُرَّدِ الخُودِ (٦)

وباتَ آلُكَ والأصْحابُ كُلُّهُمُ * عليكَ ما بَيْنَ مَحْزُونٍ ومَعْمُودِ (٧)

يَبْكُونَ فَقْدَ امْرِئٍ للخَيْرِ مُنْتَسِبٍ * بالبِشْرِ مُنْتَقِبٍ فى النّاسِ مَحْمُودِ (٨)

(بَنِي أباظَةَ) لا زالَتْ دِيارُكُمُ * أفْقَ البُدُورِ وغاباً للصَّناديدِ (٩)

---

(١) ينشده : يطلبه . والمنون : الموت . (٢) «تنافس فيك الشهب» الخ ، أى تفاخرها بدفنك فيها . والشهب : النجوم . (٣) الهام : الرءوس ، الواحدة هامة .

(٤) درجوا : لقوا . والمقدود : المقطوع . (٥) يقول : إن حوادث الأيام قد أكبرت همة الفقيد وأعظمت خطره فلا تحل به رهبة منه ، وما كان هو يكبرها ولا يحسب لها حسابا لصغرها عن همته . (٦) يريد بالمآقى : العيون . والخرّد : جمع خريدة ، وهى البكر التى لم تمس . والخود بضم الخاء جمع خود بفتحها ، وهى الشابة الحسنة . (٧) المعمود : من أصيب فى عمود قلبه ، أى صميمه . (٨) المنتقب : لابس النقاب ، وهو البرقع ؛ شبه به ما يبدو على الوجه من بشاشة واستبشار .

(٩) بنو أباظة : أسرة معروفة ينتهى نسبها إلى بنى العائذ ، بطن من طيئ (وكفر العائذ بإقليم الشرقية معروف) وقد حضرت هذه الأسرة من العراق الى مصر مع الشيخ محمد أبى مسلم ، وذلك بعد سقوط بغداد فى يد (هولاكو) ملك التتار أيام الخليفة المستعصم ، ولقبت هذه الأسرة بأباظه لأن أمهم كانت من قبيلة شركسية يقال لها : أباظه ، فنسبوا إليها .

لا قَـدَّرَ اللهُ بعـــد اليـوم تَعْـزِيَةً * إلّا هَنـاءً عـلى عِزٍّ وتَخْلِيـدِ
وعَظَّمَ اللهُ فى (عُثْمانَ) أجْـرَكُمُ * فى رَحْمَـةِ اللهِ أمْسَى خَـيْرَ مَفْقُودِ

رثاء سليمان أباظه باشا (١)

[قيلت فى ســـنة ١٨٩٧م]

أيُهـذَا الثَّرَى إلامَ التَّمـادِى * بَعْـدَ هٰذا أأَنْتَ غَرْثانُ صَادِى (٢)
أنتَ تَرْوَى مِنْ مَدْمَعٍ كلَّ يومٍ * وتُغَـذَّى مِنْ هٰـذه الأَجْسـادِ
قد جَعَلْتَ الأَنامَ زادَكَ فى الدَّهْـ * ـرِ وقـد آذَنَ الوَرَى بالنَّفـادِ
فالْتَمِسْ بعـدَهُ المَجَـرَّةَ وِرْدًا * وتَزَوَّدْ من النُّجـومِ بزادِ (٣)
لَسْتُ أَدْعُـوكَ بالتُّرابِ ولكنْ * بقُـدُودِ المِلاحِ والأَجْيـادِ (٤)
بخُدودٍ الحِسانِ ، بالأَعْيُنِ النُّجْـ * ـلِ ، بتلْكَ القُـلُوبِ والأَكْبادِ (٥)
لَمْ تَلِدْنا (حَـوّاءُ) إلّا لنَشْـقَى * لَيْتَهـا عاطِلٌ مِن الأَوْلادِ
أَسْلَمَتْنـا إلى صُرُوفِ زَمانٍ * ثمّ لَمْ تُوصِهـا بحِفْظِ الوِدادِ (٦)

---

(١) انظر التعريف بسليمان أباظه باشا فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٧ من الجزء الأول .

(٢) الغرثان : الجائع . والصادى : الظمآن . يريد مداومة الثرى على مواراة الأجساد وإبلاء الجسوم .

(٣) المجرة : نجوم كثيرة ينتشر ضوءها فى السماء فترى كأنها بقعة بيضاء .

(٤) القدود : جمع قدّ ، وهو القامة . والأجياد : جمع جيد ، وهو العنق . يريد بهذا البيت والذى بعده : أن يسمى التراب بقدود الملاح وأجيادها وخدودها وعيونها ... الخ ، لأنها فنيت فيه فصارت منه .

(٥) النجل : الواسـعة .

(٦) صروف الزمان : نوائبه وتقلباته .

أيُّها اليمُّ كَمْ بِقاعِكَ نَفْسٍ * فِيكَ أَوْدَتْ مِنْ عَهْدِ ذِى الأَوْتادِ (١)

قد تَحالَفْتَ والتُّرابَ عَلَيْنا * وتَقاسَمْتُما فَناءَ العِبادِ

خَبِّرينا جُهَيْنَ لا تَكْذِبِينا * ما الَّذى يَفْعَلُ البِلَى بالجَوادِ؟ (٢)

كَيْفَ أَمْسَى وكيفَ أَصْبَحَ فيه * ذٰلِكَ المُنْعِمُ الكثيرُ الرَّمادِ (٣)

رَحِمَ اللهُ منه لَفْظًا شَهِيًّا * كانَ أَحْلَى مِنْ رَدِّ كَيْدِ الأَعادِى

رَحِمَ اللهُ منه طَرْفًا تَقِيًّا * ويَمِينًا تَسِيلُ سَيْلَ الغَوادِى (٤)

رَحِمَ اللهُ منه شَهْمًا وَفِيًّا * كانَ مِلْءَ العُيونِ فى كلِّ نادِى (٥)

أَلْهَمَ اللهُ فيكَ صَبْرًا جَمِيلًا * كلَّ مَنْ باتَ ناطِقًا بالضَّادِ

بِتَّ فى حُلَّةِ النَّعِيمِ وبِتْنا * فى ثِيابٍ مِن الأَسَى والسُّهادِ (٦)

وسَكَنْتَ القُصورَ فى بَيْتِ خُلْدٍ * وسَكَنَّا عليكَ بَيْتَ الحِدادِ

---

(١) اليم : البحر . و « نفس » (بالجر) على قول بعض النحويين ، والنصب أرجح ، للفصل بين « كم » وتمييزها بالجار والمجرور . وأودت : هلكت . وذو الأوتاد : لقب لفرعون ورد ذكره فى القرآن .

(٢) جهين ، يريد جهينة ، وهى قبيلة من قضاعة . ويشير الشاعر إلى المثل المعروف : « وعند جهينة الخبر اليقين » . يضرب لمن يعرف الأمور على حقيقتها ، وأصله من قول الشاعر :

تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبر اليقين

والجواد : الكريم .

(٣) فيه ، أى فى « البلى » السابق فى البيت الذى قبله . وكنى " بكثرة الرماد " عن سعة جوده ، وكثرة إطعامه للناس . (٤) الغوادى : السحب تنشأ غدوة ؛ الواحدة غادية .

(٥) ملء العيون ؛ كناية عن هيبة الناس إياه و إعظامهم له إذا رأوه .

(٦) الأسى : الحزن .

وقال يرثيه أيضا :

لا والأَسَـــى وتَلَهُّبِ الأَحْشَـاءِ * ما باتَ بَعْـــدَكَ مُعْجَبٌ بوَفَاءِ (١)

أَنَّى حَلَلْتُ أَرَى عليـــكَ مآتِمًا * فلِمَنْ أُوَجِّهُ فيـــكَ حُسْنَ عَزائى؟

لِبَنِيكَ ، أم لِذَوِيكَ ، أم للكَوْنِ ، أمْ * للدَّهرِ ، أمْ لجماعةِ الجَـوْزاء؟ (٢)

أَوْدَى (سُـــلَيْمَانُ) فأَوْدَى بَعْـــدَه * حُسْنُ الوَفاءِ وبَهْجَـــةُ العَلْيَـاء (٣)

لا تَحْمِـــلُوه على الرِّقابِ فقـــد كَفَى * ما حُمِّلَتْ مِنْ مِنَّـــةٍ وعَطَـاء

وذَرُوا على نَهْـــرِ المَدامِـعِ نَعْشَـــه * يَسْرِى بـــه للرَّوْضَـــةِ الفَـــيْحاء (٤)

تاللهِ لو عَلِمَتْ بـــه أَعْـــوادُه * هُـــذْ لامَسَـــتْه لأَوْرَقَتْ للـرَّائى (٥)

خُلُقٌ كضَوْءِ البَدْرِ، أو كالرَّوْضِ، أو * كالزَّهْرِ ، أو كالخَمْرِ ، أو كالماء

وشَمَـائِلٌ لو مازَجَتْ طَبْـــعَ الدُّجَى * ما باتَ يَشْـــكُوه المُحِبُّ النـائى (٦)

ومَحَامِـــدٌ نَسَـــجَتْ له أَكْـفانَه * مِنْ عِفَّـــةٍ ، وسَمَـاحَـــةٍ ، وإباء

ومَنَـاقِبٌ لـــولا المَهَـابةُ والتُّـــقَى * قُلْنَـا مَنَـاقِبُ صـاحِبِ الإِسْراء (٧)

وعَزائمٌ كانت تَفُـــلُّ عَزائمَ الـ * ـأَحْـــداثِ ، والأيّامِ ، والأَعْـــداء (٨)

---

(١) الأسى : الحزن ، وقوله : « ما بات » الخ ، أى لم يبق بعد موتك وفاء يعجب به أحد من الناس .

(٢) الجوزاء : برج فى السماء معروف ، ويريد « بجماعة الجـوزاء » : الكواكب التى يتألف منها هذا البرج . (٣) أودى : هلك . (٤) الفيحاء : الواسعة ؛ ويريد بها منزله فى الجنة .

(٥) أعواده : يريد أعواد نعشه . (٦) النائى : البعيد . يريد أنه لو كان لليل أخلاقه وسجاياه ماشكا العاشق طوله عليه وسهده فيه . (٧) صاحب الإسراء : رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٨) تفل : تثلم . والأحداث : حوادث الزمن وشدائده .

عَطَّلْتَ فَنَّ الشِّعْرِ بَعْدَكَ وٱنطَوَى * أَجَلُ القَرِيضِ وَوَسْمُ الشُّعَرَاءِ

وَاللُّؤْلُؤُ ٱسْتَعْصَى عَلَينا نَظْمُهُ * بُسُمُوطِ مَدْحٍ أَوْ سُمُوطِ هَنَاءِ (١)

إِلَّا عَلَى طَرْفٍ بَكَاكَ وَشَاعِرٍ * أَحْيَا عَلَيْكَ مَرَاثِيَ الخَنْسَاءِ (٢)

شَوَّقْتَنَا لِلتُّرْبِ بَعْدَكَ وَاشْتَهَى * فِيهِ الإِقَامَةَ وَاحِدُ العَذْرَاءِ (٣)

ثَبِّتْ فُؤَادَكَ يَا قَلِيلَ تَصَبُّرِي * وَٱشْرَحْ (لآلِ أَبَاظَةٍ) بُرَحَائِي (٤)

فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ بَاتَ عَزِيزُهُمْ * ضَيْفًا بِسَاحَةِ أَكْرَمِ الكُرَمَاءِ

رثاء الملكة ڤكتوريا (٥)

[نشرت فى ٢٤ يناير سنة ١٩٠١ م]

أُعَزِّي القَوْمَ لَوْ سَمِعُوا عَزَائِي * وَأَعْلِنُ فِي مَلِيكَتِهِمْ رِثَائِي

وَأَدْعُو الإِنْجِلِيزَ إِلَى الرِّضَاءِ * بِحُكْمِ ٱللهِ جَبَّارِ السَّمَاءِ

فَكُلُّ العَالَمِينَ إِلَى فَنَاءِ

---

(١) السموط : جمع سمط (بالكسر) ، وهو خيط النظم مادام فيه الحب ، فاذا لم يكن فيه فهو سلك .

(٢) الخنساء ، هى تماضر بنت عمرو بن الحارث ، وتكنى أم عمرو . والخنساء : لقب غلب عليها ؛ وأكثر شعرها فى رثاء أخويها معاوية وصخر ، فضرب بها المثل فى الحزن . وقد شبت فى الجاهلية ، وأدركت الإسلام وأسلمت . وتوفيت فى أول خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة ٢٤ هـ .

(٣) واحد العذراء : عيسى المسيح عليه السلام ، إشارة الى أنه فى السماء ، فهو يود أن يستبدل بها الأرض لشرفها بدفن الفقيد فيها .

(٤) البرحاء : شدة الحزن والعناء .

(٥) الملكة ڤكتوريا ، هى الكسندرينا بنت ادوارد ، وهو الدوق كنيت ، رابع أبناء الملك جورج الثالث . ولدت سنة ١٨١٩ م ، وتولت عرش انجلترا فى سنة ١٨٣٧ م ، وتوفيت سنة ١٩٠١ م .

أَشَمْسُ ٱلْمُلْكِ أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ * هَوَتْ أَمْ تلك مالِكَةُ البِحارِ

فطَرْفُ الغَرْبِ بالعَبَرَاتِ جَارِى (١) * وعَيْنُ اليَمِّ تَنْظُر للبُحار

بنَظْـرَةِ واجِدٍ قَـلِقِ الرَّجاءِ

أَمالِكَةَ البِحارِ ولا أُبالِى * إذا قالوا تَعَـالَى فى ٱلْمَقَـالِ

فمِثْل عُلاكِ لَمْ أَرَ فى ٱلْمَعـالى * ولا تاجًا كتاجِكِ فى ٱلْجَـلالِ

ولا قَوْمًا كقَوْمِكِ فى الدَّهاءِ

مَلَأْتِ الأَرْضَ أَعْلامًا وجُنْدًا (٢) * وشِدْتِ لأُمَّةِ (السَّكْسُونِ) مَجْدًا

وكنتِ لِفَأْلِها يُمْنًـا وسَـعْدَا (٣) * تَرَى فى نُورِ وَجْهِكِ إنْ تَبَدَّى

سُعُودَ البَـدْرِ فى بُرْجِ ٱلْهَناءِ

وكنتِ إذا عَمَدْتِ لأَخْذِ ثَارٍ (٤) * أَسَلْتِ البَرَّ بالأَسْـدِ الضَّوارِى

وسَيَّرْتِ المَدائِنَ فى البِحارِ (٥) * وأَمْطَرْتِ العَدُوَّ شُـواظَ نارِ

وذَرَّيْتِ المَعاقِلَ فى ٱلْهَـواءِ (٦)

---

(١) اليم : البحر . والواجد : الحزين . والمعنى أن البحر ينظر إلى البواخر الإنجليزية نظرة قلق على مستقبلها بعد موت الملكة فكتوريا . (٢) السكسون : صنف من الغزاة الذين وفدوا إلى بريطانيا مع الإنجل من الشرق ، من الدنمارك وشمالى المانيا الغربى ، بعد جلاء الرومان عنها سنة ٤١٠ م . وقد انتشروا فى الجزيرة بالتدريج ، وباد أمامهم السكان الأصليون ، ومن بقى فر إلى جبال الغالة أو الى غيرها من الجهات القاصية ؛ وكان الإنجل والسكسون يعيشون أول الأمر فى ولايات مستقلة منفصل بعضها عن بعض ، ثم ما لبثوا أن اتحدت كلمتهم ، وأعترفوا بالزعامة لأعظم ولاية من بين تلك الولايات ؛ وهى ولاية وسكس ، وتلقب ولاتها فى أوائل القرن التاسع بالملوك . (٣) تبدى ، أى بدا وظهر . (٤) «أسلت الخ» أى جعلت البر يسيل بالشجعان كما يسيل الماء . والضوارى : الجريئة التى تعودت الصيد ولازمته . (٥) يريد «بالمدائن» : السفن الكبيرة . وشواظ النار (بالضم وبالكسر) : حرها ولهيبها . (٦) ذريت المعاقل ، أى نسفت الحصون وفرقت أجزاءها فى الهواء .

أعَزِّى فيكِ تاجَكِ والسَّرِيرَا (١) * أعَزِّى فيكِ ذا المَلِكَ الكَبِيرَا
أعَزِّى فِيكِ ذا الأَسَدَ المَهصُورا (٢) * على العَلَمِ الَّذى مَلَكَ الدُّهورَا
وظَلَّلَ تَحْتَــهُ أَهْــلَ الوَلاءِ
أُعَزِّى فيــكِ أَبْطالَ الــنِّزالِ (٣) * ومَنْ قَاسُوا الشَّدائِدَ فى القِتالِ
وأَلْقَوْا بالعَــدُوِّ إلى الوَبالِ (٤) * ولَمْ يَمْنَعْهُمُ فــوقَ الجِبَــالِ
لَهِيبُ الصَّيْفِ أو قُرُّ الشِّتاءِ (٥)

بيتان كتبا على قبر السيد عبدالرحمن الكواكبى (٦)

فى ســـنة ١٩٠٢م

هُنَا رَجُلُ الدُّنْيَا، هُنَا مَهْبِطُ التُّقَى * هُنَا خَيْرُ مَظْلُومٍ، هُنَا خَيْرُ كاتِبِ
قِفُوا واقْرَءُوا أُمَّ الكِتابِ وسَلِّمُوا (٧) * عليه فهٰذا القَبْرُ قَبْرُ (الكَواكِبى)

---

(١) يريد « بالملك الكبير » ادوارد السابع ابن الملكة فكتوريا .

(٢) الأسد : رمز متخذ للدولة الإنجليزية . والهصور : الكاسر . (٣) الصحيح « قاسوا » ، بفتح السين وسكون الواو ، وضم السين فى هذا البيت لضرورة الوزن . (٤) الوبال : الهلاك .

(٥) القر (بضم القاف) : البرد . يريد : أن الحر والبرد لم يمنعاهم عن تسلق الجبال .

(٦) ولد السيد عبد الرحمن الكواكبى بحلب سنة ١٢٦٥ هـ ، وتعلم على أساتذة عصره علوم الأدب والشريعة ، وطالع من الكتب مايتعلق منها بعلم الاجتماع من تاريخ وفلسفة ، ثم درس بعض العلوم الطبيعية والرياضية ، فنال من ذلك حظا وافرا ، وساح فى بلاد العرب وشرق افريقية وبعض بلاد الهند ، وألف كتابيه المشهورين (أم القرى) و (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) ، وتوفى فى سنة ١٩٠٢ م

(٧) أم الكتاب : الفاتحة .

رثاء محمود سامى البارودى[1] باشا

[نشرت فى ٢٢ يناير سنة ١٩٠٥]

رُدُّوا عَلَىَّ بَيانِى بَعْدَ (محمودِ) * إِنِّى عَيِيتُ وأَعْيا الشِّعْرُ مجهودِى[2]

ما لِلبلاغَةِ غَضْبَى لا تُطاوِعُنى * وما لِحَبْلِ القَوافِى غيرَ مَمْدُودِ؟

ظَنَّتْ سُكُوتِىَ صَفْحًا عَنْ مَوَدَّتِهِ * فأَسْلَمَتْنِى الى هَمٍّ وتَسْهِيدِ[3]

ولو دَرَتْ أَنَّ هَذا الخَطْبَ أَفْحَمَنِى * لأَطْلَقَتْ مِنْ لِسانِى كلَّ مَعْقُودِ[4]

لَبَّيْكَ يا مُؤْنِسَ المَوْتَى ومُوحِشَنا * يا فارِسَ الشِّعْرِ والهَيْجاءِ والجُودِ[5]

مُلْكُ القُلوبِ — وأنتَ المُسْتَقِلُّ به — * أَبْقَى على الدَّهْرِ مِنْ مُلْكِ (ابنِ داوُدِ)[6]

لقد نَزَحْتَ عن الدُّنيا كما نَزَحَتْ * عنها لَيالِيكَ مِنْ بِيضٍ ومِنْ سُودِ[7]

أَغْمَضْتَ عَيْنَيْكَ عنها وازْدَرَيْتَ بها * قَبْلَ المَماتِ ولَمْ تَحْفِلْ بِمَوْجُودِ[8]

لَبَّيْكَ ياشاعِرًا ضَنَّ الزَّمانُ به * على النُّهَى والقَوافِى والأَناشِيدِ[9]

---

(١) انظر التعريف بالبارودى فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٧ ج ١ (٢) ردوا على بيانى، ى أعيدوه الى بعد أن عزب عنى من هول المصاب . وعيى يعيا (من باب رضى) : كل وتعب .

(٣) أى ظنت البلاغة سكوتى عن رثاء الفقيد إعراضا عن مودّته وتناسيا لصحبته فتركتنى أعذب بالهم والسهر . (٤) أفحمه : أسكته وعقد لسانه . (٥) الهيجاء : الحرب .

(٦) يريد «بابن داود» : نبى الله سليمان عليه السلام، وبه يضرب المثل فى سعة الملك .

(٧) نزحت : بعدت . والبيض والسود : إشارة إلى أيام نعم فيها البارودى بالعز والجاه، وأخرى شقى فيها بالأسر وكف البصر ومصادرة المال والنفى . (٨) يشير بقوله : «أغمضت عينيك» إلى أن الفقيد كان قد كف بصره فى آخر حياته فعاش ضريرا . وازدريت بها : احتقرتها واستخففت بها . ولم تحفل : لم تبال . (٩) النهى : العقول؛ الواحدة نهية (بالضم) .

تَجْرِى السَّلاسَةُ فى أثْنـاءِ مَنْطِقه * تَحْتَ الفَصاحَةِ جَرْىَ الماءِ فى العُودِ (١)

فى كلِّ بَيْتٍ له ماءٌ يَرِفُّ بـه * يَغارُ مِنْ ذِكْرِه ماءُ العَناقِيدِ (٢)

لـو حَنَّطُوكَ بشِعْرٍ أنت قائلـه * غَنِيتَ عن نَفَحاتِ المِسْكِ والعُودِ

خَلَّيْتَـه بعـد أنْ هَـذَّبْتَه بِسَنَا * عِقْدٍ بمَدْحِ رَسُولِ اللهِ مَنْضُودِ (٣)

كَفاكَ زادًا وزَيْنًـا أن تَسِيرَ إلى * يومِ الحِسابِ وذاكَ العِقْدُ فى الجِيدِ (٤)

لَبَّيْكَ يا خَيْرَ مَنْ هَزَّ اليَراعَ، ومَنْ * هَزَّ الحُسامَ، ومَنْ لَبَّى، ومَنْ نُودِى

إنْ هُدَّ رُكْنُكَ مَنْكُوبًا فقد رَفَعَتْ * لكَ الفَضِيلةُ رُكْنًا غيرَ مَهْدُودِ (٥)

إنّ المَناصِبَ فى عَزْلٍ وتَوْلِيَةٍ * غيرُ المَواهِبِ فى ذِكْرٍ وتَخْلِيدِ

أكْرِمْ بها زَلَّةً فى العُمْرِ واحِدَةً * إنْ صَحَّ أنَّكَ فيها غيرُ مَحْمُودِ (٦)

سَلُوا الحِجا هَلْ قَضَتْ أرْبابُه وَطَرًا * دُونَ المَقادِيرِ أو فازَتْ بمَقْصُودِ (٧)

---

(١) السلاسة : الرقة والانسجام .

(٢) يقال : رف النبات يرف رفيفا ، إذا كثر ماؤه من النضرة والغضاضة واهتز وتمايل . وقد شبه به أبيات البارودى فى حسن رونقها وطلاوتها . وماء العناقيد : الخمر .

(٣) السنا : النور . والمنضود : المنظوم . ويشير بهذا إلى قصيدة البارودى التى عارض بها قصيدة البوصيرى فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وسماها : (كشف الغمة فى مدح خير الأمة) وأولها :

يا سارى البرق يمم دارة العلم * واحد الغمام إلى حى بذى سلم

(٤) الجيد : العنق .

(٥) يشير إلى ما نكب به البارودى فى حياته من عزله من مناصب الحكومة ، ونفيه ، وغير ذلك .

(٦) يريد « بالزلة » اشتراك الفقيد فى الثورة العرابية .

(٧) الحجا : العقل . والوطر : الحاجة . أى إن العقول وإن رجح رأيها لا تملك مع المقادير شيئا .

كنتَ الوَزيرَ وكنتَ المُسْتَعانَ به * وكان هَمُّكَ هَمَّ القادَةِ الصِّيدِ (١)

كم وَقْفَةٍ لكَ والأَبْطالُ طائِرَةٌ * والحَرْبُ تَضْرِبُ صِنْدِيدًا بِصِنْدِيدِ (٢)

تَقُولُ للنفْسِ إنْ جاشَتْ اليكَ بها * هٰذا مَجالُكِ سُودِى فيه أو بِيدِى (٣)

نَسَخْتَ (يومَ كَرِيدٍ) كلَّ ما نَقَلُوا * فى يومِ (ذِى قارَ) عن (هانِى بنِ مَسْعُودِ) (٤)

نَظَمْتَ أَعْداكَ فى سِلْكِ الفَناءِ به * على رَوِىٍّ ولٰكنْ غيرُ مَعْهُودِ (٥)

كأنَّهُمْ كَلِمٌ والمَوْتُ قافِيَةٌ * يَرْمِى بِهِ عَرَبِىٌّ غيرُ رِعْدِيدِ (٦)

أَوْدَى (المَعَرِّى) تَقِىُّ الشِّعْرِ مُؤْمِنُه * فكادَ صَرْحُ المَعالِى بَعْدَه يُودِى (٧)

---

(١) الصيد : جمع أصيد ، وهو الرافع رأسه كبرا وزهوا . (٢) طائرة : أى مولية فى سرعة من الخوف والفزع . والصنديد : البطل الشجاع . (٣) جاشت النفس : اضطربت من الخوف . وبها ، أى بالحرب . وباد يبيد : هلك . (٤) فى سنة ١٨٦٦ م انتقض أهل جزيرة كريد على الدولة العلية : فأرسلت مصر جيشا لمساعدتها على تأديبهم . وكان البارودى « رئيس يا ورحرب » وقد أبدى هناك من الشجاعة والإقدام والدهاء والحزم ما أطلق الألسنة بمدحه والإعجاب به ، وقد أبلى الجيش المصرى فى إنجاد تلك الثورة أبلاء الحسن حتى أخمدها ، وكان قائد تلك الحملة المصرية شاهين باشا ، وعدتها خمسة آلاف مقاتل . ويوم ذى قار : يوم كان بين بكر بن وائل والفرس ، وهو من أعظم أيام العرب وأبلغها أثرا فى انتصاف العرب من العجم . وذو قار ، هو الموضع الذى وقعت فيه هذه الوقعة ، وهو بين الكوفة وواسط . وقد ذكر الشاعر هنا هانئ بن مسعود ، والمعروف فى هذه الحرب هو هانئ بن قبيصة ابن هانئ بن مسعود الشيبانى ، وكان من قواد العرب الذين اشتهروا فى هذه الموقعة ، وهو الذى أودع عنده النعمان بن المنذر ودائعه ؛ وبسبب ذلك وقعت هذه الحرب . (٥) به ، أى بيوم كريد . والروى : الحرف الذى تبنى عليه القصيدة . جعل وقوع القتلى قتيلا بجانب قتيل كأبيات القصيدة يضم فيها البيت الى مثله على روى واحد ، ولكن الفقيد قد نظم أعداءه فى سلك الموت على روى مبتدع لم يعهده الناس من قبل . (٦) الرعديد : الجبان . وشبه الموت الذى عم الأعداء بالقافية ، لاتحادها فى جميع أبيات القصيدة . (٧) أودى : هلك . والمعرى ، هو أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف المعروف ، شبه به البارودى فى شعره المشتمل على الموعظة والحكمة . والصرح : كل بناء عال . ويودى ، أى يتهدم وينقض .

وأَوْحَشَ الشَّرْقُ مِنْ فَضْلٍ ومِنْ أَدَبٍ * وأَقْفَرَ الرَّوْضُ مِنْ شَدْوٍ وتَغْرِيدِ

وأَصْبَحَ الشِّعْرُ والأَسْماعُ تَنْبِذُه * كأَنَّه دَسَمٌ فى جَوْفِ مَعْقُودِ (١)

أَلْوَى بِهِ الضَّعْفُ واسْتَرْخَتْ أَعِنَّتُهُ * فراحَ يَعْثُرُ فى حَشْوٍ وتَعْقِيدِ (٢)

وأَنْكَرَتْ نَسَماتُ الشَّوْقِ مَرْبَعَه * تُثِيرُها خَطَراتُ الْجُرْدِ الْخُودِ (٣)

لو أَنْصَفُوا أَوْدَعوه جَوْفَ لُؤْلُؤَةٍ * مِنْ كَنْزِ حِكْمَتِه لا جَوْفَ أُخْدُودِ (٤)

وكَفَّنُوه بِمُدْرَجٍ مِنْ صَحائِفِه * أو وَاضِحٍ مِنْ قَمِيصِ الصُّبْحِ مَقْدُودِ (٥)

وأَنْزَلُوه بأُفْقٍ مِنْ مَطالِعِه * فوقَ الكَواكِبِ لا تَحتَ الجَلامِيدِ (٦)

وناشَدُوا الشَّمْسَ أَنْ تَنْعَى مَحاسِنَه * لِلشَّرْقِ والغَرْبِ والأَمْصارِ والبِيدِ (٧)

أَقُولُ لِلمَلإِ الغادِى بِمَوْكِبِه * والنَّاسُ ما بَيْنَ مَكْبُودٍ ومَفْؤُودِ (٨)

غُضُّوا العُيونَ فإنّ الرُّوحَ يَصْحَبُكُمْ * مَعَ المَلائِكِ تَكْرِيمًا (لِمَحْمُودِ) (٩)

---

(١) المعود : الذى اعتلت معدته فلا يستمرئ ما يأكله . (٢) ألوى به : ذهب به . والأعنة : جمع عنان (بالكسر) ، وهو سير اللجام . وكنى باسترخاء أعنة الشعر عن ضعف بنائه ، وركاكة ألفاظه ، واضطراب نظمه . والحشو : فضول الكلام الزائدة عن الغرض .

(٣) مربعه : منزله . والأصل فى المربع : المنزل يقام فيه فى وقت الربيع . والخرد : جمع خريدة ، وهى العذراء . والخود (بالضم) : جمع خود (بالفتح) ، وهى الشابة الحسنة الخلقة . والمراد أن الغزل والنسيب فى الشعر قد ذهبا بذهاب الياروردى .

(٤) الأخدود : الحفرة المستطيلة فى الأرض ، يريد بها القبر . (٥) الدرج (بالفتح) : ما يكتب فيه . والمقدود : المشقوق . (٦) الجلاميد : الصخور ، الواحد جلمود .

(٧) البيد : الفلوات ، الواحدة بيداء . (٨) الملأ : الجماعة . والمكبود : المصاب فى كبده . والمفؤود : المصاب فى فؤاده . (٩) يريد «بالروح» : الروح الأمين ، وهو جبريل عليه السلام .

(١)
يا وَيْحَ للقَبْرِ قد أَخْفَى سَنَا قَمَرٍ * مُقَسَّمِ الوَجْهِ مَحْسُودِ التَّجَالِيدِ

(٢)
يا وَيْحَهُ حَلَّ فيه ذُو قَرِيحَتُه * لَهَا بِخِدْرِ المَعَانِى أَلْفُ مَوْلُود

(٣)
فرائدٌ خُرَّدٌ لو شاءَ أَوْدَعَها * مُحْصِى الجَدِيدِ سِجِلَّاتِ المَوَالِيد

(٤)
كأَنَّها وهْىَ بالألفاظِ كاسِيَةٌ * وحُسْنُها بينَ مَشْهُودٍ ومَحْسُود

(٥)
لآلِئٌ خَلْفَ بَلُّورٍ قد آنَسَقَتْ * فى بَيْتِ دُهْقَانَ تَسْتَهْوِى نُهَى الغِيد

(٦)
(مَحْمُودُ) إنِّى لَأَسْتَحْيِيكَ فى كَلِمِى * حَيًّا ومَيْتًا وإنْ أَبْدَعْتُ تَقْصِيدِى

(٧)
فاعذِرْ قَرِيضِىَ واعْذِرْ فيكَ قائِلَه * كِلاهُما بَيْنَ مَضْعُوفٍ ومَحْدُود

---

(١) سنا القمر: ضوءه . ومقسم الوجه : جميل كله ، كأن كل قسم منه أخذ قسطا من الجمال . وتجاليد الإنسان : جسمه وبدنه .

(٢) ذو (هنا) : بمعنى الذى ، فى لغة طيئ . والخدر (بالكسر) : البيت . ويريد بقوله : « ألف مولود » : قصائده .

(٣) الفرائد : الجواهر النفيسة ، لأنها مفردة فى نوعها . والخرد : اللآلئ التى لم تثقب ، الواحدة خريدة ؛ شبه قصائده بالفرائد الخرد فى نفاستها وصيانتها عن الابتذال . ومحصى الجديد : من يقيد المعانى الجديدة التى يبتكرها الشعراء . ويريد بقوله : «لو شاء» الخ : أن له معانى مبتدعة جديرة أن تسجل باسمه كما تسجل المواليد .

(٤) كاسية ، أى حالية منجملة كما يجمل الإنسان بكسائه .

(٥) الدهقان (بالكسر ويضم) : التاجر ؛ فارسى معرّب . والغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة المتثنية لينا . وقد شبه فى هذا البيت المعانى فى شعر الفقيد باللآلئ ، والألفاظ بالبلور فى أنها تشف عما تضمنت من المعانى كما يشف البلور عما وراءه .

(٦) قصد الشاعر (بالتضعيف) : واصل عمل القصائد وأطال .

(٧) المضعوف : الضعيف . والمحدود : المحروم والممنوع من الخير . والمراد أنه حرم الإجادة فى رثاء الفقيد .

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١)

[نشرت فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٠٥ م]

سَلامٌ على الإسْلامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ * سَلامٌ على أيّامِهِ النَّضِراتِ (٢)

على الدِّينِ والدُّنْيا، على العِلْمِ والحِجا * على البِرِّ والتَّقْوَى، على الحَسَنات

لقد كنتُ أَخْشَى عادِيَ المَوْتِ قَبْلَه * فأَصْبَحْتُ أَخْشَى أنْ تَطُولَ حَياتِي

فوالهَفِي — والقَبْرُ بَيْنِي وبَيْنَه — * على نَظْرَةٍ مِنْ تِلْكُمُ النَّظَرات (٣)

وقَفْتُ عليه حاسِرَ الرَّأسِ خاشِعًا * كأنِّي حِيالَ القَبْرِ فى عَرَفات (٤)

لقد جَهِلُوا قَدْرَ الإمامِ فأَوْدَعُوا * تَجالِيدَه فى مُوحِشٍ بفَلاة (٥)

ولو ضَرَحُوا بالمَسْجِدَيْنِ لأَنْزَلُوا * بِخَيْرِ بِقاعِ الأرضِ خَيْرَ رُفات (٦)

تَبارَكْتَ هٰذا الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدٍ * أَيُتْرَكُ فِي الدُّنيا بغَيْرِ حُماة ؟

تَبارَكْتَ هٰذا عالِمُ الشَّرقِ قد قَضَى * ولانَتْ قَناةُ الدِّينِ للغَمَزات (٧)

---

(١) انظر التعريف بالشيخ محمد عبده فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من الجزء الأول .

(٢) النضرات : ذوات الحسن والرونق . (٣) والهفى : كلمة يتحسر بها على مافات .

(٤) حاسر الرأس : عاريه . وحيال القبر : تلقاءه وأمامه . (٥) تجاليد الإنسان : جسمه وبدنه . والفلاة : الصحراء الواسعة . (٦) ضرح لميت : حفر له ضريحا . ويريد «بالمسجدين» : المسجد الحرام بمكة ، وبيت المقدس . ورفات الميت : مابلى وتكسر من عظامه . يقول : لو أنهم حفروا بأحد المسجدين ضريحا لهذا الجسم لكان حريا بذلك ، لأنه خير جسم يدفن فى خير بقعة من الأرض .

(٧) قضى : مات . والقناة : الرمح . ولين القناة : كناية عن الضعف والوهن . ويريد «بالغمزات» : المطاعن الموجهة إلى الإسلام من أعدائه .

زَرَعْتَ لنا زَرْعًا فأَخْرَجَ شَطْأَهُ (١) * وبِتَّ ولمّا تَجْتَنِ الثَّمَراتِ

فـواهًا له أَلّا يُصيبَ مُوَفَّقًا (٢) * يُشَارِفُه والأَرضُ غيرُ مَواتِ

مَدَدْنا إلى الأَعْلامِ بَعْدَكَ راحَنا (٣) * فرُدَّتْ إلى أَعْطافِنا صَفِراتِ

وجالَت بنا تَبْغِي سِوالكَ عُيونُنا (٤) * فعُدْنَ وآثَرْنَ العَمَى شَرِقاتِ

وآذَوْكَ فى ذَاتِ الإِلٰهِ وأَنْكَرُوا (٥) * مَكانَكَ حتّى سَوَّدُوا الصَّفَحاتِ

رأَيتَ الأَذَى فى جانِبِ اللهِ لَذَّةً * ورُحْتَ ولَمْ تَهْمُمْ له بشَكاةِ

لقد كنتَ فِيهِمْ كَوكَبًا فى غَياهِبٍ (٦) * ومَعْرِفَةً فى أَنْفُسٍ نَكِراتِ

أَبَنْتَ لنا التَّنْزِيلَ حُكْمًا وحِكْمَةً (٧) * وفَرَّقْتَ بين النُّورِ والظُّلُماتِ

ووَفَّقْتَ بين الدِّينِ والعِلْمِ وانجَا * فأَطْلَعْتَ نُورًا مِن ثَلاثِ جِهاتِ

وَقَفْتَ (لِهانُوتُو) و(رِينانَ) وَقْفَةً (٨) * أَمَدَّكَ فِيها الرُّوحُ بالنَّفَحاتِ

---

(١) شطء الزرع : فراخه أو سنبله . وكنى بالزرع : عما قام به الفقيد من ضروب الإصلاح . وبت : بعدت . (٢) الضمير فى «له» يرجع إلى الزرع . ويشارفه : يشرف عليه . والأرض الموات : الجدبة التى لا تنبت . يخشى ألا يجد الزرع من يتعهده بعد الفقيد مع خصوبة الأرض وقبولها لما يغرس فيها .
(٣) يريد «بالأعلام» : المشهورين من العلماء . والراح : جمع راحة ، وهى الكف . والأعطاف : الخواصر . وصفرات ، أى خاليات . (٤) شرقات ، أى محمرات من البكاء . (٥) يشير بهذا البيت وما بعده إلى المطاعن التى كان يوجهها أعداء الفقيد اليه ، وينشرونها فى بعض الصحف تشهيرا به ، وتحقيرا من شأنه . (٦) الغياهب : الظلمات . (٧) يشير بهذا البيت الى الدروس التى كان يلقيها الأستاذ الإمام فى تفسير القرآن . (٨) هانوتو : هو جبرائيل هانوتو السياسى المؤرخ الفرنسى . ولد فى ١٩ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م ، وقد كتب مقالات فى الطعن على الاسلام . ورينان ، هو أرنست رينان الفرنسى ، ولد فى ٢٧ فبراير سنة ١٨٢٣ م ، وقد كان قسا كاثوليكيا ؛ وهو مشهور بمطاعنه فى الدين الإسلامى كصاحبه السابق ، وقد ردّ الفقيد على مطاعنهما . وتوفى رينان فى سنة ١٨٩٢ م . والروح : جبريل .

وخِفْتَ مَقامَ اللهِ فى كلِّ مَوْقِفٍ * نخافَكَ أَهْلُ الشَّكِّ والنَّزَغاتِ (١)

وكَمْ لكَ فى إغْفاءَةِ الفَجْرِ يَقْظَةٍ * نَفَضْتَ عليها لَذَّةَ الهَجَعاتِ (٢)

ووَلَّيْتَ شَطْرَ البَيْتِ وَجْهَكَ خالِيا * تُناجِى إلٰهَ البَيْتِ فى الخَلَواتِ (٣)

وكَمْ لَيْلةٍ عانَدْتَ فى جَوْفِها الكَرَى * ونَبَّهْتَ فيها صادقَ العَزَماتِ (٤)

وأَرْصَدْتَ للباغِى على دِينِ أَحْمَدٍ * شَباةَ يَراعٍ ساحِرِ النَّفَثاتِ (٥)

إذا مَسَّ خَدَّ الطِّرْسِ فاضَ جَبِينُه * بأَسْطارِ نُورٍ باهِرِ اللَّمَعاتِ (٦)

كأَنَّ قَرارَ الكَهْرَباءِ بشِقِّه * يُرِيكَ سَناهُ أَيْسَرُ اللَّمَساتِ (٧)

فيا سَنَةً مَرَّتْ بأَعْوادِ نَعْشِه * لَأَنْتِ علينا أَشْأَمُ السَّنَواتِ

حَطَمْتِ لنا سَيْفًا، وعَطَّلْتِ مِنْبَرًا * وأَذْوَيْتِ رَوْضًا ناضِرَ الزَّهَراتِ (٨)

وأَطْفَأْتِ نِبْراسًا وأَشْعَلْتِ أَنْفُسًا * على جَمَراتِ الحُزْنِ مُنْطَوِياتِ (٩)

---

(١) النزغات : الوساوس .

(٢) الإغفاءة : النومة . « ونفضت عليها » الخ، أى أنه خلع على اليقظة لذة الهجعة فصار يتلذذ من اليقظة تلذذ الناس بالهجعة ، أى النوم .

(٣) البيت : الكعبة .

(٤) الكرى : النوم . وصادق العزمات ، من إضافة الصفة الى الموصوف ، أى العزمة الصادقة .

(٥) أرصدت : أعددت وهيأت . واليراع : القلم . وشباته : سنه . ونفثات القلم : ما يفيض به من كلمات تشبيها لها بما ينفثه الساحر فى العقد .

(٦) الطرس (بالكسر) : الصحيفة التى يكتب فيها .

(٧) سناه : ضوءه ونوره . يقول : كأن الكهرباء مستقرة فى شق هذا القلم ، فمجرد اللمس يظهر نوره .

(٨) حطمت : كسرت . وأذويت : أذبلت .

(٩) النبراس : المصباح .

رأى فى لَيَـانيكِ المُنَجِّـمُ مَا رَأَى (١) * فَأَنْـذَرَنَا بالـــوَيْلِ والعَـثَرَاتِ

ونَبَّـأَهُ عِـلْمُ النُّجُـومِ بحَـادِثٍ * تَبِيتُ لَـه الأَبْرَاجُ مُضْطَرِبَاتِ

رَمَى السَّرَطَانُ اللَّيْثَ واللَّيْثُ خَادِرٌ (٢) * ورُبَّ ضَعِيفٍ نَافِـذ الرَّمَيَـاتِ

فَأَوْدَى به خَتْلًا فَمَـالَ إلى الثَّرَى (٣) * ومالَتْ له الأَجْرَامُ مُنْحَـدِرَاتِ

وشَاعَتْ تَعَازِى الشُّهْبِ بالنَّوْحِ بَيْنَهَا * عن النَّيِّرِ الهَـاوِى إلى الفَـلَوَاتِ

مَشَى نَعْشُـه يَخْتَـالُ عُجْبًـا بِرَبِّهِ (٤) * ويَخْطِـرُ بين الشَّمْسِ والقُبُـلَاتِ

تَكَادُ الدُّموعُ الجَـارِيَاتُ تُقِـلُّه (٥) * وتَدْفَعُـه الأَنْفَـاسُ مُسْتَعِرَاتِ

بَكَى الشَّرْقُ فارْتَجَّتْ له الأَرْضُ رَجَّةً * وضَاقَتْ عُيونُ الكَوْنِ بالعَبَرَاتِ

ففِى الهِنْدِ مَحْزُونٌ وفى الصِّينِ جَازِعٌ * وفى (مِصْرَ) بَاكٍ دائمُ الحَسَرَاتِ

وفى الشَّامِ مَفْجُوعٌ، وفى الفُرْسِ نَادِبٌ * وفى تُونُسٍ ما شِئْتَ مِنْ زَفَرَاتِ

بَكَى عالَمُ الإسْـلَامِ عالِمَ عَصْـرِه (٦) * سِرَاجَ الدَّيَاجِى هَـادِمَ الشُّـبُهَاتِ

---

(١) يريد « بالمنجم » : أحد المنجمين ، وكان قـد تنبأ بوفاة الأستاذ الإمام فى السنة التى توفى فيها ، وكتب ذلك فى تقويمه السنوى .

(٢) رمى السرطان ... الخ ، اشارة الى أن المرحوم الإمام مات بالسرطان ، وهو هـذا الداء المعروف . والليث خادر ، أى والأسـد فى أجمته . ويطلق السرطان أيضا على برج فى السماء يقابله برج الأسـد الذى أطلق الشاعر عليـه لفظ الليث . واستعمل الشطر الأول فى المعنيين ، كما يدل عليـه سياق الكلام فى الأبيات التالية .

(٣) أودى به : ذهب به . والختل : الخداع . والأجرام : الأفلاك .

(٤) ربه : صاحبه .

(٥) تقله : تحمله . ومستعرات : مشتعلات من الحزن .

(٦) الدياجى : الظلمات .

مَـــلاذَ عَيـايِلٍ ثِمـالَ أَرامِـلٍ * غِيـاثَ ذَوِى عُدْمٍ إمامَ هُـداةِ (١)

فلا تَنْصِبُوا للناس تِمثـالَ (عَبْدِه) * وإنْ كانَ ذِكْرَى حِكْمَةٍ وثَبـاتِ

فإنِّى لَأَخْشَى أنْ يَضـلُّوا فيُومِئُوا * الى نُورِ هٰـذا الوَجْهِ بالسَّجَداتِ (٢)

فيـاوَيْحَ للشُّورَى اذا جَدَّ جِدُّها * وطاشَتْ بهـا الآراءُ مُشْتَجِراتِ (٣)

ويا وَيْحَ لِلفُتْيَا اذا قِيلَ مَنْ لَهَا؟ * ويا وَيْحَ للخَـيْراتِ والصَّـدَقاتِ

بَكَيْنَا على فَـــرْدٍ وإنّ بُكاءَنا * عـــلى أنفُـسٍ لله مُنْقَطِعـاتِ

تَعَهَّـدَها فَضْـلُ الإمامِ وَحاطَها * بإحْسـانِه والدَّهرُ غيرُ مُـواتِى (٤)

فيا مَنْزِلًا فى (عَيْنِ شَمْسٍ) أَظَلَّنى * وأَرْغَمَ حُسَّـادِى وغَمَّ عُـداتِى (٥)

دَعائِمُـه التَّقْوَى وآساسُه الهُـدَى * وفيـه الأَيادِى مَوْضِـعُ اللَّبِنـاتِ (٦)

عليكَ سَـلامُ اللهِ، مالَكَ مُوحِشًا * عَبُوسَ المَغـانِى مُقْفِرَ العَرَصاتِ (٧)

---

(١) الملاذ (بالفتح) : الملجأ . وعيايل : جمع عيل (بتشديد الياء) . وعيل الرجل : من يتكفل بهم ويمونهم ويقوم عليهم . وثمال الأرامل : من يقوم بأمرهن ويعينهن . والغياث : المغيث والمعين . والعدم : الفقر .

(٢) يومئوا : يشيروا . وقد رد الشاعر بهذا البيت على ما اقترحه بعضهم من إقامة تمثال للأستاذ الإمام .

(٣) يريد « بالشورى » مجلس شورى القوانين وكان الفقيد عضوا به . وطاشت : انحرفت عن القصد . ومشتجرات : مشتبكات لا يتميز فيها الحق من الباطل .

(٤) حاطها : صانها وحفظها . والمواتى : الموافق المساعد .

(٥) عين شمس : ضاحية من ضواحى القاهرة معروفة ، وكان فيها بيت الفقيد .

(٦) دعائم البيت : عمده . والأيادى : النعم . واللبنات : ما يضرب من الطين للبناء؛ الواحدة لبنة .

(٧) الموحش : الخالى الذى ليس به ساكن . ومغانيه : منازله التى كان يزل بها ساكنوه ؛ الواحد مغنى . وعرصاته : ساحاته .

لقد كنتَ مَقْصُودَ الجَوانب آهِلاً * تَطُوف بِكَ الآمالُ مُبْتَهِـــلات (١)
مَثابةَ أَرْزاقٍ ، ومَهْبِـطَ حِكْمَةٍ * ومَطْلَعَ أَنْوارٍ ، وكَنْزَ عِظات (٢)

رثاء مصطفى كامل باشا (٣)

[نشرت فى ١٢ فبراير سنة ١٩٠٨]

أَيا قَبْرُ هَـــذا الضَّـــيْفُ آمالُ أُمَّةٍ * فَكَبِّرْ وهَلِّلْ وأَلْقَ ضَيْفَكَ جاثِيَـا (٤)
عَزِيزٌ علينا أنْ نَرَى فيكَ (مُصْطَفَى) * شَهِيدَ العُـــلَا فى زَهْرَةِ العُمْرِ ذاوِيا (٥)
أيا قَـــبْرُ لو أنّا فَقَـــدْناهُ وَحْدَه * لَكانَ التأَسِّى مِنْ جَوَى الحُزْنِ شافِيا (٦)
ولكنْ فَقَـدْنا كـلَّ شَيْءٍ بفَقْـدِه * وهَيْهَـاتَ أَنْ يَأْتِى به الدَّهْرُ ثانِيا
فيـا سائِلِى أَيْنَ المُـرُوءةُ وَالوَفا * وأينَ الحِجَـا والرَّأْىُ؟ وَيْحَكَ هاهِيا
هَنِيئًا لهـــمْ فَلْيَأْمَنُوا كـلَّ صائِحٍ * فقد أُسْكِتَ الصَّوْتُ الذى كان عَالِيا (٧)

---

(١) منزل آهل : عامر بأهـله . ومبتهلات : داعية منضرعة .

(٢) المثابة : المرجع . أى إن الناس كانوا يرجعون الى هذا البيت فى طلب أرزاقهم .

(٣) ولد المرحوم مصطفى كامل باشا صاحب اللواء بمدينة القاهرة فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤ م . وبعد أن نال شهادة الدراسة الثانوية دخل مدرسة الحقوق الخديوية والحقوق الفرنسية فى وقت واحد ، ثم ذهب الى فرنسا ، ومنها أخذ شهادة الحقوق ، وبدأ حياته السياسية فى سنة ١٨٩٥ م . وكانت باكورة أعماله نكايه الذى رفعه الى رئيس مجلس النواب الفرنسى فى ٤ يونية سنة ١٨٩٥ م ؛ ثم كان زعيم النهضة الوطنية فى مصر ، إلى أن توفى فى سنة ١٩٠٨ م بعد أن ألف الحزب الوطنى . (٤) جثا الرجل يجثو : جلس على ركبتيه ؛ والمراد هنا : الخضوع . (٥) الذاوى : الذابل .

(٦) التأسى : اقتداؤك بمن سواك فى الصبر على المصائب . وجوى الحزن : حرقته .

(٧) الضمير فى « لهم » : للإنجليز .

وماتَ الّذى أَحْيـا الشُّـعُورَ وساقَه * الى المَجْـدِ فاسْتَحْيَا النُّفوسَ البَوالِيا (١)

مَدَحْتُـكَ لمّـا كُنْتَ حيًّا فـلَمْ أُجِدْ * وإنّى أُجِيـدُ اليـومَ فيـكَ المَراثِيـا

عليكَ، وإلّا ما لِذا الحُـزْنِ شامِـلًا * وفِيـكَ، وإلّا ما لِذا الشَّعْبِ باكِيا (٢)

يَمُوتُ المُـداوى للنُّفُـوسِ ولا يَرَى * لِمـا فيـه مِنْ داءِ النُّفُـوسِ مُداوِيا

وكانَ نِيـامًا حيـنَما كنتَ ساهِـدًا * فأَسْهَدْتَنـا حُـزْنًا وأَمْسَيْتَ غافِيـا (٣)

شَهِيدَ العُـلَا، لا زالَ صَوْتُكَ بَيْنَنَـا * يَرِنُّ كما قَـدْ كانَ بالأَمْسِ داوِيَا (٤)

يُهِيبُ بنـا : هَـذا بنـاءٌ أَقَمْتُـه * فلا تَهْـدِمُوا باللهِ ما كُنْتُ بانِيـا (٥)

يَصِيحُ بِنـا : لا تُشْعِرُوا الناسَ أنّنى * قَضَيْتُ وأنّ الحَيَّ قـد باتَ حالِيـا (٦)

يُنـاشِـدُنا باللهِ أَلّا تَفَـرَّقُـوا * وكُونوا رِجالًا لا تَسُـرُّوا الأَعادِيا

فرُوحِى مِنْ هَـذا المَقـامِ مُطِـلَّةٌ * تُشارِفُكُمْ عَـنِّى وإنْ كنتُ بالِيـا (٧)

فَـلَا تَحْـزُنُوها بالخِـلافِ فإنّنى * أَخافُ عليكُمْ فى الخِـلافِ الدَّواهِيا

أَجَلْ، أيُّها الداعِى الى الخَـيْرِ إنّنـا * على العَهْـدِ ما دُمْنا فنَمْ أنتَ هانِيـا (٨)

بنـاؤُكَ مَحْفُـوظٌ، وطَيْفُـكَ ماثِلٌ * وصَوْتُكَ مَسْمُوعٌ، وإنْ كنتَ نائِيا

---

(١) استحيا، أى أحيا . والاستحياء (لغة) : الاستبقاء؛ يقال : استحيا فلان فلانا، إذا أبقاه حيا .

(٢) عليك، أى عليك الحزن . وفيك، أى فيك البكاء .

(٣) الساهد : الساهر . والغافى : النائم .

(٤) المعروف (دوّى) بتشديد الواو، واسم الفاعل منه : مدوّ . وأما (دوى) بالتخفيف، فهو استعمال شائع فى كلام أهل العصر .

(٥) أهاب به : صاح به ودعاه .

(٦) قضى : مات .

(٧) شارفه : نظر إليه من علو .

(٨) أجل، كلمة تقال فى الجواب بمعنى «نعم» .

عهدناكَ لا تَبْكى وتُنْكِرُ أَنْ يُرَى * أَخُو البَأْسِ فى بَعْضِ المَوَاطِنِ باكِيَا

فَرَخِّصْ لنا اليومَ البُكاءَ وفى غَدٍ (١) * تَرَانَا كما تَهْوَى جِبالًا رَواسِيا

فيا نِيلُ إنْ لَمْ تَجْرِ بَعْدَ وَفاتِه * دَمًا أَحْمَرًا لا كنتَ يا نِيلُ جارِيا

ويا (مِصْرُ) إنْ لم تَحْفَظِى ذِكرَ عَهْدِه * إلى الحَشْرِ لا زالَ انْحِلالُكِ باقِيا

ويأهْلَ (مِصْرٍ) إنْ جَهِلْتُمْ مُصابَكُمْ * ثِقُوا أنّ نَجْمَ السَّعْدِ قد غارَ هاوِيا

ثلاثُونَ عاما بل ثلاثُونَ دُرَّةً (٢) * بجِيدِ اللَّيالِى ساطِعاتٍ زَواهِيا

سَتَشْهَدُ فى التاريخِ أنّكَ لَمْ تَكُنْ (٣) * فَتًى مُفْرَدًا بل كنتَ جَيْشًا مُغازِيا

رثاء مصطفى كامل باشا أيضا

أنشدها فى حفل الأربعين فى ٢٠ مارس سنة ١٩٠٨ م

نثَرُوا عَلَيْكَ نَوادِىَ الأَزْهارِ (٤) * وأَتَيْتُ أَنْثُرُ بينهمْ أَشْعارِى

زَيْنَ الشَّبابِ وزَيْنَ طُلّابِ العُلا * هل أنتَ بالمُهَجِ الحزِينَةِ دارِى؟

غادَرْتَنا والحادِثاتُ بمَرْصَدٍ (٥) * والعَيْشُ عَيْشُ مَذَلَّةٍ وإسارِ

---

(١) الذى وجدناه أنه يقال : «رخصت له» ورخصته فى كذا «أى أذنت له فيه» بعد النهى عنه . ولم نجد فى كتب اللغة أنه يقال : رخصت له كذا بحذف «فى» كما استعمله الشاعر فى هذا البيت ، إلا أن يقال : إنه ضمن الترخيص معنى التسهيل والتيسير ، فحذف الفاء . والرواسى : الرواسخ .

(٢) توفى مصطفى كامل باشا عن اثنين وثلاثين سنة ، فالثلاثون فى هذا البيت عدد تقريبى .

(٣) تشهد ، أى الثلاثون عاما .

(٤) نوادى الأزهار : الرطبة المبتلة بالندى .

(٥) بمرصد ، أى أن الحوادث ترقبنا وتحين الفرص لمداهمتنا . والمرصد ، هو مكان الرصد ، أى المراقبة .

ما كانَ أَحْوَجَنا إليــكَ اذا عَدَا * عادٍ وصاحَ الصّائحُون : بَدَارِ (١)

أَيْنَ الخَطِيبُ وأَيْنَ خَلّابُ النُّهَى ؟ * طالَ انْتِظارُ السَّــمْعِ والأَبْصارِ

بالله ما لَكَ لا تُجِيبُ مُنادِيًا * ما ذا أَصابَكَ يا أَبَا المِغْــوارِ (٢)

قُمْ وامْحُ ماخَطَّتْ يَمِينُ (كُرُومَرٍ) * جَهْــلًا بِدِينِ الواحِدِ القَهّــارِ (٣)

قد كُنْتَ تَغْضَبُ للكِنانَةِ كُلَّمــا * هَمَّتْ وَهَــمَّ رَجاؤها بِعِثــارِ (٤)

غَضَبَ التَّــقِيِّ لِرَبِّــه وكِتابِه * أو غَضْــبَةَ (الفارُوقِ لِلْمُخْتارِ) (٥)

قد ضاقَ جِسْمُكَ عنْ مَداكَ فَلَمْ يُطِقْ * صَــبْرًا عليــكَ وأنتَ شُــعْلَةُ نارِ (٦)

أَوْدَى به ذاكَ الجِهــادُ وهَــدَّه * عَزْمٌ يَهُــدُّ جَلائِلَ الأَخْطــارِ (٧)

لَعِبَتْ يَمِينُكَ بالــيَراعِ فأَعْجَــزَتْ * لَعِبَ الفَــوارِسِ بالقَنــا الخَطّارِ (٨)

وجَرَيْتَ للعَلْيــاءِ تَبْــغِي شَأْوَها * فَجَــرى القَضاءُ وأنتَ فى المِضْمارِ (٩)

---

(١) بدار : اسم فعل أمر بمعنى بادر، أى أسرع . (٢) المغوار : الكثير الغارات على الأعداء . ويشير بهذه الكنية إلى قول الشاعر :

وداع دعا : يا من يجيب إلى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة * لعل أبى المغوار منك قريب

(٣) يشير بهذا البيت إلى ما كتبه اللورد كرومر عميد الدولة الانجليزية فى مصر من طعن على الدين الإسلامى . (٤) العثار : الكبو والنعس . (٥) الفاروق : عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . والمختار : النبى صلى الله عليه وسلم .

(٦) مداك، أى غاية ما تطمح إليه من المعالى . (٧) أودى به : ذهب . « وهده عزم » الخ، أى أن عزمه الذى يذهب بالشدائد قد ذهب بجسمه وأفناه . (٨) القنا : الرماح . والخطار : من صفات الرمح، لاضطرابه واهتزازه . (٩) الشأو : الغاية . ويريد « بالقضاء » : الموت .

أوَكلَّما هَـــزَّ الرَّجاءُ مُهَنَّـــدًا (١) * بَدَرَتْ إليـــه غوائلُ الأَقْـدارِ

عَزَّ القَـــرارُ عَلَىَّ ليـــلةَ نَعْيِـــه (٢) * وشَهِدْتُ مَوْكِبَه فقَـــرَّ قَـــرارِى

وتَسابَقَتْ فيـــه النُّعـاةُ فطائرٌ (٣) * بالكَهْـــرَباءِ ، وطـائرٌ ببُخـار

شاهَدْتُ يومَ الحَشْرِ يـــومَ وَفاتِه (٤) * وعَلِمْتُ منـه مَراتبَ الأَقْـــدار

ورأيتُ كيفَ تَفِى الشُّعوبُ رِجالَها * حَـــقَّ الـولاءِ وواجبَ الإكْبار

تِسْـعُونَ أَلْفًا حَوْلَ نَعْشِكَ خُشَّع (٥) * يَمْشُـون تحْتَ (لِوائكَ) السَّـيَّار

خَطُّوا بأَدْمُعِهِمْ على وَجْـهِ الثَّرَى * للحُـزْنِ أَسْـطارًا عـلى أَسْـطار

آنًا يُوالُون الضجيجَ كأنّهـمْ * رَكْبُ الحَجيجِ بكَعْبَةِ الزُّوّارِ

وتَخالُهُمْ آنًا لفَـرْطِ خُشُـوعِهِمْ * عنـد المُصَـلَّى يُنْصِتُونَ لِقَارِى

غَلَبَ الخُشُـوعُ عليهمُ فدُموعُهُمْ (٦) * تَجْـرِى بلا كَلَحٍ ولا اسْتِئْثار

قد كنتُ تَحْتَ دُمُوعِهِمْ وزَفِيرِهِمْ * ما بينَ سَـيْلٍ دافِـقٍ وشَرار

أَسْـعَى فيأْخُـذُنِى اللَّهِيبُ فأَنْثَنِى * فيَصُـدُّنِى مُتَـدفِّقُ التَّيّـار

---

(١) المهند : السيف . وغوائل الأقدار ، أى المهلكات منها . (٢) يريد بقوله : «وشهدت» الخ : أنه لما رأى وفاء الأمة للفقيد فى جنازته هدأت نفسه . (٣) يريد «بالطائر بالكهرباء» : الرسائل البرقية . «وبالطائر بالبخار» : القطار . (٤) وعلمت منه مراتب الأقدار ، أى كيف تنزل الأمة عظماءها منازلهم التى يستحقونها . (٥) اللواء : العلم . ويشير إلى جريدة اللواء التى كان يصدرها الفقيد .

(٦) بلا كلح ، أى بلا عبوس ولا تقطب . والمسموع : كلاح وكلوح (بالضم فيهما) . والاستئثار من الأنف معروف . ويريد «بتجرى بلا كلح ولا استئثار» : أن الدموع تجرى بطبيعتها بلا عبوس ولا غيره مما يصحب الدموع عادة .

(١)
لَوْ لَمْ أَلُذْ بالنَّعْشِ أو بِظِلالِه * لَقَضَيْتُ بين مَراجِلٍ وبِحار

كم ذاتِ خِدْرٍ يومَ طافَ بك الرَّدَى * هَتَكَتْ عليكَ حَرائرَ الأَسْتار

سَفَرَتْ تُوَدِّعُ أُمَّةً مَحْمُولَةً * فى النَّعْشِ لا خَبَراً مِن الأخبار

(٢)
أَمِنَتْ عُيونَ النّاظِرِين فَمَزَّقَتْ * وَجْهَ الخِمارِ فَلَمْ تَلُذْ بخِمار

قد قام ما بَيْنَ العُيونِ وبَيْنَها * سِتْرٌ مِن الأَحْزانِ والأَكْدار

(٣)
أُدْرِجْتَ فى العَلَمِ الّذى أَصْفَيْتَه * مِنكَ الوِدادَ فكان خيرَ شِعار

(٤)
عَلَمانِ مِنْ فَوْقِ الرءوسِ كِلاهُما * فى طَيِّه سِرٌّ مِن الأَسرار

(٥)
ناداهُما دَاعِى الفِراقِ فأَمْسَيا * يَتعانَقانِ على شَفِيرِ هارِى

(٦)
تاللهِ ما جَزِعَ المُحِبُّ ولا بَكَى * لِنَوًى مُرَوِّعَةٍ وبُعْدٍ مَزار

(٧)
جَزَعَ (الهِلالِ) عليكَ يومَ تَرَكْتَه * ما بَيْنَ حَرِّ أَسًى وحَرِّ أُوار

مُتَلَفِّتًا مُتَحَيِّرًا مُتَخَيِّرًا * رَجُلًا يُناضِلُ عنه يومَ فخارِ

---

(١) قضى : هلك ومات . والمراجل : القدور ؛ الواحد مرجل (بكسر فسكون) . ويريد «بالمراجل والبحار» : ما أشار اليه فى البيت الأسبق من الزفرات والدموع .

(٢) الخمار : ما تغطى به المرأة وجهها .

(٣) يقال : أدرجه فى الثوب : إذا لفه فيه وطواه . ويريد «بالعلم» : علم مصر .

(٤) يريد «بالعلمين» : الفقيد ، تشبيها له بالعلم فى ارتفاعه وشهرته ، وعلم مصر الذى لف فيه النعش .

(٥) شفير كل شىء : حرفه . والهارى : المنهار .

(٦) النوى : البعد .

(٧) الهلال : شعار الدولة العثمانية والولايات التابعة لها التى كانت منها مصر إذ ذاك . والأسى : الحزن . والأوار : الظمأ ، ويريد به ما تركه فراقه فى النفوس من تعطش إليه .

إنّ الثلاثِينَ الّتى بك فاخَرَتْ * باتَتْ تُقاسُ بأَطْوَلِ الأَعْمَارِ (١)

ضَمَّتْ الى التاريخ بِضْعَ صَحائِفٍ * بَيْضَاءَ مِثْلَ صَحائِفِ الأَبْرَارِ

شَبَّهْتُهُنَّ بِنُقْطَةٍ عِطْرِيَّةٍ * وَسِعَتْ مُحَصَّلَ رَوْضَةٍ مِعْطارِ (٢)

خَلَّفْتَها كالمَشْقِ يَحْذُو حَذْوَها * راجى الوُصولِ ومُقْتَفِى الآثَارِ

ماذا على السّارِى ـ وهُنَّ مَنائِرٌ ـ * لو سارَ بَيْنَ مَجاهِلٍ وقِفارِ (٣)

ما زِلْتَ تَخْتارُ المَواقِفَ وَعْرَةً * حتّى وَقَفْتَ لذٰلِكَ الجَبّارِ (٤)

وهَدَمْتَ سُورًا قد أَجادَ بِناءَه * فِرْعَوْنُ ذو الأَوْتادِ والأَنْهارِ (٥)

ووَصَلْتَ بين شَكاتِنا ومَشايِخٍ * فى (البَرْلَمانِ) أَعِزَّةٍ أَخْيارِ (٦)

كَشَفُوا الغِطاءَ عن العُيونِ فأَبْصَرُوا * ما فى الكِنانَةِ مِنْ أَذًى وضِرارِ (٧)

نَبَدُوا كَلامَ (اللُّرْدِ) حينَ تَبَيَّنُوا * حَنَقَ المَغِيظِ ولَهْجَةَ التَّرْثارِ (٨)

ورَماهُمُ بِمُجَلَّدَيْنِ رَمَوْهُمَا * فى رُتْبَةِ الأَصْفارِ لا الأَسْفارِ (٩)

---

(١) يريد الثلاثين سنة التى ذكرها فى مرثيته السابقة فى قوله "ثلاثون عاما ... الخ" . وقد قدّمنا أن الفقيد قد توفى عن اثنتين وثلاثين سنة ، فالثلاثون عدد تقريبى . (٢) الروضة المعطار : الكثيرة الزهور والرياحين . ومحصلها : مايحصل من رياحينها وأزهارها . (٣) وهن ، أى الثلاثون عاما . والمنائر : جمع منارة ، وهى ما يهتدى به . يريد أن سارى الظلمات لا يضل وهو يهتدى بهذه الأعلام الواضحة . (٤) يريد «بالجبار» اللورد كرومر ؛ ويشير إلى مواقفه معه فى حادثة دنشواى وغيرها .

(٥) الأوتاد : الجبال . ويضرب بفرعون المثل فى الجبروت والبغى ؛ شبه اللورد كرومر به .

(٦) الشكاة : الشكوى . ويريد «بالبرلمان» : البرلمان الإنجليزى .

(٧) كشفوا ، أى مشايخ البرلمان . (٨) الحنق : الغيظ . والثرثار : الذى يكثر الكلام تكلفا وخروجا عن الحق . (٩) يشير «بالمجلدين» : ما كتبه اللورد كرومر لحكومته عن مصر . والأسفار : الكتب ؛ والواحد سفر (بالكسر) .

واهًا على تلك المواقف إنها * كانت مواقف ليث غاب ضارى (١)
لم يلوه عنها الوعيد ولا ثنى * من عزمه قول المريب : حذار (٢)
فاهنأ بمنزلك الجديد ونم به * فى غبطة وانعم بخير جوار
واستقبل الأجر الكبير جزاء ما * ضحيت للأوطان من أوطار (٣)
نعم الجزاء ونعم ما بلغته * فى منزليك ونعم عقبى الدار (٤)

رثاء قاسم أمين بك (٥)

[نشرت فى ٦ يونية سنة ١٩٠٨ م]

لله درك كنت من رجل * لو أمهلتك غوائل الأجل (٦)
خلق كأنفاس الرياض إذا * أسحرن غب العارض الهطل (٧)

---

(١) الضارى : الجرىء المعود على الصيد . (٢) لم يلوه : لم يصرفه . والمريب : ذو الريبة . يريد به هنا : المتهم فى وطنيته ، المشكوك فى إخلاصه لبلاده . (٣) الأوطار : جمع وطر ، وهو البغية والحاجة . (٤) فى منزليك ، أى الدنيا والآخرة .

(٥) ولد قاسم أمين سنة ١٨٦٥ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر سافر الى فرنسا حيث درس الحقوق ، وعاد فى سنة ١٨٨٥ ، ثم تدرج فى المناصب القضائية حتى صار قاضيا بمحكمة الاستئناف الأهلية ، وهو أول من نادى بتحرير المرأة المصرية ، وله فى ذلك كتابان : (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) . واشترك أيضا فى الدعوة الى إنشاء الجامعة مع صديقه المرحوم سعد زغلول باشا ، وتوفى رحمه الله فى ٢٢ أبريل سنة ١٩٠٨ م عن ثلاث وأربعين سنة .

(٦) الغوائل : الدواهى المهلكة ، الواحدة غائلة .

(٧) أسحر : صار فى السحر . والعارض : السحاب المعترض فى الأفق . والهطل : المتتابع المطر ، العظيم القطر . والنسيم المنبعث عن الرياض أنقى ما يكون عقب المطر وفى السحر .

وشمائـــلٌ لـــو أنّهـا مُزِجَتْ * بطَبـائِـعِ الأيّـــامِ لم تَحُـــلِ (١)

جَـــمُّ المحامِـــدِ غيرُ مُتَّهَـــمٍ * جَـــمُّ التّواضُـعِ غيرُ مُبْتَـــذَلِ (٢)

يا دَوْلَةَ الأَخْـــلاقِ رافِـــلَةً * مِنْ (قاسِمٍ) فى أبْهَجِ الحُلَلِ (٣)

كيف انطَوَيْتِ به على عَجَلٍ * أكذا تكونُ مَصارِعُ الدُّوَلِ؟

يا طالِعًـا للشَّـــرْقِ لَجَّ بـــه * نَحْسُ النُّحُوسِ فقَـرَّ فى (زُحَلِ) (٤)

هَـــلَّا وَصَلْتَ سُـــراكَ مُنْتَقِلًا * عَلَّ السُّعُودَ تكونُ فى النُّقَلِ

مالى أَرَى الأَجْـــداثَ حالِيـــةً * وأَرَى رُبُوعَ النِّيـــلِ فى عَطَـــلِ (٥)

فاذا الكَنائِنُ أَطْلَعَتْ رَجُـــلًا * طـاحَ القَضاءُ بذلك الرَّجُـــلِ (٦)

أو كلّما أَرْسَلْتُ مَرْثِيَـــةً * مِنْ أَدْمُعِى فى إِثْرِ مُرْتَحِـــلِ

هاجَتْ بىَ الأَحْزَى دَفِـينَ أَسًى * فوَصَلْتُ بين مَدامِعِ المُقَـــلِ (٧)

إنْ خانَنِى فـــيما خَفَيْتُ به * شِعْرِى فهٰـــذا الدَّمْعُ يَشْـــفَعُ لِى

ولقَـــد أقـــولُ وما يُطـالُنِى * عنـــد البَدِيهَةِ قَـــوْلُ مُرْتَجِـــلِ: (٨)

يا مُرْسِـــلَ الأَمْثـالِ يَضْرِبُها * قـــد عَزَّ بَعْدَكَ مُرْسِـــلُ المَثَلِ

---

(١) لم تحل ، أى لم تحول ولم تتغير . والمعنى أن شمائله من الثبات على الخير بحيث لو مزجت بطبائع الأيام المتقلبة لأكسبتها ثباتا على ما يحب الناس . (٢) المبتذل : المهين .

(٣) رافلة : تجر الذيل متبخترة . (٤) لج به : ألح عليه . وزحل : كوكب معروف من الخمس ، وهو عند المنجمين كوكب نحس . (٥) الأجداث : القبور ؛ الواحد جدث (بالتحريك) . وحالية : مزدانة . والعطل : التجرد عن الزينة . (٦) طاح به : ذهب به .

(٧) «هاجت بى الأخرى» الخ ، أى أثارت المرثية الأخرى ما خفى من حزنى . (٨) طاوله : غالبه .

يا رائشَ الآراءِ صائبَةً * يَرْمِي بِهِنَّ مَقاتِلَ الْخَطَلِ (١)

لِلّٰهِ آراءٌ شَأَوْتَ بها * فى الخالِدِينَ نَوابِغَ الأَوَلِ (٢)

قد كنتَ أَشْقانا بِنا وكذا * يَشْقَى الأَبِيُّ بِصُحْبَةِ الوَكَلِ (٣)

لَهْفِى عَلَيْكَ قَضَيْتَ مُرْتَجِلاً * لَمْ تَسْتَشِرْ ، لَمْ تَسْتَوْصِ ، لَمْ تَقُلِ (٤)

غَلَّ القَضاءُ يَدَ القَضاءِ فَذا * يَبْكِى عليكَ وذاكَ فى جَذَلِ (٥)

شَغَلَتْكَ عن دُنْياكَ أَرْبَعَةٌ * والمرءُ مِنْ دُنْياهُ فى شُغُلِ :

حَقٌّ تُناصِرُهُ ومَفْخَرَةٌ * تَمْشِى إليها غَيْرَ مُنْتَحِلِ (٦)

وحَقائِقُ للعِلْمِ تَنْشُدُها * ما لِلْحَكِيمِ بِهِنَّ مِنْ قِبَلِ (٧)

وفَضِيلَةٌ أَعْيَتْ سِواكَ فَلَمْ * تَمْدُدْ إليه يداً ولم يَصِلِ (٨)

إنْ رَيْتَ رَأْياً فى الحِجابِ ولَمْ * تُعْصَمْ ، فتِلْكَ مَراتِبُ الرُّسُلِ (٩)

---

(١) الرائش : الذى يلزق الريش على السهم ليكون أسرع فى مضيه إلى الغرض . والخطل (بالتحريك) : الخطأ والفساد . (٢) شأوت : سبقت . (٣) الوكل (بالتحريك) : الضعيف العاجز الذى يكل أمره الى غيره . ويشير بهذا البيت الى ما لقيه الفقيد من ضروب النقد الشديد والطعن الجارح حين أخرج كتابيه : (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) . (٤) قضيت مرتجلا ، أى مت من غير علة ظاهرة . وتستوصى ، أى توصى . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة استوصيت بمعنى أوصيت .

(٥) القضاء (الأول) ، بمعنى الموت (والثانى) بمعنى الفصل فى الخصومات . والجذل (بالتحريك) : الفرح . (٦) المنتحل : الذى يدعى لنفسه ما لغيره . (٧) تنشدها : تطلبها . والقبل : الطاقة . (٨) أعيت : أعجزت ، ولم تمدد ... الخ ، أى لم تمدد الفضيلة الى سواك يدا ولم يصل إلى نوالها . (٩) ريت : رأيت ، فحذف الهمزة للوزن . ويشير بهذا البيت الى دعوة الفقيد إلى سفور المرأة . وتلك ، أى العصمة .

الحُكْمُ للأيّام مَرْجِعُــه * فِــيما رأَيْتَ فــنَمْ ولا تَسَــلِ

وكذا طُهاةُ الرأى تَتْرُكُه * للدَّهْرِ يُنْضِــجُه عــلى مَهَــلِ (١)

فاذا أَصَبْتَ فأنتَ خــيرُ فَــتًى * وَضَــعَ الدَّواءَ مَواضِعَ العِــلَلِ

أَوْلَا ، فحَسْبُكَ ما شَرُفْتَ بــه * وتَرَكْتَ فى دُنْيــاكَ مِنْ عَمَلِ

واهًا عــلى دارٍ مَرَرْتُ بها * قَفْــرًا وكانت مُلْتَــقَى السُّــبُلِ (٢)

أَرْخَصْتُ فيهــا كلَّ غالِيَــةٍ * وذَكَرْتُ فيهــا وَقْفَــةَ الطَّلَــلِ (٣)

ساءَلْتُها عن (قاسِــمٍ) فأَبَتْ * رَدَّ الجَــوابِ فرُحْتُ فى خَبَــلِ (٤)

مُتَعَــثِّرا يَنْتــابُنِى وَهَــنٌ * مُتَرَنِّحــا كالشــارِبِ الثَّمِــلِ (٥)

مُتَذَكِّرا يــومَ (الإمامِ) بــه * يــومَ ٱنتُــوِيتُ بذَلِكَ البَطَــلِ (٦)

يومَ ٱحْتَسَبْتُ ـ وكنتُ ذا أَمَلٍ ـ * تحتَ الــترابِ بقيّــةَ الأَمَــلِ (٧)

جاوِرْ أَحِبَّتَــكَ الأُلَى ذَهَبــوا * بالعَــزْمِ والإقْــدامِ والعَمَــلِ

وٱذكُرْ لهــم حاجَ البِــلادِ إلى * تــلكَ النُّهَى فى الحــادِثِ الجَلَلِ (٨)

---

(١) شبه فى هــذا البيت صاحب الرأى يرسله فى النــاس ويَتْركه ينفذ الى عقولهم شــيئا فشيئا حتى يثبت ، بطاهى الطعام الذى يضعه على النــار تنضجه شيئا فشيئا حتى يتم نضجه ، ويصــير صالحا لتناوله .

(٢) يريد «بالدار» دار الفقيد . وملتقى السبل ، أى مجمع الوافدين من كل طريق . ونصب «قفرا» على الحال . (٣) الغالية ، أى الدمعة الغالية التى لا تسيل إلا فى أشدّ المصائب . والطلل (بالتحريك) : الشاخص من آثار الدار . (٤) الخبل : الجنون . (٥) الوهن : الضعف . والمترنح . المتمايل سكرا . والثمل : الشوان . (٦) الإمام ، هو المرحوم الشيخ محمد عبده . ويوم انتويت به ، أى يوم رمانى فيه الزمان وقصدنى بمكروهه . (٧) احتسبه : قدّمه واعتدّه فيما يدخر عند الله .

(٨) الحاج : جمع حاجة .

قـلْ (للإمام) إذا ٱلْتَقيْتَ بـه * فى الجَنَّتَـيْنِ بأكْرَمِ النُّزُلِ:
إنّ الحَقيقـةَ أَصْبَحَتْ هَـدَفًا * للرَّاكِبِين مَراكِبَ الزَّلَـلِ
لِلّهِ آثارٌ لكم خَـلَدَتْ * صاحَ الزّوالُ بها فـلَمْ تَزُلِ
لِلّهِ أيّامٌ لكم دَرَجَـتْ * طـالتْ عَـوارفُها (١) ولَمْ تَطُـلِ
نِعْـمَ الظِّـلالُ لو أنّهـا بَقِيَتْ * أو أنّ ظِـلًّا غـيرُ مُنْتَقِـلِ

ذكرى مصطفى كامل باشا

أنشـدها فى الحفـل الذى أقيم عنـد قبره لإحياء ذكراه الأولى

[نشرت فى ١٢ فبراير سنة ١٩٠٩ م]

طُوفُوا بأَرْكانِ هٰذا القَبْرِ وٱستَلِمُوا (٢) * وٱقْضُوا هُنالِكَ ما تَقْضِى به الذِّمَمُ
هُنـا جَنانٌ تَعـالَى اللهُ بَارِئُه * ضاقَتْ بآمالِه الأَقْـدارُ والهِمَمُ
هُنـا فَمٌ وبَنـانٌ لاحَ بَيْنَهـما * فى الشَّرْقِ فَجْرٌ تُحَيِّى ضَوْءَهُ الأُمَمُ
هُنَـا فَمٌ وبَنـانٌ طالَمـا نَثَرَا * نَثْرًا تَسـيرُ به الأَمْثـالُ والحِـكَمُ
هنا الكَمِىُّ الّذى شادَتْ عَزائمُـه * لطالِبِ الحَقِّ رُكْنًا ليسَ يَنْهَـدِمُ (٣)
هُنا الشَّهِيدُ، هُنا رَبُّ اللِّواءِ، هُنا * حامِى الذِّمارِ، هُنا الشَّهْمُ الَّذى عَلِمُوا (٤)

---

(١) درجت : مضت وذهبت . والعوارف : جمع عارفة ، وهى العطية والمعروف ، فاعلة بمعنى مفعولة .
(٢) استلم القبر : قبله أو لمسه بيده . (٣) الكمى : الشجاع . (٤) اللواء : الصحيفة التى كان يصدرها الفقيد . والذمار : كل ما يلزمك حفظه وحياطته والدفاع عنه .

يأيّها النائمُ الهانِى بمَضْجَعِه * لِيَهْنِكَ النَّوْمُ لاهَمٌّ ولا سَقَم

باتتْ تُسائِلُنا فى كلِّ نازِلَةٍ * عنكَ المَنابِرُ والقِرْطَاسُ والقَلَم

تَرَكْتَ فِينا فَراغًا ليس يَشْغَلُهُ * إلّا أَبِىٌّ ذَكِىُّ القَلْبِ مُضْطَرِم (١)

مُنَفَّرُ النَّوْمِ سَبّاقٌ لِغايَتِهِ * آثارُه عَمَمٌ آمالُه أَمَم (٢)

إنِّى أَرَى وفُؤادِى لَيْسَ يَكْذِبُنى * رُوحًا يَحُفُّ بها الإكْبارُ والعِظَم

أَرَى جَلالًا، أَرَى نُورًا، أَرَى مَلَكًا * أَرَى مُحَيًّا يُحَيِّينا ويَبْتَسِم (٣)

اللهُ أكبرُ، هٰذا الوَجْهُ أَعْرِفُه * هٰذا فَتَى النِّيلِ هٰذا المُفْرَدُ العَلَم

غُضُّوا العُيونَ وحَيُّوهُ تَحِيَّتَه * مِنَ القُلوبِ إذا لَمْ تُسْعِدِ الكَلِم (٤)

وأَقْسِمُوا أن تَذُودُوا عَنْ مَبادِئِه * فَنَحْنُ فى مَوْقِفٍ يَحْلُو به القَسَم (٥)

لَبَّيْكَ نَحْنُ الأُلَى حَرَّكْتَ أَنْفُسَهُمْ * لمّا سَكَنْتَ ولَمّا غَالَكَ ٱلعَدَم (٦)

جِئنا نُؤَدِّى حِسابًا عن مَواقِفِنا * ونَسْتَمِدُّ ونَسْتَعْدِى ونَحْتَكِم (٧)

قيلَ اسكُتُوا فسَكَتْنا ثم أَنْطَقَنا * عَسْفُ الجُفاةِ وأَعْلَى صَوْتَنا الأَلَم (٨)

قد اتُّهِمْنا ولَمّا نَطَّلِبْ جَلَلًا * إنّ الضَّعِيفَ على الحالَيْنِ مُتَّهَم (٩)

---

(١) مضطرم، أى مشتعل غيرة وحمية . (٢) منفر النوم : مسهد . وعمم، أى عامة شاملة .

(٣) المحيا : الوجه . (٤) أسعده : أعانه .

(٥) تذودوا : تدفعوا . (٦) غاله : أهلكه .

(٧) نستمد : نطلب المدد، أى المعونة . ونستعدى : نستنصر .

(٨) العسف : الظلم . ويريد «بالجفاة» : المحتلين . (٩) اطلب : طلب . والجلل : الأمر العظيم .

قالوا : لقد ظَلَمُوا بالحَقِّ أنْفُسَهُمْ * واللهُ يَعْلَمُ أنّ الظالمين هُمُ

إذا سَكَتْنا تَناجَوْا، تلك عادَتُهُمْ * وإنْ نَطَقْنا تَنادَوْا : فِتْنَةٌ عَمَم (١)

قد مَرَّ عامٌ بِنا والأَمْرُ يَحْزُبُنا * آنًا وآونَةً تَنْتابُنا النِّقَم (٢)

فالناسُ فى شِدَّةٍ والدَّهْرُ فى كَلَبٍ * والعَيْشُ قد حارَ فيه الحاذِقُ الفَهِم (٣)

وللسِّياسَةِ فِينا كلَّ آوِنَةٍ * لَوْنٌ جَدِيدٌ وعَهْدٌ ليس يُحْتَرَم (٤)

بَيْنا تَرَى جَمْرَها تُخْشَى مَلامِسُه * إذا به عِنْدَ لَمْسِ المُصْطَلِى فَحَم

تُصْغِى لأَصْواتِنا طَوْرًا لتَخْدَعَنا * وتارةً يُزْدَهِيها الكِبْرُ والصَّمَم (٥)

فِمْ مُلايَنَةٍ أَسْتارُها خُدَعٌ * إلى مُصانَعَةٍ أَسْتارُها وَهَم

ماذا يُرِيدُون؟ لا قَرَّتْ عُيونُهُمُ * إنّ الكِنانَةَ لا تُطْوَى لها عَلَم

كم أُمّةٍ رَغِبَتْ فيها فما رَسَخَتْ * لها على حَوْلِها فى أَرْضِها قَدَم (٦)

ما كان رَبُّكَ رَبَّ البَيْتِ تارِكَها * وهى التى بِجِبالٍ منه تَعْتَصِم (٧)

لَبَّيْكَ إنّا على ما كُنْتَ تَعْهَدُه * حَتّى نَسُودَ وحتّى تَشْهَدَ الأُمَم

فيَعْلَمَ النِّيلُ أنّا خيرُ مَنْ وَرَدُوا * ويَسْتَطِيلَ أَخِيرًا ذلك الهَرَم

---

(١) تناجوا : تساروا .

(٢) حزبه الأمر : اشتد عليه وضغطه .

(٣) كلب الدهر (بالتحريك) شدته وإلحاحه بما يسوء .

(٤) يريد بهذا البيت : أن للسياسة أحوالا مختلفة فحينا تكون نارا حامية ، وحينا فحمة باردة .

(٥) الوهم (بسكون الهاء) ، معروف ، وحركه الشاعر للضرورة .

(٦) رسخت : ثبتت . والحول : القوة .

(٧) البيت : الكعبة .

هٰـذا الغِراسُ الّذى والَيْتَ مَنْبِتَه * بخَيْرِ ما والَت الأَضْـواءُ والنَّسَمُ (١)

أَمْسَى وأَضْحَى وعَيْنُ اللهِ تَحْرُسُـه * حتّى نَمَـا وحَلاهُ المَجْـدُ والشَّمَمُ

فانظُرْ إليه وقد طالَتْ بَواسِـقُه * تَهْنَأْ به ولِأَنْف الحاسِـدِ الرَّغَمُ (٢)

يأيُّها النَّشْءُ سِـيرُوا فى طَرِيقَتِه * وثابِرُوا، رَضِىَ الأَعْداءُ أَو نَقِمُوا

فكُلُّكُمْ (مُصْطَفى) لو سارَ سِيرَتَه * وكُلُّكُمْ (كامِلٌ) لو جازَهُ السَّأَمُ (٣)

قد كان لا وانِيًا يوماً ولا وَكِلاً * يَسْتَقْبِلُ الخَطْبَ بَسَّامًا ويَقْتَحِمُ (٤)

وأنتَ ياقَبْرُ قـد جِئْنا على ظَمَإٍ * فجُدْ لَنا بجَوابٍ، جادَكَ الدِّيَمُ (٥)

أينَ الشَّبابُ الّذى أُودَعْتَ نَضْرَتَه * أينَ الخِلالُ ــ رَعاكَ اللهُ ــ والشِّيَمُ؟ (٦)

وما صَنَعْتَ بآمالٍ لنا طُوِيَتْ * ياقَبْرُ فيكَ وعَفَّى رَسْمَها القِدَمُ؟ (٧)

أَلَا جَوابٌ يُرَوِّى مِنْ جَوانِحنا * ما لِلقُبُورِ اذا ما نُودِيَتْ تَجِمُ؟ (٨)

نَمْ أنتَ، يَكْفِيكَ ماعانَيْتَ مِنْ تَعَبٍ * فنحن فى يَقْظَةٍ والشَّمْلُ مُلْتَئِمُ

هٰـذا (لِواؤُكَ) خَفّاقٌ يُظَلِّلُنا * وذاكَ شَخْصُكَ فى الأَكْبادِ مُرْتَسِمُ

---

(١) واليت منبته، أى لم تقطع عن تعهده . والنسم (محركة) والنسيم : (كلاهما) نفس الريح؛ وقيل : النسم أول هبوبها . «وبخير ما والت» الخ، أى بأحسن ما تمدّ الشمس والنسيم حياة النبات .

(٢) البواسق : ماطال وارتفع من الأشجار . والرغم (بالسكون، وحرك وسطه للضرورة) : التراب . ولأنفه الرغم : كناية عن الذلة والمهانة . (٣) جازه : جاوزه . (٤) الوكل (محركة) : العاجز الذى يكل أمره إلى غيره . (٥) الديم : جمع ديمة، وهى السحابة التى يدوم مطرها فى سكون بلا رعد ولا برق؛ ويقال : جادته الديم، إذا أصابته بغزير مائها . وهو كناية عن الدعاء بالخير والنعيم .

(٦) الخلال : الخصال . (٧) الرسم : مابقى من آثار الديار . وعفاه القدم : محاه وطمس آثاره

(٨) وجم يجم : سكت عن الكلام وعجز من كثرة الغم .

رثاء تولستوى (١)

[نشرت فى نوفمبر سنة ١٩١٠ م]

رَثاكَ أَميرُ الشِّعْرِ فى الشَّرْقِ وانْبَرَى * لَمَدْحِكَ مِنْ كُتَّابِ مِصْرَ (٢) كَبِيرُ

ولَسْتُ أُبالِي حِينَ أَرْثِيكَ بَعْدَه * إذا قِيلَ عَنِّى قَدْ رَثاهُ صَغِير

فقد كنتَ عَوْنًا للضَّعِيفِ وإنّنى * ضَعِيفٌ ومالِى فى الحَياةِ نَصِير

ولَسْتُ أُبالِي حِينَ أَبْكِيكَ لِلوَرَى * حَوَتْكَ جِنانٌ (٣) أَمْ حَواكَ سَعِير

فإنِّى أُحِبُّ النّادِبِينَ لِعِلْمِهِمْ * وأَعْشَقُ رَوْضَ الفِكْرِ وهوَ نَضِير

دَعَوْتَ الى عِيسَى فَضَجَّتْ كَنائِسٌ (٤) * وهُنَّ لها عَرْشٌ ومادَ سَرِير

وقال أُناسٌ إنّهُ قَوْلُ مُلْحِدٍ * وقال أُناسٌ إنّه لَبَشِير

---

(١) ولد تولستوى الفيلسوف الروسى المشهور فى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٢٨ م . وقد عاش فى أملاكه يزرعها ويقسم ماتغله بينه وبين فلاحيه ، ثم وزعها بينهم على الرغم من معارضة ذويه له . ومن كتبه : (الحرب والسلام) و(أين المخرج) . وله من الروايات المشهورة : (البعث) و(القيامة) . وأتم فى آخر حياته بالخروج على الكنيسة ، فحكمت بكفره ، وكانت وفاته فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٢) يريد « بأمير الشعر » : المرحوم أحمد شوقى بك ، وله فى رثاء تولستوى قصيدة مطلعها :

« تلستو » تجرى آية العلم دمعها * عليك ويبكى بائس وفقير

ويريد « بالكاتب الكبير » : الأستاذ أحمد لطفى السيد وقد رثى تولستوى بكلمة صدرها الجريدة ، وعنوانها : (مات الرجل) نشرت فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٣) « حوتك جنان » الخ ، أى أنه لا يبالى حين يرثيه أكان الفقيد مؤمنا أم كافرا .

(٤) ماد : اضطرب .

ولَوْلَا حُطامٌ رَدَّ عنـكَ كِيادَهُـــمْ * لَضِـقْتَ بـه ذَرْعًا وساءَ مَصِـيرُ (١)

ولكنْ حَماكَ العِـلْمُ والرأْىُ والحِجـا * ومالٌ — اذا جَدَّ النِّزالُ — وَفِير

إذا زُرْتَ رَهْنَ المَحْبَسَين بحُفْـرَةٍ * بهـا الزُّهْـدُ ثاوٍ والذَّكاءُ سَـتِير (٢)

وأَبْصَرْتَ أُنْسَ الزُّهْدِ فى وَحْشَةِ البِلَى * وشاهَدْتَ وَجْهَ الشَّيْخِ وهو مُنِـير (٣)

وأَيْقَنْتَ أَنَّ الدِّينَ لِلّٰهِ وَحْـدَه * وان قُبُـورَ الزَّاهِـدِين قُصُـور

فقِفْ ثمّ سَلِّمْ واحتَشِمْ إنّ شَـيْخَنا * مَهِيبٌ على رَغْـمِ الفَنـاءِ وَقُـور (٤)

وسائـلْه عمّـا غابَ عَنْـكَ فإنّـه * عَلِـيمٌ بأَسْـرارِ الحَيـاةِ بَصِـير

يُخَـبِّرُكَ الأَعْمَى وإنْ كنتَ مُبْصِرًا * بمـا لَمْ تُخَـبِّرْ أَحْرُفٌ وسُـطُور

كأنّى بسَـمْعِ الغَيْبِ أَسْمَـعُ كُلَّ مَا * يُجِيبُ بـه أسـتاذُنا ويُجِـير (٥)

يُنـاجِكَ : أَهْلًا بالّذى عاشَ عَيْشَنا * ومات ولَمْ يَـدْرُجْ اليـه غُرُور (٦)

قَضَيْتَ حَيـاةً مِلْؤُها البِـرُّ والتُّقَى * فأنتَ بأَجْـرِ المُتَّقِينَ جَـدِير

وسَمَّوْكَ فيهـمْ فَيْلَسُـوفًا وأَمْسَكُوا * وما أنتَ إلا مُحْسِنٌ ومُجِـير

وما أنتَ إلّا زاهِـدٌ صاحَ صَـيْحَةً * يَرِنُّ صَـداهَا ساعَـةً ويَطِـير

---

(١) الحطام : المـال . والكِياد : المكايدة . يشير الى ثروة تولستوى التى كان يملكها ثم نزل عنها بعد وفرقها بين الفقراء . وقد ذكر ذلك فى ترجمته .

(٢) رهن المحبسين ، هو أبو العلاء المعرّى ، سمى نفسه به ، وكان لزم بيته فلم يخرج منه مطلقا ، فأراد بأحد المحبسين : البيت . وبالآخر : العمى . وثاو : مقيم . وستير ، يريد أنه مستور ، بمعنى مدفون .

(٣) يريد «بالشيخ» : أبا العلاء .

(٤) الاحتشام : الحياء .

(٥) أحار الجواب يحيره : ردّه .

(٦) عيشنا ، أى عيش الزاهدين . ويدرج : يمشى .

سَلَوْتَ عن الدُّنيا ولكنّهمْ صَبَوْا * إليها بما تُعْطيهمُ وتُمَيِّر (١)

حَيَاةُ الورَى حَرْبٌ وأنتَ تُريدها * سَلاماً وأَسْبابُ الكِفاحِ كَثِير

أَبَتْ سُنّةُ العُمْرانِ إلّا تَناكُرًا * وكَدْحًا ولو أنّ البَقاءَ يَسِير

تُحاوِلُ رَفْعَ الشَّرِّ والشرُّ واقِعٌ * وتَطْلُبُ مَحْضَ الخَيْرِ وهو عَسِير

ولولا امْتِزاجُ الشَّرِّ بالخَيْرِ لَمْ يَقُمْ * دَلِيلٌ على أنّ الإلٰهَ قَدِير

ولم يَبْعَثِ اللهُ النَّبِيِّينَ للهُدَى * ولَمْ يَتَطَلَّعْ للسَّرِيرِ أَمِير

ولَمْ يَعْشَقِ العَلْياءَ حُرٌّ ولَمْ يَسُدْ * كَرِيمٌ ولَمْ يَرْجُ السُّرَاءَ فَقِير

ولو كانَ فِينا الخَيْرُ مَحْضًا لَمَا دَعَا * (٢) الى اللهِ داعٍ أو تَبَلَّجَ نُور

ولا قِيلَ هٰذا فَيْلَسُوفٌ موفَّقٌ * ولا قِيلَ هٰذا عالِمٌ وخَبِير

فكَمْ فِي طَرِيقِ الشرِّ خَيرٍ ونِعْمَةٍ * (٣) وكَمْ فِي طَرِيقِ الطَّيِّباتِ شُرُور

أَلَمْ تَرَ أَنِّي قُمْتُ قَبْلَكَ داعِيًا * (٤) الى الزُّهْدِ لا يَأْوِي الى ظَهِير

أَطاعُوا (أَبِيقُورًا) و(سُقْراطَ) قَبْلَه * (٥) وخُولِفْتُ فيما أَرْتَئِي وأُشِير

---

(١) صبا : مال وحن . وتميرهم : تأتيهم بالميرة ، وهي الطعام .

(٢) تبلج ، أشرق . (٣) يلاحظ أن الرفع في قوله «شرور» آخر البيت لضرورة حركة الروى ، وإلا فالوجه نصبه على الأرجح ، للفصل بينه وبين « كم » الخبرية بجار ومجرور : أوجره ، على مذهب بعض النحويين . (٤) الظهير : المعين . (٥) ولد ابيقور الفيلسوف الإغريقي سنة ٣٤٢ ق م في جزيرة ساموس ، وأسس في أثينا مدرسة في حديقة منزله . وتوفي سنة ٢٧٠ ق م . واشتهر بدعوته إلى طلب اللذات في الحياة ، وأخطأ الناس فهمها من فلسفته الإباحية المطلقة . وسقراط : فيلسوف يوناني معروف ، عاش من سنة ٤٦٨ ق م الى سنة ٤٠٠ ق م . ولم يعرف مذهبه في اللذة بالضبط ، من أجل ذلك وجدت مذاهب مختلفة بعده تنسب اليه ، منها مذهب اللذة .

ومِتّ وما ماتَتْ مَطامِعُ طامِعٍ * عليها ولا أَلْقَى القِيادَ ضَمِيرُ

إذا هُدِمَتْ للظُّلْمِ دُورٌ تَشَيَّدَتْ * له فَوْقَ أَكْتَافِ الكَواكِبِ دُورُ

أفاضَ كِلَانا فى النَّصيحَةِ جاهِدًا * وماتَ كِلانا والقُلُوبُ صُخُورُ

فكَمْ قِيلَ عَنْ كَهْفِ المَساكِينِ باطِلٌ * وكَمْ قِيلَ عَنْ شَيْخِ (المَعَرَّةِ)(٢) زُورُ

وما صَدَّ عَنْ فِعْلِ الأَذَى قَوْلُ مُرْسَلٍ * وما راعَ مَفْتُونَ الحَياةِ نَذِيرُ(٣)

رثاء رياض باشا(٤)

أنشدها على قبره فى حفل الأربعين

[نشرت فى ٢٩ يوليه سنة ١٩١١ م]

(رِياضُ) أَفِقْ مِنْ غَمْرَةِ المَوْتِ واسْتَمِعْ * حَدِيثَ الوَرَى عَنْ طِيبِ ما كُنْتَ تَصْنَعُ(٥)

أَفِقْ واسْتَمِعْ مِنِّى رِثاءً جَمَعْتُهُ * تُشارِكُنى فيهِ البَرِيَّةُ أَجْمَعُ

لِتَعْلَمَ ما تَطْوِى الصُّدُورُ مِنَ الأَسَى * وتَنْظُرَ مَقْرُوحَ الحَشَا كيفَ يَجْزَعُ

---

(١) عليها ، أى على الأرض . وإلقاء القياد : كناية عن الإذعان والطاعة . والقياد بالكسر : الحبل يقاد به .

(٢) كهف المساكين : ملجؤهم . ويريد به هنا : تولستوى . وشيخ المعرة ، هو أبو العلاء المعرى السابق ذكره . ويريد بهذا البيت . أن كلا الرجلين قد اتهم بما ليس فيه ، ورماه الناس فى عقيدته ومذهبه بما هو برىء منه .

(٣) راعه : أفزعه . والمفتون : المخدوع .

(٤) كان رياض باشا من رجال عباس باشا الأول ، وتولى عدة مناصب عالية فى عهد إسماعيل وتوفيق وعباس الثانى ، وأسندت اليه رآسة مجلس النظار ثلاث مرات ، وترك الحكم فى ١٤ أبريل سنة ١٨٩٤ م ، وتوفى بالأسكندرية فى ١٧ يونيه سنة ١٩١١ وكان معروفا بالعدل والشدة فى تنفيذ الأحكام ، وكانت له أياد بيضاء فى تنظيم شؤون الداخلية .

(٥) الغمرة : الشدة .

لئن تَكُ قد عُمِّرْتَ دَهْرًا لقد بَكَى * عليْكَ مَعَ الباكى خَلائِقُ أَرْبَعُ:
مَضاءٌ وإقْدامٌ وحَزْمٌ وعَزْمَةٌ * مِنَ الصّارِمِ المَصْقُولِ أَمْضَى وأَقْطَعُ (١)
رُحِمْتَ، فما جاهٌ يُنَوِّهُ فى العُلا * بصاحِبِهِ إلّا وجاهُكَ أَوْسَعُ (٢)
ولا قامَ فى أَيّامِكَ البِيضِ ماجِدٌ * يُنازِعُكَ البابَ الّذى كنتَ تَقْرَعُ
إذا قِيلَ: مَنْ للرَّأْى فى الشَّرْقِ أَوْمَأَتْ * إلى رَأْيِكَ الأَعْلَى مِنَ الغَرْبِ أَصْبُعُ (٣)
وإنْ طَلَعَتْ فى (مِصْرَ) شَمْسُ نَباهَةٍ * فمِنْ بَيْتِكَ المَعْمُورِ تَبْدو وتَطْلُعُ
حَكَمْتَ فما حَكَّمْتَ فى قَصْدِكَ الهَوَى * طَرِيقُكَ فى الإنْصافِ والعَدْلِ مَهْيَعُ (٤)
وقد كنتَ ذا بَطْشٍ ولكنْ تَحَتَّهُ * نَزاهَةُ نَفْسٍ فى سَبِيلِكَ تَشْفَعُ (٥)
وَقَفْتَ (لإسماعيلَ) والأمرُ أَمْرُهُ * وفى كَفِّهِ سَيْفٌ مِنَ البَطْشِ يَلْمَعُ (٦)
إذا صَاحَ لَبّاهُ القَضاءُ وأَسْرَعَتْ * إلى بابِهِ الأيّامُ، والناسُ خُشَّعُ
يُذِلُّ — إذا شاءَ — العَزِيزَ وتَرْتَئِي * إرادَتُهُ رَفْعَ الذَّلِيلِ فيُرْفَعُ
ففى كَرَّةٍ مِنْ لَحْظِهِ وهوَ عابِسٌ * تُدَكُّ جِبالٌ لَمْ تَكُنْ تَتَزَعْزَعُ (٧)

---

(١) الصارم المصقول: السيف المجلو. (٢) نوّه به: رفع ذكره.
(٣) أومأت: أشارت. (٤) المهيع من الطريق: البين الواضح.
(٥) يقول: إن ابتعاد الفقيد عما يدنس أرباب الحكم من المظالم كان يشفع له عند الناس اذا أخذهم بالقسوة والعنف فى تنفيذ الأحكام. (٦) يشير الى معارضته (اسماعيل باشا) الخديوى عند ما أراد نفى (اسماعيل باشا صديق)؛ وكان رياض باشا الرجل الوحيد الذى عارض فى هذا النفى، وطلب محاكمته علنا ليعلم جرمه.
(٧) تدك: تهدم.

وفى كرَّةٍ مِنْ لَحْظِه وهـــوَ باسِمٌ * تَسِـــيلُ بِحـارٌ بالعَطاءِ فَتُمْـرِعُ (١)

فما أَغْلَبُ شاكِى العَـــزِيمَةِ أَرْوَعٌ * يُصارِعُه فى الغابِ أَغْلَبُ أَرْوَعُ (٢)

بأَجْرَأَ مِنْ ذاكَ الوَزِيرِ مُصادِماً * إرادةَ (إسْماعيلَ) والمـوتُ يَسْـمَعُ (٣)

وفى الثَّوْرَةِ الكُبْرَى وقد أَحْدَقَتْ بِنـا * صُرُوفُ اللَّيـالِى والمَنِيَّـةُ مَشْرَعُ (٤)

نَظَرْتَ الى (مِصْرٍ) فساءَكَ أَنْ تَرَى * حُـــلاهَا بأَيْدِى المُسْـتَطِيلِينَ تُنْزَعُ (٥)

ولَمْ تَسْتَطِعْ صَـــبْراً على هَتْكِ خِدْرِها * ففارَقْتَها أَسْـــوانَ والقَلْبُ مُوجَـــعُ (٦)

وعُـــدْتَ اليهـا حِينَ ناداكَ نِيلُها : * أَقِلْ عَثْرَتِى فالقَوْمُ فى الظُّلْمِ أَبْدَعُـــوا (٧)

فكنتَ (أبا مَحْمُـودَ) غَوْثًا وعِصْـمَةً * اليـــكَ دُعاةُ الحَـــقِّ تَأْوِى وتَفْـزَعُ (٨)

وكم نابِـغٍ فى أَرْضِ (مِصْرَ) حَمَيْتَـــه * ومِثْـــلُكَ مَن يَحْمِى الكَرِيمَ ويَمْنَـــعُ (٩)

---

(١) تمرع ، أى تفيض بالخصب والخير . (٢) الأغلب : الأسد ، لغلظ رقبته . وشاكى العزيمة ، أى ذو شوكة وحدة فى عزيمته . والأروع : من يعجبك بشجاعته . (٣) والموت يسمع : كناية عن قربه .

(٤) أحدقت بنا : أحاطت . وصروف الليالى : نوائبها . والمشرع : المورد .

(٥) المستطيلون : المتجبرون . (٦) الأسوان : الحزين .

(٧) العثرة : الكبوة والزلة . وإقالتها : إنهاض صاحبها والأخذ بيده . يشير بهذا البيت والأبيات الثلاثة قبله : إلى هجرة الفقيد من مصر إلى أوربا ، عند ما ثار الضباط فى عهد إسماعيل فى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ م ، لأن ناظر المالية إذ ذاك السير (ريفرس ولس) رأى أن يرفت ٢٥٠٠ ضابط على سبيل الاقتصاد من غير أن يدفع لهم المتأخر من مرتباتهم ، فتظاهروا أمام نظارة المالية ، وأوسعوا نوبار باشا رئيس النظار و (ولس) لكما وضربا ، وكادوا ينالون من الفقيد ، وكان وزيرا للداخلية فى هذه الوزارة ؛ وقد بقى الفقيد فى أوربا حتى دعاه المغفور له توفيق باشا لتولى رآسة النظار ، فعاد إلى مصر فى ٣ سبتمبر سنة ١٨٧٩ م . (٨) منع الشاعر (محمودا) من الصرف لضرورة الشعر . (٩) يشير بقوله « وكم نابغ » والأبيات الأربعة الآتية بعد : إلى ترحيب الفقيد وتعضيده للسيد جمال الدين الأفغانى حينما ترك الآستانة إلى مصر سنة ١٨٧١ وإلى ما كانت تمده به حكومة رياض من مساعدة مالية ، ذلك إلى أنها رخصت له فى إلقاء محاضرات فى الأزهر لينشر آراءه ويستفيد الناس من علمه .

رَعَيْتَ (جَمالَ الدِّينِ) ثمّ اصْطَفَيْتَه * فأَصْبَحَ فى أَفْيائِهِ جاهِكَ يَرْتَعُ (١)

وقد كانَ فى دارِ الخلافةِ ثاوِيًا * وفى صَدْرِه كَنْزٌ مِنَ العِلْمِ مُودَعُ (٢)

بَقِيْتَ به والنّاسُ قد طالَ شَوْقُهُمْ * إلى أَلْمَعِيٍّ بالبَراهِينِ يَصْدَعُ (٣)

فَحَرِّكْ مِنَ أَفْهامِهِمْ وعُقُولِهِمْ * وعُودَهُمُ ذاكَ الذَّكاءُ المُضَيَّعُ

ووَلَّيْتَ تَحْرِيرَ الوَقائِعِ (عَبْدَهُ) * فجاءَ بما يَشْفِى الغَلِيلَ ويَنْقَعُ (٤)

وكانَتْ لِرَبِّ النّاسِ فيه مَشِيئَةٌ * فأَمْسَتْ إليه النّاسُ فى الحَقِّ تَرْجِعُ (٥)

وجاءُوا (بإبراهيمَ) فى القَيْدِ راسِفًا * عليه مِنَ الإِمْلاقِ ثوبٌ مُرَقَّعُ (٦)

فأَنْفَيْتَ مِلْءَ الثَّوْبِ نَفْسًا طَمُوحةً * الى المَجْدِ مِنْ أَطْمارِها تَتَطَلَّعُ (٧)

فأَطْلَقْتَه مِنْ قَيْدِه وأَقَلْتَه * وما كانَ فى تِلْكَ السَّعادَةِ يَطْمَعُ

وكَمْ لك فى (مِصْرٍ) وفى (الشَّأْمِ) مِنْ يَدٍ * لها أينَ حَلَّتْ نَفْحَةٌ تَتَضَوَّعُ (٨)

---

(١) الأفياء : الظلال ؛ الواحد فىء .

(٢) ثاويا : مقيما .

(٣) الألمعى ، الذكى المتوقد . و يصدع بالبراهين : يجهر بها . (٤) عبده ، أى الشيخ محمد عبده ، وكان رياض باشا قد عهد إليه فى سنة ١٨٨٠ م بالإشراف على تحرير الوقائع المصرية حيث خصص فيها قسم للحركة الأدبية والعمرانية . والغليل : شدة العطش . وينقعه : يرويه .

(٥) أى وكانت لله مشيئة فى أن يكون الشيخ محمد عبده عظيم القدر ، موئلا للحق .

(٦) يريد بابراهيم : ابراهيم الهلباوى بك المحامى المعروف . و يشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى ما كان من طعن الهلباوى على الحكومة والمجىء به متهما أمام رياض باشا ، فأنس منه رياض ما مر به فعفا عنه ، وتولاه برعايته . (٧) نفسا طموحة ، أى مستشرفة إلى معالى الأمور ، متطلعة إليها . والمسموع ، طموح ، بلا تاء فى آخره ، للذكر والمؤنث . والأطمار : الخلق من الثياب ؛ الواحد طمر (بالكسر) . (٨) تتضوع : تنتشر رائحتها .

رَفَعْتَ عن الفَـلّاحِ عِبْءَ ضَرِيبَـةٍ * يَنُـوءُ بِهـا أَيّامَ لا غَوْثَ يَنْـفَعُ (١)

وأَرْهَبْتَ حُكّامَ الأقالِـيمِ فارْعَـوَوْا * وكانُوا أُناسًا فى الجَهالَةِ أَوْضَـعُوا (٢)

نخافُـوكَ حتّى لو تَنـاجَوْا بِنَجْـوَةٍ * لخالُوا (رِياضًـا) فوقَهُـمْ يَتَسَـمَّعُ (٣)

أَقَمْتَ عليهِـمْ زاجِرًا مِنْ نُفُوسِهِـمْ * اذا سَـوَّلَتْ أَمْرًا لهُـمْ قامَ يَرْدَعُ (٤)

سَـلِ النّاسَ أيّامَ الرُّشـا مُسْتَفِيضَةٌ * وأيّامَ لا تَجْـنِي الّـذى أنتَ تَزْرَعُ (٥)

أكانَ (رِياضٌ) عنهُـمُ غيرَ غافِلٍ * يَرُدُّ الأَذَى عن أهلِ (مِصْرَ) ويَدْفَـعُ

(أُمُؤْتَمَرَ الإصْلاحِ) والعُرْفِ، قد مَضَى * (رِياضٌ) وأَوْدَى الـوازِعُ المُتَـوَرِّعُ (٦)

وكانَ عَـلَى كُرْسِـيِّه خـيرَ جالِسٍ * لَهَيْبَتِـه تَعْنُـو الوُجُـوهُ وتَخْشَـعُ (٧)

فيـا وَيْلَنا إنْ لَمْ تَسُـدُّوا مَكانَه * بِـذِى مِرَّةٍ فى الخَطْبِ لا يَتَضَعْضَعُ (٨)

---

(١) العب، : الحمل . وينوء بها : لم يستطع حملها والنهوض بها . والغوث : المعين والناصر . ويشير إلى الفقيد رياض باشا ببعض الضرائب ، وكان مجموع ما ألغى منها أربعا وعشرين ضريبة ، منها عوائد الجمارك الداخلية التى كان يتضجر منها الفلاحون ، والضريبة الشخصية ، وضريبة الوزن .

(٢) ارعوى : كف وانتهى . وأرضعوا فى الجهالة ، أى انغمسوا فيها واسترسلوا .

(٣) تناجوا : تسارّوا . والنجوة : ما ارتفع من الأرض . يريد المكان البعيد عن الرقباء .

(٤) يردع : يزجر .

(٥) الرشا : جمع رشوة (بتثليث الراء) ، وهى معروفة « وأيام لا تجنى » الخ ، أى أيام كان يحرم العامل ثمرة عمله .

(٦) يشير الى أثر الفقيد فى مؤتمر الإصلاح الذى انعقد فى سنة ١٩١١م ، وتوالت جلساته خمسة أيام . وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولهما النظر فى حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية . والثانى الردّ على مطالب الأقباط التى طلبوها فى مؤتمرهم المنعقد بأسيوط قبل ذلك فى ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان الفقيد رئيسا لهذا المؤتمر الإسلامى ، أو المؤتمر المصرى . وأودى : هلك . والوازع : الزاجر . والمتورّع : المنحرج .

(٧) تعنو : تذل وتخضع .

(٨) المرّة : القوة والعزيمة .

بَعِيدِ مَرامِ الفِكْرِ أمَّا جَنانُه * فَرَحْبٌ ، وأمَّا عِزُّهُ فمُمَنَّعُ (١)

فَيا ناصِرَ المُسْتَضْعَفِينَ إذا عَدَا * عليهِمْ زَمانٌ بالعَداوَةِ مُولَعُ (٢)

عَلَيكَ سَلامُ اللهِ ما قامَ بَيْنَنا * وَزيرٌ على دَسْتِ العُلا يَتَرَبَّعُ (٣)

رثاء الشيخ على يوسف صاحب المؤيد (٤)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينه بمنزل السادات

[نشرت فى ٥ ديسمبر سنة ١٩١٣ م]

صُونُوا يَراعَ (عَلِيٍّ) فى مَتاحِفِكُمْ * وشاوِرُوه لَدَى الأَرْزاءِ والنُّوَبِ

وٱسْتَلْهِمُوه إذا ما الرَّأْيُ أَخْطَأَكُمْ * يومَ النِّضالِ عن الأَوْطانِ والنَّشَبِ (٥)

قد كانَ سَلْوَةَ (مِصْرٍ) فى مَكارِهِها * وكانَ جَمْرَةَ (مِصْرٍ) ساعَةَ الغَضَبِ

فى شِقِّه ومَراميهِ ورِيقَتِه * ما فى الأَساطِيلِ مِنْ بَطْشٍ ومِنْ عَطَبِ (٦)

كم رَدَّ عَنّا وعَيْنُ الغَرْبِ طامِحَةٌ * مِن الرَّزايا وكَمْ جَلَّى مِنَ الكُرَبِ (٧)

---

(١) الجنان : القلب . (٢) مولع : مغرم . (٣) الدست : المجلس .

(٤) ولد الشيخ على يوسف الكاتب المعروف صاحب المؤيد فى بلصفورة من أعمال مديرية جرجا ، وحفظ القرآن ، وتلقى مبادئ العلوم فى بلدة بنى عدى من أعمال منفلوط ، ثم أرسل الى الأزهر فتعلم فيه بعض علوم اللغة والدين ، وأنشأ جريدة المؤيد ، ظهر أول عدد منها فى ديسمبر سنة ١٨٨٩ م ، وكان المرحومان رياض باشا وسعد زغلول باشا من أكبر أنصاره على القيام بعبء هذه الصحيفة ؛ وتوفى فى سنة ١٩١٣ م ، وكان كاتبا معروفا بالجدل وقوة الحجة ، وتولى مشيخة سجادة الوفائية .

(٥) النشب : المال . (٦) ريقة القلم : مداده . والعطب : الهلاك .

(٧) جلى : كشف .

له صَـــرِيرٌ اذا جَـــدَّ الـــتِّزالُ به * يُنْسِى الكُماةَ صَلِيلَ البِيضِ والقُضُبِ (١)

ما ضَرَّ مَنْ كان هٰـــذا فى أَنامِلِه * أنْ يَشْهَدَ الحَرْبَ لم يَسْكُنْ الى يَلَبِ (٢)

فـلو رآهُ (ابْنُ أَوْسٍ) ما قَرَأْتَ له: * (السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنباءً مِن الكُتُبِ) (٣)

أَلا فَـــتًى عَربِىٌّ يَسْـــتَقِلُّ بـــه * بعـــدَ الفَقِيدِ ويَحْمِى حَـوْزَةَ الأَدَبِ

ويَمْنَـعُ الحَقَّ أَنْ يُغْشِى تَبَلُّجَه * ما فى السِّياسَةِ مِنْ زُورٍ ومِنْ كَذِبِ (٤)

أَوْدَى فَتَى الشَّرْقِ، بل شَيْخُ الصَّحافَةِ بَلْ * شَـــيْخُ الوَفائِيّـــةِ الوَضّاحَةِ الحَسَبِ

أَقامَ فِينَـا عِصَامِيًّـا فعَلَّمَنـا * مَعْنَى الثَّبـاتِ ومَعْنَى الجِدِّ والدَّأَبِ (٥)

ورَاحَ عَنّـا ولَمْ تَبْلُـــغْ عَزائِمُنـا * مَدَى مُنـاها ولَمْ تَقْرُبْ مِنَ الأَرَبِ

قالوا عَجِبْنـا لِمِصْرٍ يومَ مَصْـــرَعِهِ * وقد عَجِبْتُ لهم مِنْ ذٰلك العَجَبِ (٦)

---

(١) صرير القلم : صوته فى الكتابة . وصليل البيض والقضب : أصوات السيوف . والكماة : الشجعان ؛ الواحد كمى . (٢) اليلب : الدروع من الجلود . يريد أن من كان هذا القلم من أسلحته شهد الحروب بغير درع يقيه أسلحة الأبطال ، وحسبه هذا القلم وقاية له . (٣) يريد حبيب بن أوس الطائى المعروف بأبى تمام . والشطر الثانى من هذا البيت هو صدر بيت له من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله الخليفة العباسى حين فتح عمورية ، وعجز البيت :

* فى حده الحد بين الجد واللعب *

فحافظ يقول : إن أبا تمام لو رأى هذا القلم لعرف فضله على السيف .

(٤) يغشى تبلجه ، أى يحجب إشراقه . (٥) العصامى : الذى ساد بنفسه لا بآبائه ، نسبة الى عصام الذى يقول فيه الشاعر :

* نفس عصام سوّدت عصاما *

والدأب فى العمل : الاستمرار عليه والاجتهاد فيه . (٦) قالوا عجبنا ... الخ ، أى عجبنا لأهل مصر فى تلقيهم نعى الفقيد فى فتور وقلة اكتراث .

إنّ الأُلَى حَسِبُوها غيرَ جازِعَةٍ * لا يَنْظُرونَ إلى الأَشْياءِ مِنْ كَثَبِ (١)

تاللهِ ما جَهِلَت فيه مُصيبَتَها * ولا الذى فَقَدَتْ مِنْ كاتِبِ العَرَبِ

لكنّها أَلِفَتْ والأَمرُ يَحْزُبُها * فَقْدَ الرِّجالِ ومَوْتَ السّادةِ النُّجُبِ (٢)

وعَلَّمَتْها اللّيالى أَنْ تُصابِرَها * فى الحادِثاتِ وإنْ أَمْعَنَّ فى الحَرَبِ (٣)

كم أَرْجَفُوا بَعْدَ مَوْتِ الشَّيْخِ وارْتَقَبُوا * مَوْتَ (المُؤَيَّدِ) فينا شَرَّ مُرْتَقَبِ (٤)

وإنْ يَمُتْ تَمُتِ الآمالُ فى بَلَدٍ * لولا (المُؤَيَّدُ) لَمْ يَنْشَطْ إلى طَلَبِ

صُبابَةٌ مِنْ رَجاءٍ بين أَضْلُعِنا * قد باتَ يَرْشُفُ منها كلُّ مُغْتَصَبِ (٥)

ألَمْ يَكُنْ لبَنِى (مِصْرٍ) وقد دُهِمُوا * مِنْ ساسَةِ الغَرْبِ مِثْلَ المَعْقِلِ الأَشَبِ (٦)

كم أَنبَرَتْ فيه أَقْلامٌ وكم رُفِعَتْ * فيه مَنائِرُ مِنْ نَظْمٍ ومِنْ خُطَبِ

وكان مَيْدانَ سَبْقٍ للأُلَى غَضِبُوا * للدِّينِ والحَقِّ مِنْ داعٍ ومُحْتَسِبِ

فكم يَراعٍ حَكِيمٍ فى مَشارِعِه * قد الْتَقَى بيَراعِ الكاتِبِ الأَرِبِ (٧)

---

(١) الكثب (بالتحريك) : القرب . أى لا ينظرون الأمور على حقائقها .

(٢) حزبه الأمر : اشتد عليه وضغطه .

(٣) الحرب (بالتحريك) : اشتداد الغضب . (٤) أرجف القوم : خاضوا فى الأخبار السيئة على أن يوقعوا بين الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شىء . (٥) الصبابة : البقية . يقول : ان المؤيد بقية من رجاء وعزاء يلوذ بها كل مغصوب الحق . (٦) الضمير فى « يكن » للمؤيد . والمعقل : الحصن . والأشب : الممتنع بما حوله من السياج والسلاح ، وهو من قولهم : شجر أشب ، أى ذو شوك مشتبك بعضه ببعض .

(٧) المشارع : المناهل ، الواحد مشرع (بفتح الميم والراء) . والأرب : البصير الفطن .

أَىُّ الصَّحائِفِ فى القُطْرَيْنِ قد وَسِعَتْ * رَدَّ (الإمامِ)[1] مُزِيلِ الشَّكِّ والرِّيَبِ

أيّامَ يَحْصِبُ (هانُوتُو) بفِرْيَتِه * وَجْهَ الحَقِيقَةِ والإسْلامُ فى نَحَبِ[2]

مالى أُعَدِّدُ آثارَ الفَقِيدِ لَكُمْ * والشرقُ يَعْرِفُ رَبَّ السَّبْقِ والغَلَبِ

لولا (المُؤَيَّدُ) ظَلَّ المُسْلِمُون على * تَناكُرٍ بينهمْ فى ظُلْمَةِ الحُجُبِ

تَعارَفُوا فيه أَرْواحًا وصَمَّمَهُمُ * رَغْمَ التنائِى زِمامٌ غيرُ مُنْقَضِبِ[3]

فى مِصْرَ فى تُونُسٍ فى الهِنْدِ فى عَدَنٍ * فى الرُّوسِ فى الفُرْسِ فى البَحْرَيْنِ فى حَلَبِ

هٰذا يَحِنُّ إلى هٰذا وقد عُقِدَتْ * مَوَدَّةٌ بينهمْ مَوْصُولَةُ السَّبَبِ

(أبا بُثَيْنَةَ) نَمْ يَكْفِيكَ ما تَرَكَتْ * فينا يَداكَ وما عانَيْتَ مِنْ تَعَبِ

جاهَدْتَ فى اللهِ والأَوْطانِ مُحْتَسِبا * فارْجِعْ إلى اللهِ مَأْجُورًا وفُزْ وطِبِ

واحْمِلْ يُمْناكَ يومَ النَّشْرِ ما نَشَرَتْ * تلك الصَّحِيفةُ فى دُنْياكَ وانْتَسِبِ[4]

---

(١) يريد «بالإمام» : الشيخ محمد عبده . ويشير إلى ردّه على هانوتو الذى نشره فى صحيفة المؤيد .

(٢) يحصب : يرمى . والفرية : الكذبة . والنحب (بسكون الحاء، وفتحها هنا لضرورة الوزن) : أشد البكاء .

(٣) التنائى : التباعد . ومنقضب : منقطع .

(٤) وانتسب، أى انتسب إلى تلك الصحيفة فهى حسبك من نسب .

رثاء على أبى الفتوح[1] باشا

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينه فى الجامعة

[نشرت فى ٩ فبراير سنة ١٩١٤ م]

جَلَّ الأَسَى فَتَجَمَّلِي * واذا أَبَيْتِ فأَجْمِلِي[2]

يامِصْرُ قد أَوْدَى فَتًى * لكِ ولا فَتًى إلّا (عَلِي)

قد ماتَ نابِغَةُ القَضا * ءِ وغابَ بَدْرُ المَحْفِلِ

وعَدَا القَضاءُ على القَضا * ءِ فصابَه فى المَقْتَلِ[3]

حَلّالُ عَقْدِ المُعْضِلا * تِ قَضَى بِداءٍ مُعْضِلِ

وَيْحَ الكِنانَةِ مالَها * فى غَمْرَةٍ[4] لا تَنْجَلِي

باتَتْ وكارِثَةٌ تَمُرُّ بِها * وكارِثَةٌ تَلِي

يازَهْرَةَ الماضِى ويا * رَيْحانَةَ المُسْتَقْبَلِ

كُنّا نُعِدُّكَ للشَّدا * ئِدِ فى الزّمانِ المُقْبِلِ

---

(١) على أبو الفتوح باشا : هو ابن أحمد أبو الفتوح باشا . ولد ببلقاس من أعمال الغربية فى سنة ١٨٧٣ م وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر سافر الى أوربا لتلقى علوم القانون بكلية مونبلييه بفرنسا ، ولبث فيها ثلاث سنوات نال بعدها شهادة الليسانس ، وقد شهد له أساتذته فى تقريراتهم الرسمية بأنه يكتب اللغة الفرنسية كأحد أبنائها . وكان ينشر بعض المباحث فى المجلات الفرنسية ، وعاد الى مصر فى سنة ١٨٩٥ م . وآخر منصب تولاه فى الحكومة المصرية وكالة المعارف فى ٥ أبريل سنة ١٩١٠ م ، وتوفى فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٣ م .

(٢) تجمل ، أى لا تظهرى الجزع . وأجملى ، أى ارفقى ، يخاطب مصر .

(٣) يريد « بالقضاء » الأول : الموت ، وبالثانى : الفصل فى الخصومات .

(٤) الغمرة : ما يغمر الناس ، أى يشملهم من الخطوب والأرزاء .

يا لابسَ الخُلُقِ الكَرِيـ * ـمِ المُطْمَئِنِّ الأَمْثَـلِ

فارَقْتَنَا فى حِينِ حا * جَتِنَا ولَمْ تَتَمَهَّـلِ

(١)
يا رامِيًـا صَدْرَ الصِّعا * بِ رَماكَ رامِى الأَجْدَلِ

(٢)
يا حافِظًا غَيْبَ الصَّدِيـ * ـقِ ويا كَرِيمَ المَقْـوَلِ

(٣)
أَىُّ المَحـامِدِ غَضَّـةٌ * بِحُـلالِكَ لَمْ تَتَجَمَّـلِ

(٤)
تَلْهُـو لِداتُكَ بالصِّبا * لَهْـوًا وأنتَ بمَعْـزِلِ

تَسْـعَى وَراءَ البـاقِيا * تِ الصالِحاتِ وتَعْتَلِى

(٥)
بينَ المَحـابِرِ والدَّفا * تِرِ دائِبًـا لا تَأْتَـلِى

أَدْرَكْتَ عِـلْمَ الآخِرِيـ * ـنَ وحُزْتَ فَضْلَ الأَوَّلِ

(٦)
أَدْنَى مَرامِكَ هِمَّـةٌ * فـوقَ السِّماكِ الأَعْزَلِ

وأَجَلُّ قَصْدِكَ أَنْ تَرَى * (مِصْرًا) تَسُودُ وتَعْتَـلِى

(٧)
دَرَجَ الأَحِبَّـةُ بَعْدَ ما * تَرَكُوا الأَسَى والحُزْنَ لِى

(٨)
لَمْ يَحْـلُ لى مِنْ بَعْدِهِمْ * عَيْشٌ ولَـمْ أَتَعَـلَّلِ

---

(١) الأجدل : الصقر ، وهو معروف بالحـذر والحرص . يقول : أصابك الموت الذى يصيب أشدّ المخلوقات حذرا وحرصا .

(٢) المقول : اللسان .

(٣) الغضة : الناضرة .

(٤) لداتك : من ولدوا معك .

(٥) لاتأتلى : لاتقصر .

(٦) السماك : اسم يطلق على نجمين نيرين ، وهما الأعزل والرامح ، وسمى أعزل ، لأنه لا شىء بين يديه من الكواكب ؛ وهو من منازل القمر ؛ والرامح ليس من منازله .

(٧) درج الأحبة : ذهبوا ومضوا .

(٨) أتعلل : أتشاغل وأتلهى .

لى كلَّ عامٍ وقْفَـةٌ * حَرَّى على مُـتَرَحِّلِ
أَبْكِى بُكاءَ الثّـاكِلا * تِ وأَصْطَلِى ما أَصْطَلِى (١)
لَمْ يُبْقِ لى يَـوْمُ الفَقِيـ * ـدِ عَزِيمَـةً لَمْ تُفْـلَلِ
يومٌ عَبُوسٌ قـد مَضَى * بِفَـتًى أَغَرَّ مُحَجَّـلِ (٢)
مَنْ لَمْ يُشاهِدْ هَوْلَهُ * عنـد القَضـاءِ المُنْزَلِ
لم يَدْرِ ما قَصْمُ الظُّهُـو * رِ ولا انْخِزالُ المَفْصِلِ (٣)
يا قَبْرُ وَيْحَكَ ما صَنَعْـ * ـتَ بِوَجْهِـهِ المُتَهَلِّـلِ
عَفَّسْتَ منـه نَضْرَةً * كانتْ رِياضَ المُجْتَلِى (٤)
وعَبَثْتَ منـه بِطُـرَّةٍ * سَـوْداءَ لَمّـا تَنْصُـلِ (٥)
يا قَبْرُ هَـلْ لَعِبَ البِلَى * بِلِطـافِ تلك الأَنْمُـلِ؟
لَهْفِى عليهـا فى الطُّرُو * سِ تَسِيلُ سَيْلَ الجَدْوَلِ (٦)
لَهْفِى عليهـا فى الحِدَا * لِ تَحُـلُّ عَقْدَ المُشْكِلِ
لَهْفِى عليهـا للـرَّجَا * ءِ وللعُفـاةِ السُّـؤَّلِ (٧)

(١) اصطلى النار : قاسى حرها .
(٢) أغر محجل ، أى مشهور المكانة معروف المنزلة . والأغر والمحجل : اصلهما من صفات الخيل .
(٣) انخزال المفصل : انفصاله . (٤) المجتلى : الناظر المستوضح للأشياء .
(٥) لما تنصل ، أى لم تخرج من لونها بعد ، وهو السواد . يريد أنها لم يدركها الشيب .
(٦) الجدول : النهر الصغير .
(٧) العفاة : طلاب المعروف ؛ الواحد عاف (كقاض) .

يا قَـبْرُ ضَـيْفُكَ بَيْنَنَا * قَـــد كانَ خَيْرَ مُؤَمَّلِ

لَمْ يَنْقَبِضْ كِبْراً بِنَـا * دِيـــه ولَمْ يَتَبَـــذَّلِ

إنِّى حَلَلْتُ رِحابَـــه * فَـــنَزَلْتُ أكرَمَ مَنْزِلِ

ونَهِلْتُ مِنْ أَخْلاقِه (١) * فَوَرَدْتُ أَعْذَبَ مَنْهَلِ

رثاء فتحى وصادق

قالها فى رثاء الطيارين العثمانيين فتحى بك وصادق بك اللذين سقطت بهما الطيارة قرب دمشق ، وكانا يعتزمان الطيران من دمشق إلى القدس ثم إلى مصر ، و يؤمل فيها وصول الطيار الآخر نورى بك سالما

[نشرت فى أول أبريل سنة ١٩١٤م]

أُخْتَ الكَواكِبِ ما رَمَا * كِ وأنتِ رامِيَـــةُ النُّسُـــورِ؟ (٢)

ما ذا دَهاكِ وفَـــوْقَ ظَهْـ * ـرِكِ مَرْبِضُ الأَسَدِ الهَصُورِ؟ (٣)

خَضَعَتْ لإِمْرَتِه الـــرِّيا * حُ مِنَ الصَّبا ومِنَ الدَّبُورِ (٤)

فَغَـــدا يُصَرِّفُ مِنْ أَعِنَّتِها تَصارِيفَ القَـــدِيرِ

(فَتْحى) وهَـــلْ لى إنْ سَأَلْـ * ـتُ عَنِ المُصيبَةِ مِنْ مُجِيرِ؟ (٥)

وَيْلاهُ هَـــلْ جُزْتَ الحُـــدُو * دَ وأنتَ مُخْـتَرِقُ السُّـــتُورِ؟ (٦)

---

(١) نهلت : شربت . (٢) أخت الكواكب ، يخاطب الطائرة .

(٣) مربض الأسد : موضع ربوضه ، أى بروكه . والهصور : الذى يهصر فريسته ، أى يكسرها .

(٤) الصبا : ريح الشمال . والدبور : الريح التى تقابلها . (٥) المجير : المجيب .

(٦) جزت الحدود ... الخ . يقول : هل جاوزت الحدود التى تفصل بين العالمين : عالم السماء وعالم الأرض ، واخترقت الحجب التى بينهما ؟

فـرماكَ حُرّاسُ السّـما * ءِ وتلكَ قاصِمَـةُ الظُّهُـورِ (١)

أمْ غارَ مِنْـكَ السابحَـا * تُ وأنتَ تَسْبَحُ فى الأُثيرِ (٢)

حَسَدَتْكَ حينَ رَأَتْكَ وَحْـ * ـدَكَ ثَمّ كالفَـلَكِ المُنِـيرِ

والعَيْنُ مِثْـلُ السَّهْمِ تَنْـ * ـفُـذُ فى الترائِبِ والنُّحُـورِ (٣)

حاوَلْتَ أنْ تَرِدَ المَجَـرَّةَ والوُرُودُ مِنَ العَسِـيرِ

فـوَرَدْتَ يا (فَتْحى) الحِمـا * مَ وأنْتَ مُنْقَطِـعُ النَّظِـيرِ

وهَـوَيْتَ مِنْ كَبِدِ السَّما * ءِ وهٰكَذا مَهْوَى البُـدُورِ

إنْ كانَ أعْيـاكَ الصُّعو * دُ بذٰلكَ الجَسَـدِ الطَّهُـورِ

فَاسْبَحْ بِرُوحِكَ وَحْـدَها * وَاصْعَدْ إلى المَلِكِ الكَبِيرِ

إنْ راعَنـا صَـوْتُ النَّعِـيِّ وفاتَنـا نَبَـأُ البَشِـيرِ (٤)

فَلَعَـلَّ مَنْ ضَـنَّتْ يَدا * هُ عـلى الكِنانَةِ بالسُّـرُورِ

أنْ يَسْتَجِيبَ دُعاءَهـا * فى حِفْظِ صاحِبِكَ الأَخِـيرِ

باتَتْ تُـراقِبُ فى المَشـا * رِقِ والمَغارِبِ وَجْهَ (نُورِى)

---

(١) يريد بهذا البيت تشبيه بالجن الذين كانوا يسترقون السمع من السماء، فحرقهم بشهبها المرسلة عليهم .

(٢) السابحات : الكواكب . قال تعالى : (والسابحات سبحا) . (٣) يجارى فى هذا البيت ما هو شائع بين الناس من اعتقادهم فى تأثير العين ، وأنها تصيب كما يصيب السهم .

(٤) راعنا : أفزعنا .

رثاء الدكتور شبلى شميـــل (١)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى نادى جمعية الاتحاد السورى فى مساء الأحد

٩ فبراير سنة ١٩١٧ م

سَكَنَ الفَيْلَسُوفُ بَعْدَ اضْطِرابِ * إنّ ذاكَ السُّكُونَ فَصْلُ الخِطابِ

لَقِيَ اللهَ رَبَّه فاتْرُكُوا المَرْ * ءَ لِدَيَّانِه فَسِيحِ الرِّحابِ

حَزِنَ العِلْمُ يومَ مِتَّ ولكنْ * أَمِنَ الدِّينُ صَيْحَةَ المُرْتابِ (٢)

كنتَ تَبْغِى بَرْدَ اليَقِينِ على الأَرْ * ضِ وتَسْعَى وَرَاءَ لُبِّ اللُّبابِ

فاسْتَرِحْ أَيُّها المُجاهِدُ واهْدَأْ * قد بَلَغْتَ المُرَادَ تَحْتَ التُّرابِ

وعَرَفْتَ اليَقِينَ وانْبَلَجَ الحَقُّ لَعَيْنَيْكَ سَاطِعًا كالشِّهابِ (٣)

لَيْتَ شِعْرِى وقد قَضَيْتَ حَيَاةً * بين شَكٍّ وحَيْرَةٍ وارْتيابِ

هل أَتاكَ اليقينُ مِنْ طُرُقِ الشَّكِّ فشَكُّ الحَكِيمِ بَدْءُ الصَّوابِ

كم سَمِعْنا مُسائِلًا قَبْلَ (شِبْلِى) * عاشَ فى البَحْثِ طارِقًا كلَّ بابِ

أَطْلَقَ الفِكْرَ فى العَوالِمِ حُرًّا * مُسْتَطِيرًا يُرِيغُ هَتْكَ الحِجابِ (٤)

---

(١) الدكتور شبلى شميل ، هو الطبيب اللبنانى نزيل مصر ، وكان من أشهر الأطباء . ولد فى نحو سنة ١٨٥٠ م ، فى قرية كفر شيما من قرى ساحل لبنان ، وهى القرية التى ولد فيها الشيخ ناصيف اليازجى . وتعلم العلوم الطبيعية والطب فى كلية الأمريكان ببيروت وأتم علومه فى أوربا . وهو مشهور بمباحثه الطبيعية والاجتماعية العميقة ، وله من الآراء المتعلقة بالعقيدة الدينية ما أنكره الناس عليه ، والى هذا يشير حافظ فى قصيدته تلك . ومن أشهر كتبه : كتاب (النشوء والارتقاء) . وتوفى سنة ١٩١٧ م .

(٢) المرتاب : الشاك فى العقيدة . (٣) ابلج : أضاء وأشرق . (٤) يريغ : يطلب .

يَقْرَعُ النَّجْمَ سائِلًا ثمّ يَرْتَدُّ * الى الأرضِ باحِثًا عن جَوابِ

أَعْجَزَتْه مِنْ قُدْرَةِ اللهِ أَسْبا * بٌ طَواها مُسَبِّبُ الأَسْبابِ

وقَفَتْ دُونَها العُقُولُ حَيارَى * وانْثَنَى هِبْرِزِيُّها (١) وهو كابِ

لَمْ يَكُنْ مُلْحِدًا ولٰكِنْ تَصَدَّى * لشُؤُونِ المُهَيْمِنِ الوَهّابِ

رامَ إدْراكَ كُنْهِ ما أَعْجَزَ النا * سَ قَدِيمًا فلَمْ يَفُزْ بالطِّلابِ

إيهِ شِبْلِي قد أَكْثَرَ الناسُ فِيكَ الْـ * ـقَوْلَ حتّى تَفَنَّنُوا فى عِتابِي

قِيلَ : تَرْثِي ذاكَ الّذى يُنْكِرُ النَّو * رَ ولا يَهْتَدِي بهَدْيِ الكِتابِ؟

قلتُ : كُفُّوا فإنّما قُمْتُ أَرْثِي * منه خِلًّا أَمْسَى طَوِيلَ الغِيابِ

أنا واللهِ لا أُحابِيهِ فى القَوْ * لِ فقد كانَ صاحِبِي لا يُحابِي

أنا أَرْثِي شَمائِلًا منه عِنْدِي * كُنَّ أَحْلَى مِن الشَّهادِ (٢) المُذابِ

كانَ حُرَّ الآراءِ لا يَعْرِفُ الخَتْـ * ـلَ ولا يَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصِّحابِ (٣)

مُفْضِلًا مُحْسِنًا على العُسْرِ واليُسْـ * ـرِ جميعَ الفُؤادِ رَحْبَ الجَنابِ (٤)

عاشَ ما عاشَ لا يُلِيقُ على الأيّـ * ـامِ مالًا ولَمْ يَلِنْ (٥) للصِّعابِ

كانَ فى الوُدِّ مَوْضِعَ الثِّقَةِ الكُتْـ * ـبِ وفى العِلْمِ مَوضِعَ الإعجابِ

---

(١) الهبرزى : المقدام . والكابى : العاثر المنكب على وجهه .

(٢) الشهاد والشهد ، كلاهما بمعنى واحد . (٣) الختل : الخداع . (٤) المفضل : المنعم . وجميع الفؤاد ، أى مجتمعه لا تفرق قلبه النوائب . (٥) يقال : فلان لا يلين درهما لسخائه ، أى لا يمسكه .

نُكِبَ الطِّبُّ فِيــه يـومَ تَــوَلَّى * وأصِــيبَتْ رَوائِــعُ الآدابِ

وخَــلَا ذٰلكَ النَّــدِىُّ مِنَ الأنْـ * ـسِ وقـد كان مَرْتَـعَ الكُتّاب (١)

وبَكَتْ فَقْـدَه الشـآمُ وناءَتْ * فـوقَ ما نابَهـا بهٰـذا المُصاب (٢)

كلَّ يَوْمٍ يُهَـدُّ رُكْنٌ مِنَ الشَّأ * مِ، لقـد آذَنَتْ إذاً بالخَـراب (٣)

فهىَ (باليازِجى) و (جُرْجِى) و (شِبْلِى) * فُجِعَتْ بالثَّـلاثـةِ الأَقْطاب (٤)

فعَـلَى الرّاحِـلِ الكريمِ سَـلَامٌ * كلَّمـا غَيَبَ الـثَّرَى لَيْثَ غاب

رثاء جـورجى زيدان (٥)

سـنة ١٩١٤

دَعانِى رِفاقِى والقَوافِى مَرِيضَةٌ * وقد عَقَدَتْ هُوجُ الخُطوبِ لِسانِى (٦)

فجِئْتُ وبِى ما يَعْلَمُ اللهُ مِنْ أَسًى * ومِنْ كَمَدٍ قد شَـفَّنِى وبَرانى

---

(١) الندى : مجتمع القوم . (٢) ناء بالحمل : نهض به مع جهد ومشقة وتثاقل .

(٣) آذنت : أعلمت . (٤) يريد الشيخ ابراهيم اليازجى الشاعر اللبنانى المعروف . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ١٨٤ من هذا الجزء) . وجرجى ، هو جرجى زيدان (وسيأتى التعريف به فى الحاشية الآتية بعدها) . (٥) ولد جورجى زيدان فى بيروت عاصمة لبنان فى سنة ١٨٦١ م ، وتلقى بعض العلوم فى مدارسها الابتدائية ، ثم ترك التعليم وهو لم يبلغ الثانية عشرة من عمره ، غير أن ميله الى العلم والأدب جعله لايدع فرصة يستفيد منها إلا انتهزها ، إما بمطالعة ما تصل اليه يده من الكتب ، وإما بتقربه من رجال العلم حتى صار من أعلام التاريخ والأدب المشهورين ؛ وهو منشئ مجلة الهلال المعروفة . وكانت وفاته فى أغسطس سنة ١٩١٤م ، وتآليفه كثيرة ، منها : كتاب (تاريخ مصر الحديث) ، و(تاريخ التمدن الإسلامى) ، و (تاريخ الماسونية) ، وغيرها من الكتب . (٦) مرض القوافى : كناية عن قلة مواتاتها إياه وعصيانها عند إرادته لها . وشبه الخطوب والمصائب فى ثورانها وتقلبها واشتداد وقعها بالرياح الهوج ، وهى التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع الخيام ؛ الواحدة هوجاء .

مَلِلْتُ وُقوفي بينكُمْ مُتَلَهِّفا * على راحِلٍ فارَقْتُه فشَجاني

أَفي كلِّ يومٍ يَبْضَعُ الحُزْنُ بَضْعَةً؟ (١) * مِن القَلْبِ إنّي قد فَقَدْتُ جَناني

كَفاني ما لُقِّيتُ مِنْ لَوْعَةِ الأَسَى * وما نابَني يومَ (الإمامِ) (٢) كَفاني

تَفَرَّقَ أَحْبابي وأَهْلي وأُخِّرَتْ * يَدُ اللهِ يَوْمي فانْتَظَرْتُ أَوانِي

ومالي صَديقٌ إنْ عَثَرْتُ أَقالَني * ومالي قَريبٌ (٣) إنْ قَضَيتُ بَكاني

أَراني قد قَصَّرْتُ في حَقِّ صُحْبَتي * وتَقْصيرُ أَمْثالي جِنايَةُ جاني

فلا تَعْذِرُوني يومَ (فَتْحي) (٤) فإنّني * لأَعْلَمُ ما لا يَجْهَلُ الثَّقَلانِ

فقد غابَ عنّا يومَ غابَ ولَمْ يَكُنْ * له بَيْنَ هالاتِ النَّوابِغِ ثانِي

وفي ذِمَّتي (لليازِجيِّ) (٥) وَديعَةٌ * وأُخْرى (لزَيْدانٍ) (٦) وقد سَبَقاني

---

(١) يبضع : يقطع . والبضعة (بالفتح) : القطعة . والجنان : القلب .

(٢) يريد «بالإمام» : الشيخ محمد عبده . (٣) أقلت فلانا عثرته : صفحت عنها ودفعت عنه ما يتوقع من شرها . وقضيت : مت . (٤) الثقلان : الإنس والجن . ويريد «بفتحي» : أحمد فتحي زغلول باشا العالم القانوني المعروف ، ولد في سنة ١٨٦٣ م بإبيانة من أعمال مركز فوة ؛ وآخر منصب تولاه وكالته لنظارة الحقانية . وتوفي في سنة ١٩١٣م ، وله كثير من الكتب النافعة المترجمة عن اللغات الأجنبية ، وشرح للقانون المدني . وقد مات فتحي ولم يرثه الشاعر ، وهو لهذا يعترف بتقصيره ، ويطلب الى الناس ألا يعذروه في ذلك .

(٥) الهالة : دارة القمر التي تحيط به . (٦) يريد «باليازجي» : الشيخ إبراهيم اليازجي الشاعر اللبناني المعروف ، وهو ابن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف ؛ ولد ببيروت سنة ١٨٤٧ م وكان شاعرا ناثرا متصرفا في أنواع أخرى من العلوم . وتوفي سنة ١٩٠٨م . وهو منشئ مجلة البيان ومجلة الضياء ؛ الأولى في سنة ١٨٩٧ م والثانية في سنة ١٨٩٨ م . وآل اليازجي معروفون بكثرة من تخرج منهم من العلماء والأدباء والشعراء .

فيالَيْتَ شِعْرِى ما يَقُولانِ فى الثَّرَى * إذا الْتَقَيَا يوماً وقَـدْ ذَكَرانِى

وقد رَمَيَا بالطَّرْفِ بين جُمُوعِكُمْ * ولَمْ يَشْهَدا فى المَشْهَدَيْنِ مَكانِى

أيَجْمُلُ بى هٰذا العُقوقُ وإنّما * على غيرِ هٰذا العَهْدِ قد عَرَفانِى

دَعانى وَفائى يومَ ذالكَ فَلَمْ أَكُنْ * ضَنِيناً ولكنّ القَرِيضَ عَصانِى

وقد تُخْرِسُ الأَحْزانُ كلَّ مُفَوَّهٍ (١) * يُصَرَّفُ فى الإنْشادِ كلَّ عِنانِ

أَأَنْساهُما والعِـلْمُ فوقَ ثَراهُما * تَنَكَّسَ مِنْ أَعْلامِه عَلَمانِ

وكَمْ فُزْتُ مِنْ رَبِّ (الهِلالِ) بِحِكْمَةٍ (٢) * وكَمْ زِنْتُ مِنْ رَبِّ (الضِّياءِ) بَيانِى

(أَزَيْدانُ) لا تَبْعَدْ وتِلْكَ عُلالَةٌ (٣) * يُنادِى بها النَّاعُونَ كلَّ حُسانِ

لكَ الأَثَرُ الباقِى وإنْ كنتَ نائِيًا * فأنتَ على رَغْمِ المَنِيَّةِ دانِى

ويا قبرَ (زَيْدانٍ) طَوَيْتَ مُؤَرِّخًا (٤) * تَجَلَّى له ما أَضْمَرَ الفَتَيانِ

وعَقْلًا ولُوعًا بالكُنُوزِ فإنّه (٥) * على الدُّرِّ غَوّاصٌ بِبَحْرِ (عُمانِ)

وعَزْمًا شَآمِيًّا له أَيْنَما مَضَى (٦) * شَبا هِنْدُوانِىٍّ وحَدُّ يَمانِى

---

(١) المفوه : المنطيق . والعنان : سير اللجام . ويريد بقوله « يصرف فى الإنشاد... الخ » : أنه يذهب فيه كل مذهب .

(٢) رب الهلال : جورجى زيدان ، ورب الضياء : الشيخ إبراهيم اليازجى . والهلال والضياء : صحيفتان معروفتان .

(٣) العلالة : ما يتعلل به الإنسان ، أى يتلهى به عن مراده اذا لم يظفر به . والحسان من الرجال (بضم الحاء وتخفيف السين) : الحسن منهم .

(٤) تجلى : تكشف . والفتيان : الليل والنهار .

(٥) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة بمغاص اللؤلؤ .

(٦) شبا هندوانى ، أى سن رمح منسوب الى الهند . وحد يمانى ، أى حد سيف مصنوع باليمن .

وكَفَّا إذا جالَتْ على الطِّرْسِ جَوْلَةً * تَمايَلَ إعْجاباً بها البَلَدان (١)

أشادَتْ بذِكْرِ الرّاشِدِينَ كأنّما * فَتَى (القُدْسِ) مِمّا يُنْبِتُ الحَرَمان (٢)

سَأَلْتُ حُماةَ النَّثْرِ عَدَّ خِلالِه * فمالى بما أَعْيَا القَرِيضَ يَدان (٣)

رثاء إبراهيم حسن باشا ومحمد شكرى باشا (٤)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينهما فى مدرسة القصر العينى فى ٢٣ فبراير سنة ١٩١٧ م

لا مَرْحَبًا بكَ أيُّهذا العامُ * لَمْ يُرْعَ عِنْدَكَ لِلأُساةِ ذِمام (٥)

فى مُسْتَهَلِّكَ رُعْتَنا بمآتمٍ * للنافِعِين مِنَ الرِّجالِ تُقام

عَلَمانِ مِنْ أعْلامِ (مِصْرَ) طَواهُما * فِيكَ الرَّدَى فبَكَتْهُما (الأَهْرام)

غَيَّبْتَ (شُكْرِى) وهو نابِهُ عَصْرِه * وأَصَبْتَ (إبراهِيمَ) وهو إمام

---

(١) البلدان : مصر والشام . (٢) أشاد بذكره : رفعه بالثناء عليه . ويريد «بالراشدين» : خلفاء الإسلام ، و «فتى القدس» : الفقيد . والحرمان : مكة والمدينة . يقول : إن الفقيد أمنى على الخلفاء الراشدين ورفع ذكرهم فى كتبه ، فكأنه من أهل الحجاز مع أنه فلسطينى . (٣) تقول : مالى يد بهذا الأمر ، اذا عجزت عنه . وأعيا القريض ، أى أعجز الشعر .

(٤) الدكتور ابراهيم حسن باشا ، هو ابن حسن رفعت مدير إحدى مديريات مصر . ولد بالقاهرة فى ٢٥ فبراير سنة ١٨٤٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من تعلم الطب فى مصر وأوربا تولى بعض مناصب طبية كان آخرها رآسة مدرسة الطب سنة ١٨٩٨ م ، وبعد إحالته الى المعاش كان يقضى الصيف فى أوربا والشتاء فى مصر ، وقد حالت الحرب العظمى وهو فى أوربا دون عودته الى وطنه ، فقضى السنين الأخيرة بعيدا عنه إلى أن توفى فى ٤ يناير سنة ١٩١٧ م . وأما الدكتور محمد شكرى باشا فقد كان طبيبا خاصا بأمراض النساء ، وله فى هذا الفرع من الطب شهرة واسعة ، وتولى تدريسه فى مدرسة الطب . وكانت ولادته فى نحو سنة ١٨٥٢ م ، ووفاته فى مستهل سنة ١٩١٧ م . (٥) الأساة : الأطباء ؛ الواحد آس (كقاض) .

خَدَمَا رُبُوعَ النِّيـلِ فِى عَهْدَيْهِمَا * والطِّبُّ نَبْتٌ لَمْ يَجُـدْه غَمَـامُ (١)

والنـاسُ بالغَـرْبِىِّ فى تَطْبِيبِـه * وَلِعُـوا على بُعْـدِ المَـزارِ وهاموا

حتى آنبَرَى (شُكْرِى) فَأَثْبَتَ سَبْقَه * أنّ آبنَ (مِصْرَ) مُجَـرِّبٌ مِقْـدام

وأَقامَ (إبراهِـيمُ) أَبْلَغَ حُجَّـةٍ * أنّ العَرِينَ يَحُـلُّه ضِرْغَام (٢)

وتَرَسَّـمَ المُتَعَلِّمُون خُطاهُمـا * فآنشَقَّ مِنْ عَلَمَيْهِـما أَعْـلام (٣)

قد أَقْسَمُوا للطِّبِّ أنْ يَسْموا به * فـوق السِّماكِ فَـبَرَّت الأَقْسـام (٤)

وغَدَتْ رُبُوعُ الطِّبِّ تَحْكى جَنَّةً * فيهـا (لُبُقْـراطَ) الحَكِيم مقـام

ورأَى عَلِيـلُ النيـلِ أَنّ أُسـاتَه * بَذُّوا الأُسـاةَ فـلَمْ يَرُعْهُ سَـقام (٥)

يا (مِصْرُ) حَسْبُكِ ما بَلَغْتِ مِن المُنَى * صَـدَقَ الرَّجاءُ وصَحَّت الأَحْلام

ومَشَى بَنُوكِ كما اشْتَهَيْتِ إلى العُلا * وعلى الوَلاءِ ـ كما عَلِمْتِ ـ أَقاموا

ومَدَدْتِ صَوْتَكِ بَعْدَ طُولِ خُفُوته * فـدَعَا بعافِيَـةٍ لكِ الإسْـلام

ورَفَعْتِ رَأْسَكِ عند مُفْتَخَرِ النُّهَى * بين المَـالِكِ حيثُ تُحْـنَى الهـام (٦)

كم فيـكِ جَرّاحٍ كأنّ يَمِينَـهُ * عنـد الجـراحَةِ بَلْسَمٌ وسَـلام (٧)

---

(١) جاده الغمام : أمطره . (٢) العرين : مأوى الأسد . والضرغام : الأسد .

(٣) فانشق من عليهما أعلام ، أى تخرج عليهما فى الطب أمثالها فى النبوغ . (٤) السماك : اسم لكوكبين تقـدم الكلام عليهما فى حواشى هذا الديوان . (٥) بذوا الأساة : علبوهم وفاقوهم فى الطب . (٦) الهام : الرءوس . وإحناء الهام : كناية عن التصاغر والانكسار والتسليم للخصم .

(٧) يلاحظ أن الأرجح فى قوله « جراح » النصب ، للفصل بينه وبين « كم » بالجار والمجرور ، ولكن الشاعر جرى على مذهب بعض النحويين فى جر تمييز « كم » مع الفصل ، ومنه قول الشاعر :

* كم بجود مقرف نال العلى *

والبلسم : دواء تضمد به الجراح .

قد صِيغَ مِبْضَعُه وإنْ أجرَى دَمًا * مِنْ رَحْمَةٍ بجَرِيحِه بَسّام (١)

ومُوَفِّقٍ جَمِّ الصَّوابِ اذا ٱلْتَوَى * داءُ العَلِيلِ وحارَت الأفْهَام

يُلْقِي بسَمْعٍ لا يَخُونُ اذا هَفَتْ * أُذُنٌ وخانَ المِسْمَعَيْنِ صِمام (٢)

واذا عُضَالُ الدّاء أَبْهَمَ أَمْرُه * عَرَفَتْ خَفِيَّ دَبِيبِه الإبْهام (٣)

يَسْتَنْطِقُ الآلامَ وهيَ دَفِينَةٌ * خَرْسَاءُ حتّى تَنْطِق الآلام

كم سَلَّ مِنْ أَيْدِي المَنَايَا أنفُسًا * وثَنَى عِنانَ المَوْتِ وهْوَ زُؤام (٤)

ومطَبِّبٍ للعَيْنِ يَحْمِلُ مِيلُه * نُورًا اذا غَشّى العُيُونَ قَتام (٥)

وكأنّ إثْمِدَه ضِياءُ دَرَّه * (عِيسَى بنُ مَرْيَمَ) فانجَلَى الإظْلام (٦)

ومُطَبِّبٍ للطِّفْلِ لَمْ تَنْبُتْ له * سِنٌّ ولَمْ يَدْرُجْ إليه فِطام (٧)

يَشْكُو السَّقامَ بناظِرَيْه ومالَه * غيرُ التَّفَزُّزِ والأَنِينِ كَلام

فكم ٱستَشَفَّ وكَمْ أَصابَ كأنّما * فى نَظْرَتَيْه الوَحْيُ والإلْهام (٨)

ومُوَلِّدٍ عَرَفَ الأَجِنَّةُ فَضْلَه * إنْ أَعْسَرَتْ بِولادِها الأَرْحام

كم قد أَنارَ لها بحالِكَةِ ٱلحَشَا * سُبُلاً تَضِل سُلُوكَها الأَوْهام

---

(١) المبضع : المشرط . (٢) المسمعان : الأذنان . (٣) إنما ذكر الإبهام لأن الطبيب يلمس بيده موضع الداء من جسم المريض ، فكنى بالإبهام عن اليد . (٤) الزؤام : الكريه المجهز على صاحبه . (٥) الميل : المرود الذى تكحل به العين . والقتام : الظلام .

(٦) الإثمد : الكحل . ويشير « بعيسى بن مريم » عليه السلام : إلى ما أجراه الله على يده من إبراء الأكمه . قال تعالى حكاية عنه : (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله) .

(٧) يدرج : يمشى . (٨) الضمير فى (استشف) للطبيب ، السابق ذكره .

لـولا يَـدَاهُ سَـطَا على أَبْدانِهـا * كَرْبُ المَخـاضِ وشَـفّها الإيلامُ

فبهـؤلاءِ الغُرِّ يا (مِصْـر) آهنَـئِي * فبِمِثْلِهِـمْ تَتَفَاخَـرُ الأَيَّام

وعـلى طَبِيبَيْـكِ اللَّذَيْنِ رَماهُمـا * رامِي المَنُـونِ تَحِيَّـةٌ وسَـلام

رثاء المغفور له الشيخ سليم البشرى (٢)

أنشـدها عنـد دفنـه

[نشرت فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٧ م]

أَيَدْرِى ٱلْمُسْـلِمُونَ بِمَنْ أُصِـيبُوا * وقـد وارَوْا (سَـلِيمًا) فى التُّرابِ

هَوَى رُكْنُ الحَـدِيثِ فأىُّ قُطْبٍ (٣) * لطُـلَّابِ الحَقِيقَـةِ والصَّـوابِ

(مُوَطَّأَ مالِكٍ) عَزِّ (البُخارِى) (٤) * ودَعْ لِلّهِ تَعْـزِيَةَ (الكِتَاب)

فمـا فى النّاطِقِينَ فَـمٌ يُوَفِّى * عَزاءَ الدِّينِ فى هٰـذا المُصَـاب

قَضَى الشيخُ المُحَـدِّثُ وهْوَ يُمْـلِى (٥) * على طُـلّابِهِ فَصْـلَ الخِطَـاب

---

(١) شفها : هزلها . (٢) ولد الشيخ سليم البشرى فى سنة ١٢٤٨ هـ فى محلة بشر من أعمال مركز شبراخيت من مديرية البحيرة ، ولما بلغ التاسعة حضر إلى مصر ، وكان قد أتم حفظ القرآن ؛ وبعد أن أتم تعلمه فى الأزهر تولى التدريس فيه ، ثم عين شيخا لمسجد السيدة زينب ، وبعد ذلك ببضعة أعوام عين شيخا ونقيبا للسادة المالكية ، ثم اختير عضوا فى مجلس إدارة الأزهر ؛ وتولى مشيخة الأزهر مرتين ، ومات رحمه الله فى سنة ١٣٣٥ هـ بعد أن عمر ما يقرب من تسعين سنة .

(٣) كان الفقيد مشهورا بتبحره فى علوم الحديث ، وإلى هذا يشير الشاعر . (٤) موطأ مالك ، كتاب لمالك بن أنس فى الحديث مرتب على أبواب الفقه . ويريد «بالبخارى» : كتاب الجامع الصحيح الذى وضعه الإمام البخارى محمد بن إسماعيل . ويشير الشاعر إلى حرمان هذه العلوم الثلاثة : فقه مالك ، والحديث ، والتفسير التى كان يدرسها الفقيد مضطلعا بها . (٥) قضى : مات .

ولَمْ تَنْقُصْ له التَّسْعُونَ عَزْماً * ولا صَدَّتْه عَنْ دَرْكِ الطِّلابِ (١)

وما غَالَتْ قَرِيحَتَه اللَّيالِي * ولا خَانَتْه ذاكِرَةُ الشَّبابِ

أَشَيْخَ المُسْلِمِين نَأَيْتَ عَنَّا * عَظِيمَ الأَجْرِ مَوْفُورَ الثَّوابِ

لقد سَبَقَتْ لك الحُسْنَى فطُوبَى * لمَوْقِفِ شَيْخِنا يَوْمَ الحِسابِ

إذا أَلْقَى السُّؤالَ عَلَيْكَ مُلْقٍ * تَصَدَّى عَنْكَ بِرُّكَ لِلجَوابِ (٢)

ونادَى العَدْلُ والإحْسانُ إنّا * نُزَكِّي ما يَقُولُ ولا نُحابِي (٣)

قِفُوا يا أيُّها العُلَمَاءُ وابْكُوا * وزُرُّوا لَحْدَه قَبْلَ الحِسابِ

فهذا يَوْمُنا ولَنَحْنُ أَوْلَى * بِبَذْلِ الدَّمْعِ مِنْ ذاتِ الخِضابِ (٤)

عليكَ تَحِيَّةُ الإسْلامِ وَقْفاً * وأَهْلِيه إلى يَوْمِ المَآبِ

رثاء المغفور له السلطان حسين كامل (٥)

[نشرت فى أول نوفمبر سنة ١٩١٧ م]

دُكَّ ما بَيْنَ صَحْوَةٍ وعَشِيَّ * شَامِخٌ مِنْ صُرُوحِ (آلِ عَلِيِّ) (٦)

وهَوَى عن سَمَاوَةِ العَرْشِ مَلْكٌ * لَمْ تُمَتِّعْ بِعَهْدِه الذَّهَبِيِّ (٧)

(١) درك الطلاب : إدراك الطلب والحاجة .

(٢) يريد «بالملق» : الملك الذى يتولى حساب الميت على ما عمل .

(٣) كان الفقيد معروفا بالإحسان الى الفقراء ، وكان لهم من مرتبه قدر معلوم كل شهر .

(٤) ذات الخضاب : المرأة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ٦٧ من الجزء الأول .

(٦) دك : هدم ، وآل على ، أى آل محمد على جد الأسرة المالكة .

(٧) يريد «بسماوة العرش» : أعلاه . والملك (بسكون اللام) ، لغة فى الملك (بكسرها) .

قـد تَساءَلْتُ يومَ ماتَ (حُسَيْنٌ) * أَفَقَـدْنَا بَفَقْـدِه كلَّ شىٍّ؟

أمْ تَرَى يُسْـعِدُ الكِنَانَةَ بارِيـ * ـها ويَقْضِى لها بلُطْفٍ خَفِى؟

لَمْ تَكَدْ تُدْرِكُ النفـوسُ مُرادًا * فى زَمانِ المتوَّجِ العَـلَوِى

لَمْ تَكَدْ تَبْلُغ البِـلادُ مُناها * تحتَ أَفْيَاءِ عَـدْلِه الكِسْرَوِى (١)

لَمْ يَكَدْ يَنْعَمُ الفَقِيرُ بعَيْشٍ * مِنْ نَداهُ وفَيْضِـه الحاتِمِى (٢)

حَجَبَ المَوْتُ مَطْلَعَ الجُودِ يا (مِصْـ * ـرُ) فجُـودِى له بدَمْـعٍ سَخِى

ومَضَى واهِبُ الألُوفِ فـوَلَّتْ * يـومَ وَلَّى بَشاشَـةُ الأَرْيَحِى (٣)

وقَضَى كافِلُ اليَتامَى فَـوَيْلٌ * لليتامَى مِنَ الزَّمانِ العَـتِى (٤)

كم تَمَنَّى لو عاشَ حتَّى يَرانَا * أمَّـةً ذاتَ مَنْعَـةٍ ورُقِى

غالَه الضَّعْفُ حِينَ شَمَّـرَ للإصْـ * ـلاحِ فى مُلْكِه بعَـزْمٍ فَـتِى

حَبَسَ الخَطْبُ فيـكَ أَلْسِنَةَ القَوْ * لِ وأَعْيَـا قَرِيحَـةَ العَبْقَـرِى

وإذا جَلَّت الخُطـوبُ وطَمَّتْ * أَعْجَزَتْ فى القَرِيضِ طَوْقَ الرَّوِى (٥)

إنَّ شَرَّ المُصابِ ما أَطْلَقَ الدَّمْـ * ـعَ وراعَ المُفَوَّهِينَ بِـعِى (٦)

---

(١) الأفياء : الظلال . وكسروى : نسبة الى كسرى من ملوك الفرس ، وكان يقال له : الملك العادل .

(٢) الحاتمى : نسبة إلى حاتم الطائى المعروف بالجود . والفيض : العطاء .

(٣) الأريحى : الواسع الخلق الذى يرتاح للمعروف .

(٤) العتى : الظالم المتجبر .

(٥) الطوق : الطاقة والجهد . وكنى بالروى عن الشعر ، كما يكنى عنه بالقافية أيضا .

(٦) المفوه : المنطيق . والعى : عدم القدرة على الكلام .

لَهْفَ نَفْسِي على ٱنبساطِكَ للضَّيْـ * ـفِ وذَيّالِكَ الحَـديثِ الشَّهِيِّ

يَحْسَبُ الدارَ دارَه وهـو يَمْشِي * فوقَ زاهِي بِساطِكَ الأَحْمَـدِي (١)

خُلُقٌ مِثْلَمـا نَسَـمْتَ أَرِيجَ الـ * ـزَّهْـرِ جادَتْـه زَوْرَةُ الوَسْمِي (٢)

واهتزازٌ للعُرْفِ مِثْـلُ اهتزازِ الـ * ـسَّيْفِ فى قَبْضَـةِ الشُّـجاعِ الكَمِي (٣)

وحَيـاءٌ عنـد العَطِيَّـةِ يَنْـفِي * خَجَـلَ السائلِ الكَـرِيمِ الأَبِي

واختِبارٌ يَثْنِي عِنانَ العَـوادِي * ووَقارٌ يَزِيـنُ صَـدْرَ النَّدِي (٤)

رَحِـمَ اللهُ (يا حُسَيْنُ) خِلالًا * فيـكَ لَمْ يَجْتَمِعْنَ فى نَفْسٍ حَي

يا كَرِيمًـا حَلَلْتَ ساحَ كَرِيمٍ * وضَـعِيفًا حَلَلْتَ ساحَ القَـوِي

قد كَفاكَ السُّهادُ فى العَيْشِ فَاهْنَأْ * يا أَلِيفَ الضَّـنَى بَنَـوْمٍ هَـنِي (٥)

وَيْحَ (مِصْـرٍ) فأَيُّ خَيْـطِ رَجاءٍ * قَطَعَتْه رَنَّاتُ صَـوْتِ النَّـعِي

---

(١) البساط الأحدى ، يكنى به عن سهولة الجانب وسماحته وعدم الكلفة .

(٢) نشقت : شممت . وأريج الزهر : ريحه . والوسمى : مطر أول الربيع .

(٣) الاهتزاز للعرف : كناية عن الانبساط للبذل والارتياح للعطاء . والكمى : الشجاع .

(٤) يثنى عنان العوادى ، أى يصرف حوادث الأيام و يردها عن قصدها . والندى : مجتمع القوم .

(٥) يشير بقوله «يا أليف الضنى» : الى ما كان يعانيه الفقيد فى آخر أيامه من مرض وأرق .

رثاء باحثـــة البـــادية (١)

[نشرت فى ســـنة ١٩١٨ م]

(مَلَكَ) الْمُنَى لا تَبْعَـدِى * فالخَـلْقُ فى الدنيـا سَـيَرْ

إنِّى أَرَى لَكِ سِـيرَةً * كالرَّوْضِ أَرَّجَهُ الزَّهَـرْ (٢)

رَبَّى أَبُـوكِ النـاشِئِيـ * ـنَ فعاشَ مَحْـمودَ الأَثَرْ

وسَلَكْتِ أَنتِ سَـبِيلَه * فى الناشِئاتِ مِن الصِّغَرْ

رَبَّيْتِهِنَّ (٣) على الفَضِـيـ * ـلةِ والطَّهـارَةِ والخَفَـرْ

وعـلى أَتْبـاعِ شَرِيعَـةٍ * نَزَلَتْ بِهـا آىُ السُّـوَرْ

فلَبَيْتِكُمْ فَضْـلٌ عـلى الـ * ـاحيـاءِ أُنْثَى أو ذكَـرْ

لِلّٰهِ دَرُّكِ إِنْ نَـثَرْ * تِ ودَرُّ (حفْـنِى) إِنْ نَـثَرْ

قـدكنتِ زَوْجًا طَبَّـةً * فى البَـدْوِ عاشَتْ والْحَضَرْ (٤)

---

(١) باحثـة البادية ، هى السـيدة ملك ناصف بنت المرحوم حفنى ناصف بك ، ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م وتلقت مبادئ العـلوم فى مدارس أولية مختلفة ، ثم دخلت المدرسة السنية فنالت الشهادة الابتدائية فى سنة ١٩٠٠ م ، ثم نالت إجازة التدريس من قسم المعلمات ، ومارست التعليم فى مدارس البنات الأميرية ، وتوفيت فى سنة ١٩١٨ م . وكانت من فضليات الكاتبات وباحثات ، بذلت جهـدا كبيرا فى الدعاية الى نهضة المرأة المصرية بعد المرحوم قاسم أمين بك ، وكانت تفضل السفور على الحجاب ، ولها مقالات كثيرة طبعت كلها فى كتاب سمته (النسائيات) وسلسلة محاضرات ألقتها فى إدارة الجريدة التى كان يصدرها حزب الأمة ، وإلى هذه المقالات وتلك المحاضرات يشير حافظ فى هذه القصيدة .

(٢) أرجه : طيبه . (٣) الخفر : شدة الحياء . (٤) يشير بقوله : «فى البدو الخ» : الى أنها كانت زوجا لعبد الستار الباسل بك أحد مشايخ عرب الفيوم . والطبة : الماهرة الحاذقة بعملها .

سادَتْ على أَهْلِ الطُّهُو * رِ وسَوَّدَتْ أَهْلَ الوَبَرْ (١)

عَرَبِيَّةٌ فى عِلْمِها * مَرْمُوقَةٌ بينَ الأَسَرْ

شَرْقِيَّةٌ فى طَبْعِها * مَحْدُورَةٌ بينَ الحَجَرْ

بَيْنَا تَراهَا فى الطُّرُو * سِ تَخُطُّ آياتِ العِبَرْ (٢)

وتُرِيكَ حِكْمَةَ نابِهٍ * عَرَكَ الحَوادِثَ واختَبَرْ

فإذا بِها فى مَطْبَخٍ * تَطْهُو الطَّعامَ على قَدَرْ (٣)

وإذا بِها قَعَدَتْ تَخِيـ * ـطُ وتَرْتَضِى وَخْزَ الإِبَرْ

فَخَرَتْ بوالِدِها ووا * لِدُها بِحِلْيَتِها افتَخَرْ

بالعِلْمِ حَلَّتْ صَدْرَها * لا باللآلِئِ والدُّرَرْ

فاتْلُ شَمائِلَ فِكْرِها * باللهِ يَوْمَ (المُؤْتَمَرْ) (٤)

واقْرَأْ (مُحاضَرَةَ الجَرِيـ * ـدَةِ) والمَقالاتِ الغُرَرْ

وارجِعْ إلى ما أَوْدَعَتْ * عندَ المَجَلاتِ الكُبَرْ

---

(١) أهل الوبر : هم أهل البادية ، لأن بيوتهم من الوبر .

(٢) الطروس : الصحائف التى يكتب فيها . (٣) على قدر ، أى بحساب .

(٤) يريد المؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى سنة ١٩١١ م وتوالت جلساته خمسة أيام ؛ وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولها ، النظر فى حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية ؛ والثانى ، الرد على مطالب الأقباط التى طلبوها فى مؤتمرهم المنعقد بأسيوط قبل ذلك فى ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان رئيس المؤتمر الإسلامى المرحوم رياض باشا ، وقد ألقت الفقيدة محاضرة فى هذا المؤتمر تتعلق بشؤون المرأة .

تَعْـــلَمْ بأنّا قـــد فَقَـــدْ * نا خَيْرَ رَبّاتِ الفِكَرْ

ذَنْبُ المَنِيّـــةِ فى أغتِيا * لِ شَـــبابِها لا يُغْتَفَـــر

يا لَيْتَهـا عاشَتْ (لِمِصْـ * ـرَ) ولَمْ تُغَيِّبْهـا الحُفَـــر

كانتْ مِثـالاً صالحًـا * يُرْجَى وكَنْزًا يُدَّخَـــر

إنّى رَأَيْتُ الجـاهِـــلا * تِ السّافِراتِ على خَطَر

ورأَيْتُ فيهِنّ الصِّـــيا * نَةَ والعَفافَ على سَـــفَر

لا وازِعٌ — وقد ٱنطَوَتْ * (مَلَكٌ) يَقِيهِنّ الضَّرَر (١)

لا كان يَوْمُكِ يومَ لا * حَ الحُزْنُ مُخْتَلِفَ الصُّوَر

عَلَّمْتِ هاتِفَـــةَ القُصـو * رِ نُواحَ هاتِفَـــةِ الشَّـجَر (٢)

وتَرَكْتِ أَتْرابَ الصِّـــبا * حُزْنًا يُقَطِّعْنَ الشَّـــعَر (٣)

يَبْكِينَ عَهْدَكِ فى الصَّـــبا * حِ وفى المَساءِ وفى السَّحَر

وتَرَكْتِ شَـيْخَكِ لا يَعِى * هَـــلْ غابَ زَيْدٌ أو حَضَر (٤)

ثَمِـــلًا تُرَنِّحُـــهُ الهُمُـــو * مُ إذا تَحـامَلَ أو خَطَـــر (٥)

كالفَـــرْعِ هَزَّتْه العَـــوا * صِفُ فٱلتَـوَى ثمّ ٱنكَسَر

---

(١) الوازع : الزاجر. (٢) يريد «بهاتفة القصور» : الباكية من النساء، و «بهاتفة الشجر» : النائحة من الطير. (٣) أتراب الإنسان : لداته ؛ الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء).

(٤) يريد «بالشيخ» : أباها . ويشير بقوله «هل غاب زيد» ... الخ الى ما كان أبوها مشتهرا به من علم النحو واللغة وما اليهما من علوم العربية ، وذلك لأن مدار الأمثلة فى النحو على «زيد» .

(٥) ترنحه : تميله هنا وهنا .

أو كالبِناءِ يُرِيدُ أنْ * يَنْقَضَّ مِنْ وَقْعِ ٱلخَوَرْ (١)

قد زَعْزَعَتْهُ يَدُ القَضا * ءِ وزَلْزَلَتْه يَدُ ٱلقَدَر

أنا لَمْ أَذُقْ فَقْدَ البَنِيـ * ـنَ ولا البَناتِ على ٱلكِبَر

لٰكنّنى لمّا رأَيْـ * ـتُ فؤادَه وقد ٱنفَطَر (٢)

ورأيْتُه قد كادَ يُحْـ * ـرِقُ زائِرِيهِ إذا زَفَر

وشَهِدْتُه أنّى خَطَا * خَطْوًا تَخَبَّلَ أو عَثَر

أَدْرَكْتُ مَعْنَى الحُزْنِ حُزْ * نِ الوالِدَيْنِ ، فما أَمَرّ

وشَهِدْتُ زَوْجَكِ مُطْرِقًا * مُسْتَوْحِشًا بين السَّمَر (٣)

كالمُدْلِجِ الحَيْرانِ فى الـ * ـبَيْداءِ أَخْطَأَهُ القَمَر (٤)

فعَلِمْتُ أنّكِ كنتِ عِقْـ * ـدَ هَنائِه وقد ٱنتَثَر

صَبْرًا أبا (مَلَكٍ) فإنّ * الباقِياتِ لِمَنْ صَبَر

وبقَدْرِ صَبْرِ المُبْتَلَى * طُولُ المُصِيبةِ والقِصَر

كن أنتَ أنتَ إذا تُسا * ءُ كأنتَ أنتَ إذا تُسَرّ

يا بَرَّةً بالوالِدَيْـ * ـنِ أَبُوكِ بَعْدَكِ لا يَقَرّ

فسَلِى إلٰهَكِ سُلْوَةً * لأَبِيكِ فهْوَ به أَبَرّ

ولَيَهْنِكِ الخِدْرُ الجَدِيـ * ـدُ فذاكَ دارُ المُسْتَقَرّ

(١) من وقع الخور، أى من وقوع الضعف به . (٢) انفطر : انشق .
(٣) السمر : مجلس السمار بالليل . (٤) المدلج : السارى بالليل .

رثاء محمد فـــريد بك[1]

[فى سنة ١٩١٩ م]

مَنْ لِيَوْمٍ نحنُ فِيـه مَنْ لِغَـدْ * ماتَ ذُو العَزْمَةِ والرَّأْيِ الأَسَدْ[2]

حَلَّ (بالجُمْعـةِ) حُزْنٌ وأَسًى * ومَشَى الوَجْدُ الى يومِ (الأَحَدْ)[3]

وبَدَا شِـعْرِى على قِرْطاسِـهِ * لَوْعةً سالَتْ على دَمْعٍ جَمَـد

أيُّهـا النِّيلُ لقـد جَلَّ الأَسَى * كُنْ مِداداً لى إذا الدَّمْعُ نَفِـد

واذْبُلِى يا زَهْـرَةَ الرَّوْضِ ولا * تَبْسِمِى للطَّـلِّ فالعَيْشُ نَكِد[4]

والزَمِ النَّـوْحَ أيا طَـيْرُ ولا * تَبْتَهِجْ بالشَّـدْوِ فالشَّدْوُ حَدَد[5]

---

(١) المرحوم محمـد فريد بك ، هو ابن فريد باشا ناظر الدائرة السنية . ولد فى مدينـة القاهرة فى رمضان سنة ١٢٨٤ هـ ، يناير سنة ١٨٦٧ م . وبيته من أكبر بيوت مصر وأمجدها ، ونال شهادة الحقوق فى مايو سـنة ١٨٨٧ ثم اشتغل بالدائرة السنية ، ثم انتقل الى النيابة العموميـة ، ثم الى نيابة الاستئناف . وقـد أنعم عليه بالرتبة الثانيـة فى أغسطس سـنة ١٨٩١ م وكان من أقوى دعاة النهضة الوطنية ، والآخذين بيد الوطنيين من الكتاب وأصحاب الصحف ، واستقال من منصبه وقيـد اسمه فى جدول المحامين أمام المحـاكم الأهلية فى أول يونيه سنة ١٨٩٧ م ، وظل مشتغلا بالمحاماة سبع سنين ثم ترك كل عمـل ليفرغ لخدمة الأمة من الناحية السياسية ، فكان خير عون للمرحوم مصطفى كامـل باشا وقد صحبه فى كثير من رحلاته الى أوربا ، واختاره مصطفى كامل لرآسة الحزب الوطنى فى فبراير سنة ١٩٠٨ م وتوفى فى برلين عاصمة المـانيا فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٩ م وأحضرت جثته الى مصر ، ودفنت قرب مسجد السيدة نفيسة .

(٢) يريد « باليوم والغد » : الحاضر والمستقبل . والأسد : الأصوب .

(٣) الأسى : الحزن . وكنى « بيومى الجمعة والأحد » عن مسلمى مصر وقبطها .

(٤) الطل : الندى ، أو أخف المطر وأضعفه .

(٥) شدو الطير : ترنمه وتغريده . والحدد : الحرام الذى لا يحل أن يرتكب .

فلقد ولّى (فريدٌ) وانطوى * ركنُ (مصرٍ) وفتاها والسّنَدْ

خالدَ الآثارِ لا تخشَ البِلَى * ليس يَبْلَى مَنْ له ذِكْرٌ خلَدْ

زُرْتَ (برلينَ) فنادى سَمْتُها : * نَزَلَتْ شمسُ الضُّحَى بُرْجَ الأسَدْ (١)

واختفتْ شمسُكَ فيها وكذا * تختفي في الغربِ أقمارُ الأبَدْ

يا غريبَ الدارِ والقبرُ ويا * سُلْوةَ (النِّيلِ) اذا ما الحَطْبُ جَدّ

وحُساماً قَلَّ حدَّيْه الرَّدى * وشهاباً ضاءَ وَهْناً وخَمَد (٢)

قُلْ لصَبِّ (النِّيلِ) إنْ لاقيْتَه * في جوارِ الدّائمِ الفردِ الصَّمَد (٣)

إنّ (مِصْرًا) لا تَنِي عنْ قَصْدِها * رَغْمَ ما تَلْقَى وإنْ طالَ الأمَد

جئتُ عنها أحْمِلُ البُشْرَى إلى * أوّلِ البازينَ في هذا البَلَد

فاسترِحْ واهنأْ ونَمْ في غِبْطَةٍ * قد بَذَرْتَ الحبَّ والشَّعْبُ حَصَد

آثرَ (النِّيلَ) على أمْوالِهِ * وقُواهُ وهَواهُ والوَلَد (٤)

يَطْلُبُ الخيرَ (لمصرٍ) وهْوَ في * شِقْوَةٍ أحْلَى مِنَ العيشِ الرَّغَد (٥)

---

(١) يحتمل هذا البيت معنيين : أحدهما أنه يريد وصف الفقيد بالقوّة وجلال الشأن ، فشبهه حين نزل برلين مدينة القوّة بالشمس حين تنزل برج الأسد ؛ والثانى ما يقوله قدماء المنجمين من أن نزول الشمس فى برج الأسد دليل على وقوع الموت ؛ و يكون هذا البيت بالمعنى الثانى ترشيحا للبيت الذى بعده .

(٢) فل حدّيه : ثلمهما . والوهن : نحو من نصف الليل . (٣) صبّ النيل : عاشقه . و يريد به (المرحوم مصطفى كامل باشا) . (٤) آثر النيل : فضله . يشير بهذا البيت الى هجرة الفقيد الى أوربا فى سبيل بلاده وتركه ماله وأهله وولده . (٥) العيش الرغد : الطيب الواسع . ويشير بهذا البيت الى ما تجرعه الفقيد فى غربته من بؤس وشقاء ، و إيثاره هذا البؤس على العودة الى وطنه المحتل .

ضَارِبٌ فى الأَرضِ يَبْغى مَأْرَبًا (١) * كُلَّمَا قَارَبَه ، عنه ابتَعَدْ

لم يَعِبْه أَنْ تَجَنَّى دَهْرُه (٢) * رُبَّ جِدٍّ حادَ عن مِجْراه جَدّ

يَسْتَجِمُّ العَزْمَ حتّى إنْ بَدَتْ (٣) * فُرصةٌ شَدَّ اليها وصَمَد

فهو لا يَثْنِى عِنانًا عن مُنًى (٤) * وهو هِجّيراهُ (مَنْ جَدَّ وَجَد)

فَأَيادِيه إذا ما أُنْكِرَتْ (٥) * إنّما تُنْكِرُهَا عَيْنُ الحَسَد

فقَدَتْ (مِصْرُ فَريدا) وهى فى * مَوْطِنٍ يُعْوِزُها فيه المَدَد

فقَدَتْ (مصرُ فَريدا) وهى فى (٦) * لَهْوَةِ المَيْدانِ والموتُ رَصَد

فقَدَتْ منه خَبيرا حُوَّلًا (٧) * وهى والأيّامُ فى أَخْذٍ وَرَدّ

لم يَكَدْ يُمْتِعُها الدَّهْرُ به * فى رُبُوعِ (النِّيل) حَيًّا لم يَكَد

لَيْتَه عاشَ قليلا فَتَرى (٨) * شَعْبَ (مِصْرٍ) عَيْنُه كيف اتَّحَد

وَيْحَ (مِصرٍ) بَلْ فَوَيْحًا للثُّرَى * إنّه أَبْلَغُ حُزْنًا وأَشَدّ

كَم تَمَنَّى وتَمَنَّى أَهْلُه (٩) * لو يُوارَى فيه ذَيّاكَ الجَسَد

---

(١) ضرب فى الأرض : ذهب فيها ساعيا .

(٢) الجد (بالكسر) : الاجتهاد . (وبالفتح) : الحظ . ومجراه ، أى طريقه . يقول : رب اجتهاد أخطأه الحظ فلم يفد صاحبه ولم يثمر .

(٣) يستجم العزم ، أى يريحه ؛ يقال : إنى لأستجم قلبى بشىء من اللهو حتى أقوى على الحق ، أى إنى لأجعل قلبى يتفكه بشىء من اللهو ليستجمع قوته . وصمد : قصد .

(٤) هجيراه ، أى دأبه وشأنه وعادته .

(٥) الأيادى : النعم .

(٦) شبه مصر فى ميدان الجهاد بلهوة الرحى ، وهى بفتح اللام وضمها ، ما يلق فى فمها للطحن .

(٧) الحوّل : الحاذق البصير بتحويل الأمور .

(٨) يشير بهذا البيت الى اتحاد مسلمى مصر وقبطها فى سنة ١٩١٩ م ، تحت رآسة المرحوم سعد زغلول باشا .

(٩) يوارى : يدفن .

لَهْفَ نَفْسِي هل (بِبَرْلِينَ) ٱمرُؤٌ * فـوق ذَاك القَبْرِ صَلَّى وسَجَـدْ؟
هـل بَكَتْ عَيْنٌ فروَّتْ تُرْبَه * هل عَلَى أحْجارِه خَطَّ (١) أَحَـد؟
هاهُنَا قَـبْرُ شَهِيدٍ فى هَـوَى * أمَّـةٍ أَيْقَظَهـا ، ثُمَّ رَقَـد

رثاء عبد الله أباظه بك (٢)

[أنشد هذين البيتين على قبره فى سـنة ١٩١٩ م]

يا عابِـدَ اللهِ نَمْ فى القَـبْرِ مُغْتَبِـطًا * ما كنتَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّ العَرْشِ بالّلاهِى
يا رحمَـةَ اللهِ هٰـذا قَـبرُه فقِـفِى * وآنِسِى رُوحَـه يا رَحْمَـةَ اللهِ

رثاء عبد الحميد رمزى

قالها على لسان ابراهيم رمزى بك فى حفل تأبين ابنـه عبد الحميد، وكان طالبا بالمدارس الثانوية ، ولم يقو أبوه على الكلام فى هذا الحفل، فناب عنه حافظ وقال هذه القصيدة :

[نشرت فى ٦ مارس سنة ١٩٢٠ م]

وَلَدِى ، قـد طالَ سُهْدِى ونَحِيبِى * جِئْتُ أَدْعُـوكَ فهَـلْ أَنْتَ مُجِيبِى؟
جِئْتُ أَرْوِى بدُمُوعِى مَضْـجَعًا * فيه أَوْدَعْتُ مِن الدُّنيـا نَصِيبِى

---

(١) خط أحد ، أى كتب على أحجار هذا القبر البيت الآتى بعده .

(٢) عبـد الله أباظه بك ، هو ابن السـيد أباظه باشا ، كان عضوا بالجمعية التشريعية ، وتقلد عدة مناصب ، وتوفى فى سنة ١٩١٩ م .

لا تَخَفْ مِنْ وَحْشَـةِ القَـبْرِ ولا * تَبْتَئِسْ إنِّى مُـوافٍ عَنْ قَـرِيبِ

أَنَا لا أَتْـرُكُ شِـبْلِى وَحْـدَه * فى جَدِيبٍ مُوحِشٍ غَيْرِ رَحِيبِ (١)

أَوَحِينَ ٱبْـتَزَّ دَهْرِى قُوَّتِى * وذَوَى عُـودِى ووافَانِى مَشِـيبِى (٢)

وٱكْتَسَى غُصْـنُكَ مِنْ أَوْراقِه * تَحْتَ شَمْسِ العِزِّ والجَاهِ الخَصِيبِ

ورَجَـوْنا فِيـكَ ما لَمْ يَرْجُـهُ * مُنْجِبُ الأَشْبالِ فى الشِّبْلِ النجيبِ

يَنْتَوِيكَ المَوْتُ فى شَرْخِ الصِّبا * والشَّبابِ الغَضِّ فى البُرْدِ القَشِيبِ (٣)

لم يَدَعْ آسِـيكَ جُهْـدًا إنَّمـا * غابَ عِلْمُ اللهِ عَنْ عِلْمِ الطَّبِيبِ (٤)

ايهِ يا (عَبْدَ الحَمِيـد) انْظُـرْ إلى * والدٍ جَـمَّ الأَسَى بادِى الشُّحُوبِ (٥)

ذاهِـلٍ مِنْ فَرْطِ ما حَـلَّ به * بَيْنَ أَتْرابِكَ يَمْشِى كالغَرِيبِ

كُلَّمـا أَبْصَرَ منهـم واحِـدًا * هَزَّهُ الشَّـوْقُ إلى وَجْهِ الحَبِيبِ

يَسْأَلُ الأَغْصانَ فى إزْهارِها * عن أَخِيهـا ذٰلِكَ الغُصْنِ الرَّطِيبِ

يَسْأَلُ الأَقْمَارَ فى إشْـراقِهـا * عن مُحَيًّـا غابَ مِنْ قَبْـلِ المَغِيبِ (٦) (٧)

غَمَـرَ الحُزْنُ نَواحِى نَفْسِـه * وأَذابَتْ لُبَّـه سُـودُ الخُطُـوبِ

فهـو لا يَنْفَعُه العَيْشُ وهَـلْ * تَصْـلُحُ الأَبْدانُ مِنْ غَيْرِ قُـلُوبِ؟

---

(١) الشبل : ولد الأسد . ويعنى «بالجديب الموحش» : القبر .
(٢) ابتز : سلب . وذوى عوده : ذبل وجف .
(٣) ينتويك : يقصدك . وشرخ الصبا : ريعانه . والقشيب : الجديد
(٤) الآسى : الطبيب .
(٥) الأسى : الحزن . والشحوب : تغير اللون من حزن أو نحوه .
(٦) محيا الإنسان : وجهه
(٧) غمر الحزن نواحى نفسه ، أى شملها .

طـالِعِي يا شَمْسُ قَـبْرًا ضَمَّـهُ * بالتَّحايا فى شُـرُوقٍ وغُـرُوبِ

وآسِـكُنِي يا رَحْمَـةَ اللهِ بـه * واجْعَلِي فَيْضَكِ مُنْهَـلَّ السُّكُوب

رثاء عبد الحليم المصرى الشاعر المعروف

[نشرت فى ٨ يوليه سنة ١٩٢٢ م]

لَكَ اللهُ قد أَسْرَعْتَ فى السَّيْرِ قَبْلَنا * وآثَرْتَ يا "مِصْرِىُّ" سُكْنَى المَقابِرِ

وقد كنتَ فِينا يافَتَى الشِّعْرِ زَهْرَةً * تَفَتَّـحُ للأَذْهانِ قَبْـلَ النَّواظِرِ

فلَهْفِى على تلْكَ الأَنامِلِ فى البِـلَى * فكَمْ نَسَجَتْ قَبْلَ البِلَى مِنْ مَفاخِرِ

و يا وَيْحَ للأَشْـعارِ بَعْـدَ نَجِيِّهـا (١) * ووَيْحَ القَـوافى ساقَها غيرُ شاعِرِ

تَزَوَّدْتَ مِنْ دُنْيـاكَ ذِكْرًا مُخَـلَّدًا * وذاكَ لَعَمْـرى نِعْـمَ زادُ المُسافِرِ

وأَوْرَثْتَنـا حُزْنًا عليـكَ وحَسْرَةً * على فَقْـدِ سَـبَّاقٍ كَرِيمِ المَحـاضِرِ (٢)

فلَمْ تَثْوِ يا (عَبْدَ الحَلِيمِ) بحُفْـرَةٍ * ولكنْ بِرَوْضٍ مِنْ قَرِيضِكَ ناضِرِ (٣)

فـدِيوانُكَ الرَّيّانُ يُغْنِيـكَ طِيبُـه * عَنِ الزَّهْرِ مَطْلُولًا بِجَـوْدِ المَواطِرِ (٤)

فسامِرْ (أبا بَكْرٍ) هُنـاكَ فإنّه * سَـيَظْفَرُ فى عَدْنٍ بخَـيْرِ مُسامِرِ (٥)

---

(١) نجيها، أى من يناجيها . (٢) المحاضر: المجالس . (٣) ثوى بالمنزل: أقام به . (٤) الزهر المطلول: المبلل بالطل . والجود: المطر الكثير . والمواطر: السحب .

(٥) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لعبد الحليم المصرى فى سيرة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأولها:

أقضى أبا بكر عليهم قوافيا * وأمطر لسانى حكمة ومعانيا

هَنِيئًا لَكَ الدّارُ الّتى قد حَلَلْتَها * وأَعْظِمْ بِمَنْ جاوَرْتَه مِنْ مُجاوِرِ
عليكَ سَلامٌ ما تَرَنَّمَ مُنْشِدٌ * وقامَ خَطِيبٌ فَوْقَ هامِ ٱلمَنابِرِ (١)

ذكرى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده (٢)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم بالجامعة المصرية فى يوم الثلاثاء ١١ يوليه سنة ١٩٢٢ م

وقد ضمنها رثاء المرحوم حفنى ناصف بك

آذَنَتْ شَمْسُ حَياتِى بِمَغِيبِ * ودَنَا المَنْهَلُ يا نَفْسُ فِطِيبِى (٣)
إنّ مَنْ سارَ إليه سَيْرَنا * وَرَدَ الراحةَ مِنْ بَعْدِ اللُّغُوب (٤)
قد مَضَى (حفْنى) وهٰذا يَوْمُنا * يَتَدانَى فٱستَثيبى وأَنِيبى (٥)
وارْقُبِيهِ كلَّ يَوْمٍ إنّما * نحنُ فى قَبْضَةِ عَلّامِ الغُيُوب
أُذْكُرِى الموتَ لَدَى النَّوْمِ ولا * تُغْفِلِى ذِكْرَتَه عند الهُبُوب
وٱذكُرِى الوَحْشَةَ فى القَبْرِ فلا * مُؤْنِسٌ فيه سِوَى تَقْوَى القُلُوب
قَدِّمِى الخَيْرَ ٱحتِساباً فكَفَى * بعضُ ما قَدَّمْتِ مِنْ تِلْكَ الذُّنُوب
راعَنى فَقْدُ شَبابِى وأنَا * لا أراعُ اليَوْمَ مِنْ فَقْدِ مَشِيبِى
حَنَّ جَنْبايَ الى بَرْدِ الثَّرَى * حَيْثُ أُنْسَى مِنْ عَدُوٍّ وحَبِيبِ

---

(١) هام المنابر : رءوسها ؛ الواحدة هامة . (٢) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٤ من الجزء الأول .
(٣) آذنه بالأمر : أعلمه بقربه . والمنهل : المورد ؛ يريد به الموت . (٤) اللغوب : التعب .
(٥) استثيبى : اطلبى الثواب من الله . وأنيبى : ارجعى اليه بالطاعة .

مَضْجَعٌ لا يَشْتَكِي صاحِبُه * شِدَّةَ الدَّهْرِ ولا شَدَّ الخُطُوبِ (١)

لا ولا يُسْئِمُه ذاك الذى * يُسْئِمُ الأَحْياءَ مِنْ عَيْشٍ رَتِيبِ (٢)

قد وَقَفْنا سِتَّةً نَبْكِي على * عالِمِ المَشْرِقِ فى يَوْمٍ عَصِيبِ (٣)

وَقَفَ الخَمْسَةُ قَبْلِي فَمَضَوْا * هَكذا قَبْلِي وإِنِّى عَنْ قَرِيبِ

وَرَدُوا الحَوْضَ تِباعًا فقَضَوْا * بِٱتِّفاقٍ فى مَنايَاهُمْ عَجِيبِ

أَنا مُذْ بانُوا ووَلَّى عَهْدُهُمْ * حاضِرُ اللَّوْعَةِ مَوْصُولُ النَّحِيبِ (٤)

هَدَأَتْ نِيرانُ حُزْنِى هَدْأَةً * وٱنْطَوَى (حفْنِى) فعادَتْ للشُّبُوبِ

فَتَذَكَّرْتُ به يومَ ٱنْطَوَى * صادِقُ العَزْمَةِ كَشّافُ الكُرُوبِ (٥)

---

(١) شدّ الخطوب، أى حملها عليه . (٢) يريد «بالرتيب» : العيش الثابت المتكرر بحال واحدة لا تتغير؛ والذى وجدناه فى كتب اللغة بهذا المعنى : الراتب لا الرتيب . (٣) يشير بهذا البيت وما بعده الى قصة عجيبة، وهى أنه لما توفى المرحوم الشيخ محمد عبده رثاه على القبر ستة من الخطباء والشعراء، أولهم الشيخ أحمد أبو خطوة، ثم حسن عاصم باشا، ثم حسن عبد الرازق باشا الكبير، ثم قاسم أمين بك، ثم حفنى ناصف بك، ثم حافظ ابراهيم بك . واتفق أن مات الأربعة الأولون على ترتيب وقوفهم فى الرثاء، فلاحظ ذلك المرحوم حفنى بك ناصف، فبعث إلى حافظ بهذه الأبيات :

أتذكر اذ كنا على القبر ستة * نعدد آثار الإمام ونندب
وقفنا بترتيب وقد دب بيننا * ممات على وفق الرثاء مرتب
أبو خطوة ولى وقفاه عاصم * وجاء لعبد الرازق الموت يطلب
فلبى وغابت بعده شمس قاسم * وعما قليل نجم محياى يغرب
فلا تخش هلكا ما حييت وأن أمت * فما أنت الا خائف تترقب
فخاطر وقع تحت القطار ولا تخف * ونم تحت بيت الوقف وهو مخرب
وخض لجج الهيجاء أعزل آمنا * فإن المنايا عنك تنأى وتهرب

فلما توفى حفنى بعد ذلك نظم حافظ مرثيته تلك . (٤) باتوا : بعدوا .

(٥) يريد «بصادق العزمة» : المرحوم الشيخ محمد عبده .

يـــومَ كَفَّنّاه فى آمالِنـا * وذَكَرْنا عِنْـدَه قَـوْلَ (حَبِيب) : (١)

عَرَفُوا مَنْ غَيَّبُوه وكذا * تُعْرَفُ الأَقْمَارُ مِنْ بَعْدِ المَغِيب (٢)

وخُدِعْنا بإمامٍ مُصْـلِحٍ * عامِـرِ القَلْبِ وأَوّابٍ مُنِيـب (٣)

كَمْ له من باقِياتٍ فى الهُدَى * والنَّدَى بين شُرُوقٍ وغُرُوب

يَبْـذُلُ المَعْرُوف فى السِّـرِّ كما * يَرْقُبُ العاشِـقُ إغْفَـاءَ الرَّقِيب (٤)

يُحْسِنُ الظَّنَّ به أعـداؤُه * حِينَ لا يَحْسُنُ ظَنٌّ بقَـرِيب

تَنْزِلُ الأَضْيافُ منـه والمُـنَى * والحِلالُ الغُرُّ فى مَرْعًى خَصِيب

قد مَضَتْ عَشْرٌ وسَـبْعٌ والنُّهَى * فى ذُبُـولٍ والأَمانِى فى نُضُـوب (٥)

تَرْقُبُ الأُفْـقَ فلا يَبْـدُو به * لامِـعٌ مِنْ نُـورِ هادٍ مُسْتَثِيب (٦)

ونُنَادِى كلَّ مَأْمُـولٍ وما * غيرُ أَصْـداءِ المُنَادِى مِنْ مُجِيب

دَوِىَ الجُـرْحُ ولَمْ يُقْـدَرْ له * بَعْدَ ثاوِى (عَيْنِ شَمْسٍ) مِنْ طَبِيب (٧)

أَجْدَبَ العِـلْمُ وأَمْسَى بَعْـدَه * رائِـدُ العِرْفانِ فى وادٍ جَدِيب (٨)

---

(١) حبيب ، هو ابن أوس الطائى ، المكنّى أبا تمام ، الشاعر المعروف .

(٢) يلاحظ أن هذا البيت قد ورد فى شعر حبيب بن أوس بمعناه قال يرثى إسحاق بن أبى ربعى :

قـــد علمت مارزئت إنما * يعرف فقد الشمس عند المغيب

ولم يرد بلفظه كما توهمه عبارة حافظ فى البيت الذى قبله .

(٣) الأوّاب : كثير الرجوع إلى الله . والمنيب : من أناب ، بمعنى رجع .

(٤) الإغفاء : النوم .

(٥) النضوب : الجفاف .

(٦) مستثيب ، أى يطلب ممن ضل طريق الهدى أن يثوب إليه ، أى يرجع .

(٧) دوى : صار ذا داء . والثاوى : المقيم . وعين شمس : البلد الذى كان يسكنه الفقيد ، وهى ضاحية من ضواحى القاهرة معروفة .

(٨) الرائد : الطالب .

رَحْمَةُ الدِّينِ عليه كلَّما * خَرَجَ التفسيرُ عن طَوْقِ الأَرِيبِ (١)

رَحْمَةُ الرأْيِ عليه كلَّما * طاشَ سَهْمُ الرأْيِ فى كَفِّ المُصِيبِ

رَحْمَةُ الفَهْمِ عليه كلَّما * دَقَّت الأَشْياءُ عن ذِهْنِ اللَّبِيبِ

رَحْمَةُ الحِلْمِ عليه كلَّما * ضاق بالحِدْثانِ ذُو الصَّدْرِ الرَّحِيبِ

ليسَ فى مَيْدانِ (مِصْرٍ) فارِسٌ * يَرْكَبُ الأَخْطارَ فى يَوْمِ الرُّكُوبِ

كلَّما شارَفَه مِنّا فَتًى * غالَه المِقْدارُ مِنْ قَبْلِ الوُثُوبِ (٢)

ما تَرَى كيف تَوَلَّى (قاسِمٌ) * وهو فى المَيْعَةِ والبُرْدِ القَشِيبِ (٣)

أَنْسِيَ الأَحْياءُ ذِكْرَى (عَبْدِه) * وهِيَ للمُسْتافِ مِنْ مِسْكٍ وطِيبِ (٤)

إنّهم لو أَنْصَفُوها لبَنَوْا * مَعْهَدًا تَعْتادُه كفُّ الوَهُوبِ (٥)

مَعْهَدًا للدِّينِ يُسْقَى غَرْسُه * مِنْ نَمِيرٍ فاضَ مِنْ ذَاكَ القَلِيبِ (٦)

ونَسِينا ذِكْرَ (حِفْنِى) بَعْدَه * ودَفَنَّا فَضْلَه دَفْنَ الغَرِيبِ

لَمْ تَسِلْ مِنّا عليه دَمْعَةٌ * وهو أَوْلَى الناسِ بالدَّمْعِ الصَّبِيبِ (٧)

---

(١) الطوق : الجهد والطاقة . والأريب : العاقل البصير . ويريد « بالتفسير » : تفسير القرآن الكريم ، وكان الفقيد يتولى تدريسه بالأزهر .

(٢) شارفه : أشرف عليه ودنا منه .

(٣) ميعة الشباب : أوّله . والقشيب : الجديد . وقاسم ، هو المرحوم قاسم بك أمين .

(٤) استاف الطيب : شمّه .

(٥) تعتاده ، أى تتعوّد الإنفاق عليه وتتعهده بالبذل .

(٦) الماء النمير : الناجع فى الرى . والقليب : البئر . ويريد به الفقيد .

(٧) الصبيب : المنصبّ .

سَكَنَتْ أَنفاسُ (حفْنِى) بَعْـدَ ما * طَيَّبَتْ فى الشَّرْقِ أَنفاسَ الأَدِيبِ (١)

عاشَ خِصْبَ العُمْرِ مَوْفُورَ الجِجَا * صادِقَ العِشْرَةِ مأْمُونَ المَغِيب

تأبين حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدى بك (٢)

قالها فى الحفل الذى أقامه الأحرار الدستوريون لتأبين الفقيدين

[يوم الأربعين ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢ م]

عَلَمـانِ مِنْ أَعْلامِ مِصْـ * ـرَ عَدَا الرَّدَى فَطواهُمَـا

(حَسَنٌ) و(زُهْدِى) لَمْ يُمَـ * ـتِّعْ بالشَّبابِ كِلاهُمَـا

سَلَكَا سَبِيلَ الحَـقِّ ما * عاشَـا وما أَوْلاهُمَـا!

دَاسَ الأَثِـيمُ حِماهُما * تَحْتَ الدُّجَى ودَهاهُمَـا

فَرَمَى النُّهَى والفَضْلَ مُجْـ * ـتَمِعَيْنِ حِـينَ رَماهُمَـا

إنْ تَذْكُرُوا هِمَمَ الرِّجا * لِ فقَدَّمُوا ذِكْراهُمَـا

أَوْ تَسْـأَلُونِى عَنْ شَهِيـ * ـدَىْ مَبْـدَإٍ فهُمَا هُمَـا

---

(١) سكون الأنفاس : كناية عن الموت . ويريد بقوله « طيبت فى الشرق أنفاس الأديب » : أن أدباء الشرق قد تحزجوا عليه ، وأخذوا من أدبه وفضله ما طابت به منشآتهم وارتفع به أدبهم .

(٢) فى مساء الخميس ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ م ، اعتدى معتد على عضوين من أعضاء حزب الأحرار الدستوريين ، هما المرحومان حسن عبد الرازق باشا واسماعيل زهدى بك ، فرماهما بالرصاص ولم يمهلهما الأجل إلا أياما ، فتوفى اسماعيل بك أولا ، وتوفى حسن باشا بعده ، وكان مبعث هذا الاعتداء الخلاف السياسى بين الأحزاب .

رثاء إسماعيل صبرى باشا (١)

أنشدها فى حفل التأبين الذى أقيم فى فناء مدرسة المعلمين بالمنيرة فى مايو سنة ١٩٢٣ م ، وحين وقف لإنشاد هذه القصيدة أكثر المجتمعون التصفيق ترحيبا به ، فقال مرتجلا :

أَكْثَرْتُمُ التَّصْفِيقَ فى مَوْطِنٍ * كان البُكَا فيه بِنَا أَلْيَقَا

فَأَكْرِمُوا (صَبْرِى) بِإِنْصَاتِكُمْ * ولْيُعْذَرِ الدَّمْعُ إذا صَفَّقَا

ثم ابتدأ فى إنشاد قصيدته :

نَعَاكَ النَّعَاةُ وحُمَّ القَدَرْ * ولَمْ يُغْنِ عَنَّا وعَنْكَ الحَذَرْ (٢)

طَوَتْ ذَبْحَةُ الصَّدْرِ صَدْرَ النَّدَى * فَلَمْ تَطْوِ إلّا سِجِلَّ العِبَرْ (٣)

فَأَمْسَيْتَ تُذْكَرُ فى الغَابِرِين * وإنْ قَلَّ مِثْلُكَ فِيمَنْ غَبَرْ (٤)

إذا ذُكِرَتْ سِيَرُ النَّابِهِين * فسِيرَةُ (صَبْرِى) تَجُبُّ السِّيَرْ (٥)

لقد كنتَ بَرًّا بِظِلِّ الشباب * فلمّا تَقَلَّصَ كُنتَ الأَبَرّ (٦)

---

(١) ولد المرحوم اسماعيل صبرى باشا فى سنة ١٨٥٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر ونال شهادة الحقوق ، سافر الى أوربا فأتم علومه القانونية هناك ، ونال الشهادة من كلية أكس ، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، وآخر منصب تولاه وكالة الحقانية ، واعتزله فى سنة ١٩٠٧ ، وكانت وفاته فى ربيع سنة ١٩٢٣ م . وشعره معروف برقة ولطف الصياغة وجودة النسيب ، كما اشتهر بالإجادة فى المقطعات الصغيرة ، وإلى هذا يشير حافظ فى مرثيته .

(٢) حم القدر : قضى (بالبناء للمجهول فيهما) . ويريد « بالقدر » : الموت .

(٣) يشير الى أن العقيد توفى بالذبحة الصدرية ، وقد عاش مصابا بها رحمه الله أعواما طويلة . والندى : مجلس القوم ومتحدثهم .

(٤) الغابرون : الماضون .

(٥) تجب السير : تقطعها وتذهب بها . يقول : إنه إذا ذكر الفقيد لم يذكر سواه فى النابهين من الرجال .

(٦) تقلص الظل : تقبض . يريد أنه قد بعد عن الإثم فى شبابه ، فلما ذهب شبابه كان بعده عن الإثم أشد .

فـلَم تَسْتَبِقْ نَزْوَةً فى الصِّبا * ولَم تَسْتَبِحْ هَفْـوَةً فى الكِبَرْ

أُهَنِّى الثَّرَى أم أعَزِّى الوَرَى * لقـد فازَ هٰـذا وهٰـذا خَسِر

أَأَقْوَلَ يـومٍ لعَهْـدِ الرَّبِيـع * تَجِفُّ الرِّياضُ ويَذْوَى الزَّهَر (١) ؟

ويَذْبُلُ زَهْرُ القَريضِ الثَّرِىّ * ويُقْفِرُ رَوْضُ القَوافِى الغُـرَر (٢)

لِيَهْدَأْ (عُمـانُ) فعَوّاصُه * أُصِيبَ وأَمْسَى رَهِـينَ الحُفَر (٣)

فقـد كانَ يَعْتَـادُه دائِبًـا * بَكُورًا رَؤُوحًا لنَهْبِ الدُّرَر (٤)

يَقُـولُ فيُرْخِصُ دُرَّ النُّحُـور * ويُغْلِى جُمـانَ بَنـاتِ الفِـكَر (٥)

يَسُـوقُ القِصارَ فيَأْبَى العِثـار * وكَم مِنْ مُطِيـلٍ مُمِـلٍّ عَثَر (٦)

قِصـار وحَسْبُ النُّهَى أنّهـا * لهـا مُعْجِزاتُ قِصارِ السُّـوَر

رُحِمْتَ، فقد كنتَ حُلْوَ اللِّسان * جَلِىَّ البَيانِ صَـدُوقَ الخَـبَر

قليـلَ التَّعَجُّبِ جَـمَّ الأَناة * حَكِيمَ الوُرُودِ حَكِيمَ الصَّـدَر (٧)

شَمـائِلُكَ الغُـرُّ هُنَّ الرِّياض * رَوَى عن شَذاها نَسِيمُ السَّحَر (٨)

---

(١) ذوى الزهر : ذبل . ويشير بهذا الى أن وفاة الفقيد كانت فى فصل الربيع .

(٢) القريض الثرى : الغنى بمعانيه وألفاظه . (٣) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة باللؤلؤ المستخرج من بحرها . ويريد الشاعر بهذا البيت تشبيه شعر الفقيد باللؤلؤ الذى يؤتى به من بحر عمان .

(٤) يعتاده دائبا ، أى يواظب على استخراج اللآلئ منه ليرصع بها شعره . (٥) الجمان : اللؤلؤ الواحدة جمانة . ويريد « ببنات الفكر » : معانى الشعر . (٦) يشير الى أن الفقيد كان أجود ما يكون شعره فى المقطوعات القصيرة . (٧) الأناة : التأنى . ويريد « بحكيم الورود ... » الخ : أنه بصير بمواقع الأمور يحسن الدخول اليها والخروج منها . (٨) الشذا : الرائحة الطيبة .

لها مِثْلُ رَوْحِ الدُّعاءِ ٱستُجيب * فعافَى وآوَى وأَغْنَى وسَتَرْ (١)

إذا ما وَرَدْتَ لها مَنْهَلاً * وَرَدْتَ نَمِيراً لَدِيدَ الخَصَر (٢)

وفِكْرُكَ فى خِصْبِهِ ثَرْوَةٌ * لِفِكْرِ الأَدِيبِ إذا ما افْتَقَر (٣)

وشِعْرُكَ كالماءِ فى صَفْوِهِ * على صَفْحَتَيْهِ تَرَاءَى الصُّوَر (٤)

عُيُونُ القَصَائِدِ مِثْلُ العُيون * وشِعْرُكَ فيهِنَّ مِثْلُ الحَوَر (٥)

وكم لَكَ شَكْوَى هَوًى أو أَسًى * لها نَفَثَاتٌ تُذِيبُ الحَجَر

هَتَفْتَ بها مَرَّةً فى الهَجِير * فكادَ يَدِبُّ إليكَ الشَّجَر (٦)

وكم كنتَ تُشْعِلُ فَحْمَ الدُّجَى * بأَنْفَاسِ صَبٍّ طَوِيلِ السَّهَر (٧)

فيا وَيْحَ قَلْبِكَ ما ذا أَلَمَّ * عليهِ مِنَ الدَّاءِ حتَّى ٱنفَطَر

أَيَخْفُقُ تحتَ الدُّجَى وَحْدَهُ * لِذِكْرَى أَلِيفٍ سَلا أو هَجَر (٨)

---

(١) الروح : الراحة .

(٢) النمير : الماء الناجع فى الرى . وخصر الماء ، (بالتحريك) : برودته .

(٣) يريد بهذا البيت أن الأدباء يستمدون من معانيه إذا أعوزتهم المعانى .

(٤) تراءى ، تتراءى ، أى تبين وتظهر .

(٥) عيون القصائد : نفائسها وكرائمها . والحور فى العين : اشتداد البياض والسواد فى بياضها وسوادها ، واستدارة حدقتها ، ورقة جفونها .

(٦) الهجير : شدة الحر . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للمرحوم اسماعيل صبرى باشا ، أولها :

يا سرحة بجوار الماء ناضرة * سقاك دمعى اذا لم يوف ساقيك

عار عليك وهذا الظل منتشر * فنك الهجير بمثلى فى نواحيك

(٧) يشير بهذا البيت الى مقطوعات الفقيد فى النسيب والشوق ، وهى من أنفس شعره .

(٨) يشير بهذا البيت الى قول الفقيد يخاطب فؤاده :

سلا الفؤاد الذى شاطرته زمنا * حمل الصبابة فٱخفق وحدك الآنا

إذا قيلَ (صَبْرِى) ذَكَّرْتُ (الوَلِيد) (١) * ومَرَّتْ بنَفْسِى ذِكْرَى (عُمَرْ)
يَزِينُ تَواضُعُه نَفْسَـــه * كما زانَ حُسْنَ المَلاحِ الخَفَرْ (٢)
زَكِىُّ المَشاعِرِ عَفُّ الهَوَى * شَهِىُّ الأَحادِيثِ حُلْوُ السَّمَرْ (٣)
لقد كنتُ أَغْشَاهُ فى دارِه * ونادِيهِ فيها زَها وازْدَهَـــر
وأَعْرِضُ شِعْرِى على مَسْمَعٍ * لَطِيفٍ يُحِسُّ نُبُـــوَّ الـــوَتَرْ (٤)
على سَمْعٍ باقِعَـــةٍ حاضِـــرٍ * يَمِيزُ القَـــدِيمَ مِنَ المُبْتَكَرْ (٥)
فيَصْقُلُ لَفْظِىَ صَقْلَ الجُمَـان * ويَكْسُوه رِقَّـــةَ أَهْـــلِ الحَضَرْ (٦)
يُرَقْـــرِقُ فيـــه عَبِـــيرَ الجِنـــان * فتَسْـــتافُ منـــه النُّهَى والفِكَرْ (٧)
كذلك كان ــ عليه السَّلام ــ * إماماً لكلِّ أَدِيبٍ شَـــعَرْ
فكُنَّا الجَداوِلَ تُرْوِى الظِّماء * ظِماءَ العُقُـــولِ وكان النَّهَـــرْ (٨)
زَهِـــدْتَ عـــلى شُهْرَةٍ طَبَّقَتْ * وجاهٍ أَظَـــلَّ وفَضْـــلٍ بَهَـــرْ (٩)

---

(١) يريد «بالوليد وعمر» : أبا عبادة البحترى وعمر بن عبد الله بن أبى ربيعة القرشى المخزومى ، الشاعرين المعروفين . شبه بهما الفقيد فى رقة الأسلوب ، وعذوبة الألفاظ ، وطرافة المعانى ، وحسن النسيب . وكان اسماعيل صبرى رحمه الله ، يعجب كثيرا بشعر البحترى و يفضله على غيره من الشعر .

(٢) الخفر : شدة الحياء . (٣) زكى المشاعر : طاهرها . وعف الهوى : عفيفه فلا يدعوه حبه الى ارتكاب مأثم . (٤) يريد بقوله «يحس نبو الوتر» : أنه كان يدرك بلطف حسه ودقة ذوقه ما نبا من الألفاظ والعبارات ، وند عما جاوره ولم ينسجم معه فى البيت أو القصيدة .

(٥) الباقعة : الذكى العارف الذى لا يفوته شىء . (٦) يصقل لفظى ، أى يجلوه و يحسنه .

(٧) العبير : الرائحة الطيبة . وتستاف : تشم . والنهى : العقول .

(٨) الجداول : الأنهار الصغيرة من النهر الكبير . (٩) أظل : أى أمتد ظله واتسع .

خَلْعَتَ الشَّبابَ فَلَمْ تَبْكِهِ * وساءَكَ أنَّكَ لَمْ تُخْتَضَرْ (١)

وقد ذُقْتَ طَعْمَ الرَّدَى عِنْدَما * أُصِيبَ قِطارُكَ يومَ السَّفَرْ (٢)

فأقْسَمْتَ أنَّكَ أَلْفَيْتَهُ * لَذِيذَ المَذاقَةِ إذْ تُحْتَضَرْ (٣)

تَمَنَّيْتَ أنْ لَمْ تَعُدْ للحياةِ * ولكنْ أباها عليكَ القَدَرْ

وكم ساعةٍ بين ساعِ الحَياةِ * سَقَتْكَ المُرارَ بكأْسِ الضَّجَرْ (٤)

فَرُحْتَ الى أُخْتِها شاكِيًا * أَذاتَكَ منها فكانَتْ أَمَرْ (٥)

فَفَتَّشْتَ أثْناءَها جاهِدًا * بِعَيْنَيْ بَصِيرٍ بَعِيدِ النَّظَرْ

فَلَمْ تَرَ فيها على طُولِها * هُنَيْهَةَ صَفْوٍ خَلَتْ مِنْ كَدَرْ (٦)

---

(١) احتضر فلان بالبناء للمجهول : مات غضا شابا . (٢) يشير بهذا البيت واللذين بعده الى ما حدث للفقيد أيام كان محافظا لمدينة الاسكندرية ، وذلك أنه بينما كان راكبا قطار الرمل عائدا إلى منزله من زيارة صاحب السمو الخديوى عباس الثانى إذ اصطدم القطار الذى كان يقله مع قطار آخر ، وقد أصيب فى هذه الحادثة كثيرون من الركاب باصابات مختلفة ، وتوفى بعضهم ، وقد أغمى على الفقيد إغماء طويلا ، وأصيب بارتجاج فى مخه ، حتى إنه كان بعد ذلك كثير النسيان من أثر ذلك ، كما أصيب برضوض فى كتفه الأيسر ، وكان يتحدث الى جلسائه بأنه قد ذاق طعم الموت فى هذا الحادث فوجده لذيذ المذاق ، وكان يتمنى أن لم تعد اليه الحياة ثانية . (٣) احتضر فلان (بالبناء للمجهول) : حضره الموت .

(٤) الساع : جمع ساعة . والمرار بالضم : شجر شديد المرارة . شبه الأحزان والهموم بعصارة هذا النبات . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للفقيد فى الساعة ، أولها :

كم ساعة آلمنى مسها * وأزعجنى بدها القاسيه

(٥) يشير بهذا : الى قول الفقيد فى مقطوعة الساعة التى سبقت الإشارة إليها :

وكم سقتنى المر أخت لها * فرحت أشكوها إلى التاليه

فأسلمتنى هذه عنوة * لساعة أخرى وبى مابيه

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى قول الفقيد فى مقطوعة الساعة أيضا :

فتشت فيها جاهدا لم أجد * هنيهة واحدة صافيه

وما زِلْتَ تَشْكُو الى أَنْ أَتَتْ * كما تَشْتَهِى ساعةٌ لَمْ تَذَرْ (١)

فلا صَدَّ تَخْشاه بَعْدَ الوِصال * ولا ضَعْفَ تَشْكُوه بَعْدَ الأَشَرْ (٢)

أَرِيحَ فُؤادُكَ مِمَّا ضَناه * وصَدْرُكَ مِمَّا عليه انْكَدَرْ (٣)

تَمَنَّيْتَها خُطْوَةً لِلْمَمات * تُفَرِّجُ عنكَ كُرُوبَ الغِيَرْ (٤)

وها قَدْ خَطاها ونِلْتَ المُنَى * فهَلْ فى المَماتِ بُلُوغُ الوَطَرْ (٥)

صَدَقْتَ ففى المَوْتِ نَصْرُ الأَبِىّ * على الدَّهْرِ إنْ هُوَ يَوْماً غَدَرْ

مَلِئْتَ الثَّواءَ بدارِ الزَّوال * فماذا رَأَيْتَ بدارِ المَقَرْ (٦)

أَتَحْتَ التُّرابِ يُضَامُ الكَرِيم * ويَشْقَى الحَلِيمُ ويَخْفَى القَمَرْ؟

ويُهْضَمُ حَقُّ الأَدِيب الأَرِيب * ويُطْمَسُ فَضْلُ النَّبِيه الأَغَرّ؟ (٧)

أتحتَ التّرابِ تُساقُ الشُّعوب * بسَوْطِ العُبُودَةِ سَوْقَ البَقَرْ؟

ويُعْقَدُ مُؤْتَمَرٌ للسَّلام * فَنَخْرُجُ منه إلى مُؤْتَمَرْ؟

---

(١) ساعة لم تذر : يريد ساعة الموت ؛ ويشير بهذا البيت الى قول الفقيد فى آخر مقطوعة الساعة :

يا شاكى الساعات أسمع عتبى * تبيك منها الساعة الماضيه

(٢) الأشر : البطر؛ وقابله بالضعف لأن الأشر انما يكون مع القوة والقدرة .

(٣) مما عليه انكدر، أى مما انصبّ عليه من الهموم .

(٤) الغير : تغيرات الزمان ونوائبه . ويشير بهذا البيت والذى بعده إلى قول الفقيد :

يا موت هأنذا تخذ * ما أبقت الأيام منى

بنى وبينك خطوة * إن تخطها فرجت عنى

(٥) الوطر : الحاجة . (٦) الثواء : الإقامة .

(٧) الأريب : العاقل الفطن .

فإنْ كان ما عِنْدَنا عِنْدَكُمْ * فليسَ لنا مِنْ شَقاء مَفَرّْ
خِضَمُّ الحَياةِ بَعِيدُ النَّجاة * فطُوبَى لراكِبِه إنْ عَبَرْ (١)
فعُدْ سالِمًا غانِمًا للتّراب * كَرَأْيِكَ فى الموتِ وآهَنأْ وَقَرّْ

رثاء سعيد زغلول (٢)

أنشدها على قبر الفقيد بعد دفنه

[نشرت فى ٢١ يوليه سنة ١٩٢٣ م]

ما أنتَ أوّل كَوْكَب * فى الغَرْبِ أدْرَكَه المَغِيبْ
فهُناكَ أقْمارُ المَشا * رِقِ قد أُتِيحَ لها الغُرُوب
دانَسَ الحِمامُ عَرِينَ خا * لِكَ، وهو مَرْهُوبٌ مَهِيب (٣)
لَمْ يَثْنِه عَنْكَ الرَّئِيـ * ـسُ ولا رَمَى عَنْكَ الخُطُوب (٤)
يا (سَعْدُ) كَيْفَ قَضَى (سَعِيـ * ـدٌ) وهْوَ مِنْ (سَعْدٍ) قَرِيب؟

(١) الخضم : البحر .

(٢) نشأ سعيد زغلول فى ظل حاله المغفور له سعد زغلول باشا ، وبعد أن تخرّج فى مدرسة الحقوق عين مساعداً للنيابة ، ثم انتقل الى الديوان السلطانى فى أيام المغفور له السلطان حسين كامل ، ثم عاد إلى النيابة ثانية ، ثم عين قاضيا فى محكمة الزقازيق . ولما سئم حاله الوحدة ، وكان إذ ذاك منفيا بجبل طارق ، استدعاه إليه فكان معه فى جبل طارق ، وصحبه فى سفره بعد ذلك إلى أوربا ، وقد أصيب بمرض لم يمهله إلا أياما ؛ وكانت وفاته فى ١٠ يوليه سنة ١٩٢٣ م ، ثم نقل جثمانه من أوربا الى مصر .

(٣) العرين : مأوى الأسد .

(٤) لم يثنه : لم يصرفه . ويريد « بالرئيس » رئيس الوفد المصرى المرحوم سعد زغلول باشا .

عَجَبًا ! أَتَحْمِى أُمَّةً * وتَخافُ جانِبَكَ الخُطُوبْ (١)

ويُغَالُ ضَيْفُكَ وابنُ أُخْـ * ـتِكَ وهْوَ عَنْ (مِصْرٍ) غَرِيب ؟

نُبِّئْتُ أَنَّكَ قد بَكَيْـ * ـتَ وهالَكَ اليَوْمُ العَصِيب

واذا بَكَى (سَعْدٌ) بَكَتْ * لِبُكائِه مِنّا القُلُوب

يا (آلَ زُغْلُولٍ) ذَوَى * مِنْ رَوْضِكُمْ غُصْنٌ رَطِيب (٢)

فَقَدَتْ به (مِصْرٌ) فَتًى * أَخْلاقُه مِسْكٌ وطِيب

يا (آلَ زُغْلُولٍ) وَعُو * دُكُمُ على الجُلَّى صَلِيب (٣)

إنِّى لأَخْجَلُ أَنْ أُعَزِّيَكُمْ وكلُّكُمُ أَرِيب (٤)

شاكِى سِلاحِ الصَّبرِ مُمْـ * ـتَحِنٌ لِدُنْيَاهُ لَبِيب (٥)

خَطْبُ الكِنانَةِ فى فَقِيـ * ـدِكُمُ لِخَطْبِكُمُ يُشِيب (٦)

لَمْ يَبْقَ مِنّا واحِدٌ * إلّا له مِنْه نَصِيب

---

(١) يلاحظ أن فى هذا الشعر إيطاء، لتكرير لفظ «الخطوب» فى بيتين ليس بينهما غير بيت واحد .

(٢) ذوى : ذبل .

(٣) الجلى : المصيبة العظمى . وصليب ، أى صلب .

(٤) الأريب : ذو العقل والرأى .

(٥) شاكى سلاح الصبر، أى متسلح بالصبر، قوى به على مواجهة الخطوب .

(٦) «لخطبكم» ... الخ، أى خطب مصر لأجل الخطب الذى أصبتم به يشيب الرأس لعظم هوله .

رثاء محمد سليمان أباظه بك[1]

[في سنة ١٩٢٣ م]

مَنْ لَمْ يَذُقْ فَقْدَ أَلِيفِ الصِّبَا * لَمْ يَدْرِ ما أَبْدِي وما أُضْمِرُ

أَفْقَدَنِي المَوْتُ بِهِ وافِيًا * لا يَعْرِفُ الخَتْلَ ولا يَغْدِرُ[2]

تَقْرَأُ فِي عَيْنَيْهِ كُلَّ الَّذِي * فِي نَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ يَسْتُرُ

ثَلاثَةٌ لَمْ تَعْرُ عَنْ عِفَّةٍ : * لِسانُهُ والذَّيْلُ والمِئْزَرُ[3]

قَدْ كانَ مِثْلاً لأَمْوالِهِ * وكانَ نَهْضًا بِمَنْ يَعْثُرُ

أُوثِرُكَ أَنْ يُفْقِرَهُ جُودُهُ * ومِنْ صُنُوفِ الجُودِ ما يُفْقِرُ

أُصِيبَ فِيهِ المَجْدُ يَوْمَ انْطَوَى * والعُرْفُ والسائِلُ والمُعْسِرُ[4]

* * *

كُنَّا على عَهْدِ الصِّبا سَبْعَةً * بِمُسْتَطابِ اللَّهْوِ نَسْتَأْثِرُ

(البابِلِي) صَفْوَةُ فِتْيانِنا * و(ابنَ المُولْحِي) الكاتِبُ الأَشْهَرُ[5]

و(صادِقٌ) خيرُ بَنِي (سَيِّدٍ) * و(بَيْرَمٌ) إِذْ عُودُهُ أَخْضَرُ

وكانَ (عَبْدُ اللهِ) أُنْسًا لَنا * وأُنْسُ (عَبْدِ اللهِ) لا يُنْكَرُ

هُوَ كَرِيمٌ لَمْ يَشُبْ صَفْوَهُ * رِجْسٌ ولَمْ يُشْهَدْ مُسْتَهْتِرُ[6]

---

(١) محمد سليمان أباظه بك ، هو ابن سليمان أباظه باشا ولد سنة ١٨٧٢ وتعلم في مدرسة البوليس ثم كان ضابطا الى سنة ١٨٩٧ م ثم تولى عدة أعمال أخرى آخرها وكالته لمصلحة الأملاك وتوفي سنه ١٩٢٣ م .

(٢) الختل : الخداع . (٣) المئزر: الازار . وعفة المئزر: كناية عن عفة ما تحته . (٤) العرف : المعروف . (٥) انظر التعريف بالبابلي والمولحي (في الحاشية رقم ٥ صفحة ١٠٦ والحاشية رقم ٣ من صفحة ١٠٥ من الجزء الأول عن الترتيب) . (٦) لم يشب : لم يخالط . والرجس : النجس .

فكم لنا مِنْ مَجْلِسٍ طَيِّبٍ * يَشْتَاقُهُ (هارُونُ) أو (جَعْفَرُ)[1]

نَلْعَبُ باللَّفْظِ كما نَشْتَهِي * ونُضْمِرُ المَعْنَى فما يَظْهَرُ

ونُرْسِلُ النُّكْتَةَ مَحْبُوكَةً * عَنْ غَيْرِنا فى الحُسْنِ لا تَصْدُرُ

ثم أنطَوَى هٰذا وهٰذا وما * يُطْوَى مِن الأيّام لا يُنْشَرُ

كم دَوْحَةٍ أَوْدَى بها عاصِفٌ * والنَّجْمُ مِنْ مَأْمَنِهِ يَنْظُرُ[2]

ذكرى المرحوم محمد أبى شادى بك[3]

عَجِبْتُ أَنْ جَعَلُوا يَوْمًا لِذِكْرَاكَا * كأَنَّنَا قد نَسِينا يومَ مَنْعَاكَا

إذا سَلَتْ (يا أَبَا شَادِى) مُطَوَّقَةٌ[4] * ذِكْرَ الهَدِيلِ فَثِقْ أنّا سَلَوْنَاكَا

فى مُهْجَةِ (النِّيلِ) والوادِى وساكِنِهِ * رَجْعٌ[5] لَصَوْتِكَ مَوْصُولٌ بِذِكْرَاكَا

قد عِشْتَ فِينَا نَمِيرًا[6] طابَ مَوْرِدُه * أَسْمَى سَجَايَا الفَتَى أَدْنَى سَجَايَاكَا

---

(١) يريد هارون الرشيد، وجعفر بن يحيى البرمكى وزيره، وقد توفى جعفر مقتولا بأمر الرشيد سنة ٨٧ هـ.

(٢) الدوحة: الشجرة العظيمة.

(٣) كان المرحوم محمد أبو شادى بك علما من أعلام المحاماة وإليه انتهت رآسة نقابة المحامين حينا من الزمن كما كان صحفيا مبرزا وأنشأ صحيفة يومية سماها «الظاهر» وانتخب عضوا فى مجلس النواب وتوفى فى ٣٠ يونية سنة ١٩٢٥ م.

(٤) المطوقة: الحمامة، لما يحيط بعنقها من لون يخالف سائر لونها. والهديل: زعم بعض الأعراب أنه فرخ من الحمام قديم مات ضيعة وعطشا، فيقولون: ما من حمامة إلا وهى تبكى عليه.

(٥) رجع الصوت: صداه.

(٦) النمير: الماء الناجع فى الرى. ويريد بقوله «أسمى سجايا»: أن أعلى ما يحلى به الناس من صفات فاضلة هو أقل ما تحلى به من شيم ومكارم.

فما كأولاكَ فى برٍّ وفى كرمٍ * أولى كريمٍ، ولا عُقْبى كعُقْبَاكا

قضيةُ الوَطَنِ المَغْبُونِ، قد مَلأَتْ * أنحاءَ نفسكَ شُغْلًا عن قضاياكا

أبْلَيْتَ فيها بَلاءَ المُخْلِصين لها * وكان سَهْمُكَ أنّى رِشْتَ فتّاكا (١)

أجْمَلْتَ ما فصّلُوه فى قصائدِهِمْ * حتّى لقد نَضَّرُوا بالحَمْدِ مَثْواكا (٢)

لم يُبْقِ لى قِيدَ شِبْرٍ صاحباىَ ولَمْ * يَفْسَحْ لىَ القَوْلَ لا هٰذا ولا ذاكا

يا مُدمِنَ الذِّكرِ والتَّسْبِيحِ مُحْتَسِبًا * هأنْتَ فى الخُلْدِ قد جاوَرْتَ مَوْلاكا

لو لم يَكُنْ لكَ فى دُنْياكَ مَفْخَرَةٌ * سِوَى (زَكِىٍّ) لقد جَمَّلْتَ دُنْيَاكا (٣)

رثاء المغفور له سعد زغلول باشا

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبين الفقيد فى ٧ أكتوبر سنة ١٩٢٧ م

إيهِ يا لَيْلُ هَلْ شَهِدْتَ المُصابَا * كيف يَنْصَبُّ فى النُّفُوسِ انصبابا؟

بَلِّغِ المَشْرِقَيْنِ قَبْلَ انْبِلاجِ الصُّـ * ـبْحِ أنَّ الرئيسَ وَلَّى وَغابَا (٤)

وَانْعَ للنَّيِّراتِ (سَعْدًا) فَـ (سَعْدٌ) * كان أمْضَى فى الأرضِ منها شِهابا

قُدَّ يا لَيْلُ مِنْ سَوادِكَ ثَوْباً * للدَّرارِى وللضُّحَى جِلْبابا (٥)

---

(١) راش السهم يريشه، اذا ألصق به الريش ليكون أسرع فى مضيه .

(٢) نضروا، من النضرة، وهى الحسن والبهجة . ومثواك : قبرك .

(٣) المراد « بزكى » : الدكتور أحمد زكى أبو شادى، ابن الفقيد .

(٤) انبلاج الصبح : إشراقه . (٥) قدّ : اقطع . والدرارى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : الكواكب المضيئة الصافية الشعاع .

أُنسُجِ الحالِكاتِ مِنكَ نِقاباً * وٱحبُ شمسَ النَّهارِ ذاكَ النِّقابا (١)

قُل لَها: غابَ كوكبُ الأَرْضِ فى الأر * ضِ فغِيبى عن السَّماءِ ٱحتِجابا

والبَسِينِى عليه ثَوْبَ حِدادٍ * وٱجلِسِى للعَزاءِ فالحُزْنَ طابَا

أين (سَعْدٌ)؟ فذَاكَ أوّلُ حَفْلٍ * غابَ عَنْ صَدْرِه وعافَ الخِطابا (٢)

لَم يُعَوِّدْ جُنودَه يومَ خَطْبٍ * أنْ يُنادَى فلا يَرُدُّ الجَوابا

عَلَّ أَمْرًا قد عاقَه، عَلَّ سُقْمًا * قد عَراهُ، لقد أَطالَ الغِيابا (٣)

أَىْ جُنُودَ الرئيسِ نادُوا جِهارًا * فإذا لَمْ يُجِبْ فشُقُّوا الثِّيابا

إنّها النَّكْبَةُ الّتى كنتُ أَخْشَى * إنّها الساعةُ الّتى كنتُ آبَى (٤)

إنّها اللَّفْظةُ الّتى تَنْسِفُ الأَنْ * فُسَ نَسْفًا وتَفْقُرُ الأَصْلابا (٥)

ماتَ (سَعْدٌ)، لا كنتِ يا (ماتَ سَعْدٌ) * أَسِهامًا مَسْمُومَةً أمْ حِرابا

كيف أَقْصَدْتِ كلَّ حَىٍّ على الأَرْ * ضِ وأَحْدَثْتِ فى الوُجُودِ ٱنقِلابا؟ (٦)

حَسْرَةٌ عند أَنَّةٍ عند آهٍ * تحتَها زَفْرَةٌ تُذِيبُ الصِّلابا (٧)

قُل لِمَنْ بات فى (فِلَسْطِينَ) يَبْكِى * إنّ زِلْزالَنا أَجَلُّ مُصَابا (٨)

---

(١) يقال: حباه كذا وبكذا يحبوه، إذا أعطاه إياه. (٢) عاف الشىء: كرهه وزهد فيه. (٣) عراه: أصابه. (٤) آبى، أى أكره. (٥) يريد باللفظة: (مات سعد) الواردة فى البيت التالى. والأصلاب: عظام فى الظهر ذات فقار من لدن الكاهل الى العجب. وتفقرها، أى تصيب هذه الفقار فتكسرها. (٦) أقصده: أصاب مقتله. (٧) الصلاب، أى الحجارة الصلبة. (٨) يشير الى زلزال فلسطين الذى حدث فى ١١ يوليه سنة ١٩٢٧ م، والذى عم خطبه كثيرا من البلاد الفلسطينية، فدمر كثيرا من الدور، وأهلك عددا ليس بقليل من الأنفس، وقد تبرع الفقيد لمنكوبى هذا الزلزال بمئة جنيه.

قد دُهِيتُمْ فى دُورِكُمْ ودُهِينا * فى نُفُوسٍ أَبَيْنَ إلّا ٱحتِسابَا (١)

فَفَقَدْتُمْ على الحَوادِثِ جَفْنًا * وفَقَدْنَا المُهَنَّدَ القِرْضابا (٢)

سَلَّهُ رَبُّه زَمانًا فأَبْلَى * ثمّ ناداهُ رَبُّه فأَجابا (٣)

قَدَرٌ شاءَ أَنْ يُزَلْزِلَ (مِصْرًا) * فتَغَالَى فزَلْزَلَ الأَلْبَابا

طاحَ بالرَّأْسِ مِنْ رِجالاتِ (مِصْرٍ) * وتَخَطَّى التُّحُوتَ والأَوْشابا (٤)

والمَقادِيرُ إِنْ رَمَتْ لا تُبالِى * أَرُءوسًا تُصِيبُ أَمْ أَذْنابا

خَرَجَتْ أُمَّةٌ تُشَيِّعُ نَعْشًا * قد حَوَى أُمَّةً وبَحْرًا عُبابا

حَمَلُوه على المَدافِعِ لَمّا * أَعْجَزَ الهامَ حَمْلُه والرِّقابا

حالَ لَوْنُ الأَصِيلِ والدَّمْعُ يَجْرِى * شَفَقًا سائِلًا وصُبْحًا مُذابا (٥)

وسَهَا النِّيلُ عَنْ سُراهُ ذُهُولًا * حِينَ أَلْفَى الجُمُوعَ تَبْكِى ٱنتِحابا

ظَنَّ يَا (سَعْدُ) أَنْ يَرَى مِهْرَجانًا * فَرَأَى مَأْتَمًا وحَشْدًا عُجابا

لَمْ تَسُقْ مِثْلَه فَراعِينُ (مِصْرٍ) * يومَ كانوا لأَهْلِها أَرْبابا (٦)

---

(١) احتسابا ، أى إن هذه النفوس جعلت هذا المصاب وٱحتمالها له فيما يدّخر لها عند الله .

(٢) الجفن : الغمد . والمهند : السيف . والقرضاب : القطاع . يقول : إن ما ضاع من الفلسطينيين بالزلزال بالقياس الى ما ضاع منا كالغمد اذا قيس بالسيف . (٣) سله : شهره .

(٤) طاح به : ذهب به . والتحوت : السفلة . والأوشاب : الأخلاط من الناس ؛ الواحد وشب (بالكسر) . (٥) يقول : إن لون الأصيل قد غيرته الدموع التى كانت تجرى دما ، فكانت كأنها شفق سائل ، أو صبح مذاب ؛ وفى لون الشفق والصبح حمرة وصفرة تشبهان حمرة الدم وصفرته .

(٦) مثله ، أى مثل هذا الحشد .

خَضَبَ الشَّيبُ شَيْبَهُـــم بسَـــوادٍ * ومحَـا البِيضُ يومَ مِتَّ الخِضابا (١)

واستَهَلَّت سُحْبُ البُكاءِ على الوا * دِى فغَطَّتْ خَضْـــراءَه وٱليَبَـابا (٢)

ساقَت (التِّيمسُ) العَـــزاءَ إليْنـا * وتَوَخَّتْ فِى مَـدْحِكَ الإسْهـابا (٣)

لَم يَنُـــحْ جازِعٌ عليكَ كما نا * حَتْ ولا أَطْنَبَ المُحِبُّ وحابَى

وٱعترافُ (التَّامِيزِ) يا (سَعْدُ) مِقْيَـا * سٌ لِمـا نالَ نِيـــلَنا وأَصـابَا (٤)

يا كبيرَ الفُـــؤادِ والنفسِ والآ * مالِ أينَ ٱعـــتَزَمْتَ عنّا الذَّهابا؟

كيفَ تَنْسَى مَواقِفًا لكَ فِينـا * كنتَ فيهـا المَهِيبَ لا ٱلهَيّـابا؟

كنتَ فى مَيْعَـةِ الشَّبابِ حُسَـامًا * زادَ صَـقْلًا فِرِنْدُه حِـينَ شَـابا (٥)

لَم يُنـازِلْكَ قارِحُ القَـــوْمِ إلّا * كنتَ أَقْـوَى يَدًا وأَعْلَى جَنـابا (٦)

عِظَـــمٌ لوحَـــواهُ (كِسْرَى أَنُو شر * وانَ) يوما لَضَـاقَ عنـه إهابا (٧)

ومَضـاءٌ يُرِيـــكَ حَـــدَّ قَضـاءِ * اللهِ يَفْـرِى مَتْنًا ويَحْطِـمُ نابـــا (٨)

---

(١) يريد أن الشيوخ قد خضبوا شعورهم البيضاء بسواد الحداد، وترك النساء الخضاب حدادا على الفقيد .

(٢) يقال : استهل المطر، اذا انهل واشتد انصبابه . واليباب : القفر .

(٣) التيمس : جريدة انجليزية معروفة .

(٤) التامیز : نهر فى جنوب انجلترا، ويريد بالتاميز والنيل : أهليهما .

(٥) ميعة الشباب : أوله . وفرند السيف : وشيه وجوهره .

(٦) يريد « بالقارح » (هنا) : المكتمل القوة، المستحكم العقل والتجربة من الرجال . والقارح فى الأصل من الأفراس : ما تمت أسنانه، وإنما تتم فى خمس سنين .

(٧) كسرى أنو شروان : ملك من ملوك الفرس معروف . والإهاب : الجلد . أى إن بدن كسرى لا يتسع لمثل هذا السمو والعظم .

(٨) يفرى المتن، أى يقصم الظهر . ويحطم الناب : يكسره .

قد تحدَّيْتَ قُوَّةً تَمْلأُ المَعْـ * ـمُورَ مِنْ هَوْلِ بَطْشِها إرْهابا (١)

تَمْلِكُ البَرَّ والبِحارَ وتَمْشِي * فوقَ هامِ الوَرَى وتَجْبِي السَّحابا (٢)

لَمْ يُنَهْنِهْ مِنْ عَزْمِكَ السِّجْنُ والنَّفْـ * ـيُ وساجَلْتَها (بمِصْرَ) الضِّرابا (٣)

سائِلُوا (سِيشِلًا) أَأَوْجَسَ خَوْفًا * وسَلُوا (طارِقًا) أَرامَ انْسِحابا؟ (٤)

عَزْمَةٌ لا يَصُدُّها عَنْ مَداها * ما يَصُدُّ السُّيُولَ تَغْشَى الهِضابا

ليتَ (سَعْدًا) أَقامَ حتَّى يَرانا * كيفَ نُعْلِي على الأَساسِ القِبابا

قد كَشَفْنا بِهَدْيِهِ كلَّ خافٍ * وحَسِبْنا لكلِّ شيءٍ حِسابا

حُجَجُ المُبْطِلِين تَمْضِي سِراعًا * مِثْلَما تُطْلِعُ الكُؤُوسُ الحَبابا

حِينَ قال: (انتَهَيْتُ) قُلْنا بَدَأْنا * نَحْمِلُ العِبْءَ وَحْدَنا والصِّعابا (٥)

فاحْجُبوا الشَّمْسَ وٱحبِسُوا الرَّوْحَ عنّا * وٱمنَعُونا طَعامَنا والشَّرابا (٦)

وٱستَشِفُّوا يَقِينَنا رَغْمَ ما نَلْـ * ـقَى فهَلْ تَلْمَحُون فيه ٱرْتِيابا؟ (٧)

---

(١) يريد «بالقوّة»: قوّة الإنجليز. (٢) هام الورى: رءوسهم، الواحدة هامة. ويريد بقوله «وتجبي السحابا» أن هذه الدولة لها ملك واسع، فحيث أمطر السحاب وأخرج زرعا كان ما يجبى من هذا الزرع لدولة الانجليز؛ وهو اشارة الى ما يروى من أن بعض الخلفاء رأى سحابة فى الأفق فقال: امطرى حيث تمطرين فان ما تخرجينه من الزرع تجبى ثمراته الينا. (٣) لم ينهنهه، أى لم يثنه عن مطلبه ولم يصرفه. وساجلتها الضرابا، أى حاربت هذه القوّة كما حاربتك. (٤) سيشل: جزيرة انجليزية فى المحيط الهندى تقع الى الشمال من جزيرة مدغشقر، وقد نفى اليها سعد زغلول باشا هو وبعض أصحابه سنة ١٩٢١م ثم نقل من سيشل الى جبل طارق، لأن جوّ سيشل أضر به. (٥) حين حضرت سعد الوفاة، سئل: كيف أنت؟ فقال: «أنا انتهيت»، وإلى هذا يشير الشاعر. (٦) الروح: نسيم الريح.

(٧) استشف الشيء: تبينه من وراء حجاب. يقول فى هذا البيت والذى قبله مخاطبا الانجليز: إننا على الرغم مما تصبونه علينا من ألوان العذاب ثابتون على مبدئنا لا نرتاب فيه ولا يزحزحنا عنه مزحزح.

قـد مَلَكْتُمْ قَـمَ السَّـبِيلِ عَلَيْنـا * وفَتَحْـتُمْ لـكلِّ شَـعْواءَ بابَا (١)

وأَتَيْـتُمْ بالحـائِمـاتِ تَـرامَى * تَحْمِـلُ المَوْتَ جائِمًا والخَـرابا (٢)

ومَلَأْتُمْ جَـوانِبَ النِّيـلِ وَعْـدًا * ووَعِيـدًا ورَحْمَـةً وعَـذابا

هـل طَفِـرْتُمْ مِنّـا بقَلْبٍ أَبِيٍّ * أو رأَيْـتُمْ مِنّـا إليـكُمْ مَثـابا (٣)

لا تقُـولوا خَـلا العَـرِينُ ففيـه * أَلْفُ لَيْثٍ إذا العَرِينُ أَهـابا (٤)

فاجمَعُوا كَيْدَكُمْ ورُوعُوا حِمـاهُ * إنّ عِنـدَ العَرِينِ أُسْـدًا غِضـابا (٥)

جَـزِعَ الشَّـرْقُ كلُّـه لعَظِـيمٍ * مَـلأَ الشَّـرْقَ كلَّـه إعْجـابا

عَـلَّمَ (الشامَ) و (العِراقَ) و (نَجْدًا) * كيف يُحْمَى الحِمَى إذا الخَطْبُ نابا

جَمَـعَ الحـقَّ كلَّـه فى كِتابٍ * واسْـتثارَ الأُسُـودَ غابًا فغـابا (٦)

ومَشى يَحْمِـلُ اللِّـواءَ إلى الحَـ * ـقِّ ويَتْـلُو فى النّـاسِ ذاكَ الكِتابا

كلَّما أَسْـدَلُوا عليـه حِجـابًا * مِنْ ظَـلامٍ أَزالَ ذاكَ الحِجـابا

واقِفٌ فى سَبِيلِهِـمْ أينَ سارُوا * عالِـمٌ بأحتِيالِهِمْ أينَ جَـابا (٧)

---

(١) الشعواء : الغارة المنتشرة .

(٢) يريد «بالحائمات» : الطائرات .

(٣) المثاب : الرجوع . يقول : إنكم بالغتم فى تعذيبنا ، فهل استطعتم أن تميلوا إليكم قلب أبيا من قلوبنا ، أو أن تجدوا منا استسلاما لكم .

(٤) العرين : بيت الأسد ومأواه . وأهاب : دعا .

(٥) راعه يروعه : أزعجه وخوفه . والضمير فى «حماها» لمصر .

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى اقتفاء الممالك الشرقية أثر مصر واقتدائها بها فى نهضتها والذود عن الأوطان .

(٧) أين جاب ، أى أين تنقل .

أىُّ مَكْرٍ يَدِقُّ عَنْ ذِهْنِ (سَعْدٍ) * أىُّ خَتْلٍ يُرِيغُ مِنْهُ ٱضطِرابا؟ (١)

شاعَ فى نَفْسِهِ اليَقينُ فَوقّا * هُ بِهِ اللّٰهُ عَثْرَةً أَوْ تَبابا (٢)

عَجَزَتْ حِيلَةُ الشِّباكِ وكان الـ * ـشَّرْقُ للصَّيْدِ مَغْنَماً مُسْتَطابا

كلَّما أَحْكَمُوا بأَرْضِكَ فَخًّا * مِنْ فِخَاخِ الدَّهاءِ خابُوا وخَابا

أو أَطارُوا الحَمامَ يوماً لِزَجْلٍ * قابَلُوا منكَ فى السَّماءِ عُقابا (٣)

تَقْتُلُ الدَّسَّ بالصَّراحَةِ قَتْلًا * وتُسَقِّى مُنافِقَ القَوْمِ صابا (٤)

وتَرَى الصِّدْقَ والصَّراحَةَ دِينًا * لا يَراهُ المُخالِفُونَ صَوابا

تَعْشَقُ الجَوَّ صافِىَ اللَّوْنِ صَحْوًا * والمُضِلُّون يَعْشَقُونَ الضَّبابا (٥)

أنتَ أَوْرَدْتَنا مِنَ الماءِ عَذْبًا * وأَراهُمْ قد أَوْرَدُونا السَّرابا

قد جَمَعْتَ الأَحْزابَ حَوْلَكَ صَفًّا * ونَظَمْتَ الشُّيُوخَ والنُّوّابا

ومَلَكْتَ الزِّمامَ وٱحتَطْتَ للغَيْـ * ـبِ وأَدْرَكْتَ بالأَناةِ الطِّلابا (٦)

ثمّ خَلَّفْتَ بالكِنانَةِ أَبْطا * لًا كُهُولًا أَعِزَّةً وشَبابا

---

(١) يدق : يغمض ويخفى . والختل : الخداع . ويريغ منه : يريده على الاضطراب والخوف .

(٢) وقاه : حفظه . والتباب : الخسران .

(٣) الحمام الزاجل : حمام كان يستعمل لنقل الرسائل . ويريد « بإرساله للرجل » هنا : السعى لبث أخبار السوء وإضرام الفتنة . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب بالكاسر .

(٤) تسق (بالتشديد) : تسق (بالتخفيف)، وشدّد للمبالغة . والصاب : عصارة شجر مر .

(٥) شبه فى هذا البيت الصراحة فى القول بصحو الجو وصفائه، والنفاق بظلمة الغيم والضباب .

(٦) الأناة : التأنى .

قد مَشَى جَمْعُهُمْ إلى المَقْصِدِ الأَسْـ * ـمَى يُغَذُّونَ(١) لِلوُصُولِ الرِّكابا

يَبْتَنُونَ العُلَا يَشِيدُونَ مَجْدًا * يُسْعِدُون البَنِينَ والأَعْقابا

قد بَلَوْناكَ قاضِيًا ووَزِيرًا(٢) * ورَئِيسًا ومِدْرَهًا خَلّابا

فوَجَدْناكَ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيـ * ـكَ عَظِيمًا مُوَفَّقًا غَلّابا

لَمْ يَنَلْ حاسِدُوكَ منكَ مُناهُمْ * لا ولَمْ يُلْصِقُوا بِعَلْيَاكَ عابَا(٣)

نَمْ هَنِيئًا فقد سَهِدْتَ طَوِيلًا(٤) * وسَئِمْتَ السَّقامَ والأَوْصابا

كم شَكَوْتَ السُّهادَ لى يومَ كُنّا(٥) * بِالبَسَاتِينِ نَسْتَعِيدُ الشَّبابا

نَنْهَبُ اللَّهْوَ غافِلَيْنِ وكُنّا * نَحْسَبُ الدَّهْرَ قد أَنابَ وتَابا

فإذا الرُّزْءُ كان مِنّا بِمَرْمَى(٦) * واذا حائِمُ الرَّدَى كان قَابا

حَرَمَتْنَا المَنُونُ ذَيّاكَ الوَجْـ * ـهَ وذاكَ الحِمَى وتِلْكَ الرِّحابا

وسَجَايَا لَهُنَّ فى النَّفْسِ رَوْحٌ * يَعْدِلُ الفَوْزَ والدُّعاءَ المُجابا

كم وَرَدْنا مَوارِدَ الأُنْسِ منها(٧) * ورَشَفْنا سُلافَها والرُّضابا

ومَرَحْنا فى ساحِها فنسِينا الْـ * ـأَهْلَ والأَصْدِقاءَ والأَحْبابا

---

(١) يقال : أغذ فلان السير وفى السير ، إذا أسرع . (٢) بلوناك ، أى اختبرناك . والمدره : خطيب القوم ولسانهم ؛ ويطلق فى هذا العصر على المحامى . (٣) العاب : العيب .

(٤) الأوصاب : الأمراض والأوجاع الدائمة . (٥) يريد «بالبساتين» : بساتين فتح الله بركات باشا التى تقع قريبة من مدينة بلبيس من أعمال الشرقية ، وقد كان الشاعر بها مع الفقيد .

(٦) قابا ، أى قريبا . (٧) السلاف : ما تحلب وسال قبل العصر ، وهو أجود الخمر . والرضاب : لعاب العسل .

ثم وَلَّت بَشاشَةُ العَيْشِ عنّا * حِينَ سارُوا فوَسَّدُوكَ التُّرابا
خِفْتَ فينا مَقامَ رَبِّكَ حَيًّا * فَتَنَظَّرْ بِجَنَّتَيْهِ الثَّوابا (١)

رثاء أمين (٢) الرافعى بك

أنشدها فى الحفل الذى أقامه الحزب الوطنى لذكرى الشهداء فى ١٦ فبراير سنة ١٩٢٨ م

أمّا (أَمِينُ) فقد ذُقْنا لمَصْرَعِه * وخَطْبِهِ مِنْ صُنُوفِ الحُزْنِ أَلْوانا
لَمْ تُنْسِنا ذِكْرَهُ الدُّنيا وإنْ نَسَجَتْ * للرّاحِلِين مِنَ النِّسْيانِ أكْفانا
مَضَى نَقِيًّا عَفِيفَ النَّفْسِ مُحْتَسِبا * فَهَدَّ مِنْ دَوْلَةِ الأَخْلاقِ أَرْكانا (٣)
جَرَتْ على سَنَنِ التَّوحِيدِ نَشْأَتُهُ * فى اللهِ والرأيِ إخْلاصًا وإيمانا (٤)
لَمْ يَلْوِهِ المالُ عَنْ رَأْيٍ يَدِينُ به * (ولو حَمَلْتَ اليه الدَّهْرَ مَلْآنا) (٥)
ولَمْ يَلِنْ عُودُهُ للخَطْبِ يُرْهِقُه * قَسًا عليه شَدِيدُ العَيْشِ أَمْ لانا (٦)
ظُلْمٌ مِن القَبْرِ أن تَبْلى أنامِلُه * فكم رَمَتْ فى سبيلِ اللهِ مَنْ خانا

(١) تنظر : انتظر . ويشير بهذا البيت الى قوله تعالى : «ولمن خاف مقام ربه جنتان» .
(٢) ولد المرحوم أمين الرافعى بك فى ديسمبر سنة ١٨٨٦ م ، وتوفى فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٧ م ، وهو الكاتب السياسى المعروف ، صاحب جريدة الأخبار ، وكانت له فى النهضة القومية مواقف مشهودة .
(٣) محتسبا ، أى مدخرا عند الله ما قدمه من عمل صالح . (٤) السنن : الطريقة .
(٥) لم يلوه ، أى لم يصرفه . والشطر الثانى عجز بيت للمتنبى من قصيدة يمدح بها أبا سهل سعيد بن عبد الله ، وصدره : «ولا أسر بما غرى الحميد به» ومطلعها :

قد علم البين منا البين أجفانا * تدمى وألف فى ذا القلب أحزانا

(٦) لان عوده : ضعف . ويرهقه : يحمله ما لا يطيق .

كانت مَطِيَّةَ سَبَّاقٍ جَوانِبُه * يُرْوِيكَ فَيَّاضُها صِدْقًا وعِرْفانا (١)

عِشرونَ عامًا على الطِّرْسِ الطَّهُورِ جَرَى * ما خَطَّ فاحِشَةً أو خَطَّ بُهْتانا

يَحُولُ بينَ رِياضِ الفِكْرِ مُقْتَطِفًا * مِنْ طِيبِ مَغْرِسِها وَرْدًا وَرَيْحانا

فَيَنْشَقُّ الذِّهْنُ مِنْ أسْطارِه أَرَجًا * وتُبْصِرُ العَيْنُ فَوقَ الطِّرْسِ بُسْتانا (٢)

(أَمِينُ) فارَقْتَنا فى حِينِ حاجَتِنا * إلى فَتًى لا يَرَى لِلمالِ سُلْطانا

إلى أَمِينٍ عـلى أوْطانِه يَقِـظٍ * ذِى مِرَّةٍ يَتَلَقَّى الخَطْبَ جَذْلانا (٣)

أَيَلْبَسُ الحُـرَّ مَنْ لانَتْ مَهَزَّتُه * وأنتَ تَخْـرُجُ مِنْ دُنياكَ عُرْيانا؟ (٤)

إنَّ القَناعَةَ كَنْزٌ كنتَ حارِسَه * تَرَى به القُوتَ يا قُسوتًا ومَرْجانا (٥)

فـا سَعَيْتَ لغَـيْرِ الحَمْـدِ تَكْسِبُه * ولا رَضِيتَ لغَـيرِ الحَـقِّ إذْعانا

أَوْدَى بكَ (السُّكَّرُ) المُضْنِى ولا عَجَبٌ * أنْ يُورِثَ الحُلْوُ مُرَّ العَيْشِ أحْيانا (٦)

ما هانَ خَطْبُكَ والأخْلاقُ والِهَةٌ * تَبْكِى عَلَيكَ إذا خَطْبُ أمرِئٍ هانا (٧)

(أَمِينُ) حَسْبُكَ ما قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ * فأنتَ أَرْجَحُنا فى الحَشْرِ مِيزانا

---

(١) يريد «بالسباق» : القلم . ويريد «بجوانبه» شقيه . وفياضها : أى التى تفرض بالمعانى والأفكار .

(٢) أرج الزهر : نفحته وطيب ريحه . والطرس : الصحيفة يكتب فيها .

(٣) المرة : القوة والشدة . والجذلان : الفرح (بكسر الراء) .

(٤) الخز : الحرير . ومن لانت مهزته ، أى من كان ضعيفا فى طلب الحق والدفاع عنه ، وكان ابنا لناصب وطنه .

(٥) يريد بقوله : «ترى به القوت ...» الخ : أنه يكفى من حطام الدنيا بالقوت ، ويرى أنه يعدل الياقوت والرجان فى نفاستها ، فلا يمد طامعة الى عرض الدنيا قناعة منه .

(٦) أودى به : ذهب به وأهلكه . والسكر ، هو ذلك المرض المعروف ، وبه مات الفقيد .

(٧) والهة : حزينة .

اَبْشِرْ فإنّكَ فى أُخْـراكَ أَسْعَدُنا * حَظًّا وإنْ كُنْتَ فى دُنْياكَ أَشْقانا

بَلِّـغْ ثَلاثَتَكُمْ عنّا تَحِيَّتَنا * وٱذكُرْ لهم ما يُعانِى قَوْمُنا الآنا (١)

وٱضرَعْ الى اللهِ فى الفِرْدَوْسِ مُبْتَهِلًا * أنْ يَحْرُسَ النِّيلَ مِمّن رامَ طُغْيانا

رثاء الدكتور يعقوب صروف (٢)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينه بدار الأوبرا الملكية فى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٨ م

أَبْكِى وعَيْنُ الشَّرْقِ تَبْكِى مَعِى * عـلى الأَرِيبِ الكاتِبِ الأَلْمَعِى (٣)

جَرَى عَصِىُّ الدَّمْعِ مِنْ أَجْلِهِ * فـزادَ فى الجُـودِ على الطَّيِّـعِ (٤)

نَقْصٌ من الشَّرْقِ ومِنْ زَهْـوِهِ * فَقْـدُ اليَراعِ المُعْجِـزِ المُبْـدِعِ (٥)

ليس لِمِصْـرٍ فى رِجالاتِها * حَـظٌّ ولا للشامِ فى أَرْوَعِ (٦)

مُصابُ (صَرُّوفٍ) مُصابُ النُّهَى * فلْيَبْكِهِ كل فـؤادٍ يَـعِى (٧)

كُرِّمَ بالأَمْسِ وأكْفانُـه * تَنْسُجُها الأَقْـدارُ للمَصْـرَعِ (٨)

يا صائِـغَ الدُّرِّ لتَكْرِيمِـه * صُـغْهُ لمَنْعاهُ مِن الأَدْمُعِ

(١) يريد «بالثلاثة» : المرحومين : مصطفى كامل، ومحمد فريد، وعلى فهمى كامل .

(٢) أنظر التعريف بالدكتور يعقوب صروف (فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٥٤ من الجزء الأول) .

(٣) الأريب : العاقل . والألمعى : الذكى المتوقد . (٤) يريد «بعصى الدمع» : الدمع الذى يمتنع عند نزول المصائب عزة وأنفة من البكاء . (٥) الزهو : الكبر والفخر . (٦) الأروع : الشهم الذكى الفؤاد . (٧) يعى : يحفظ . (٨) يشير بقوله «كرم بالأمس» : الى الاحتفال باليوبيل الذهبى لمجلة المقتطف الذى أقيم فى سنة ١٩٢٧ م، وأنشد فيه حافظ قصيدة نشرت فى هذا الديوان .

قـــد زَيَّنَ العِـــلْمَ بأَخْـــلاقِه * فعـاشَ مِـلْءَ العَيْنِ والمِسْـمعِ

تَواضُـــعٌ والكِبْرُ دَأْبُ ٱلفَـــتَى * خَلَا مِنَ الفَضْـلِ فلَمْ يَنْفَـعِ

تَواضُـــعُ العِـــلْمِ له رَوْعَـــةٌ * يَنْهَـار منهـا صَلَفُ المُـدَّعِي (١)

وحُـــلَّةُ الفَضْـــلِ لهـا شارَةٌ * أَزْهَى مِن السَّـيْفَيْزِ والمِـدْفَعِ (٢)

يُشْبِـعُ مَنْ حَصَّـلَ مِنْ عِلْمِـهِ * وهـو مِنَ التَّحْصِـيلِ لَمْ يَشْـبَعِ

مُبَكِّرٌ تَحْسَـبُهُ طالِبًـا * يُسـابِقُ الفَجْـرَ إلى المَطْلَـعِ

قـد غَالَت الأَسْـقامُ أَضْـلاعَهُ * والرَّأْسُ فى شُـغْلٍ عن الأَضْلُـعِ

ماتَ وفى أَنْمُـلِهِ صـارِمٌ * لَم يَنْبُ فى الضَّرْبِ عن المَقْطَعِ

صاحَبَـه خَمْسِينَ عامًا فـلَمْ * يَخُنْ له عَهْـدًا ولَمْ يَخْـدَعِ

مُوَفَّقًـا أَنَّى جَـرَى مُلْهَمًـا * ما ضَل فى الوِرْدِ عن المَشْرَعِ (٣)

لَم يَـبْرِه بارٍ سِـوَى رَبِّـه * ولَمْ يَحُـزْهُ جاهِـلٌ أَو دَعِى (٤)

فى النَّقْـلِ والتَّصْنِيفِ أَرْبَى على * مَدَى (ٱبنِ بَحْرٍ) ومَدَى (الأَصْمَعِى) (٥)

---

(١) الصلف : الكبر. (٢) شبه القلم بالصارم ، وهو السيف . ونبا السيف عن الضريبة ينبو : كل وارتدعنها. (٣) المشرع : المورد الذى يستقى منه. (٤) خفف الياء فى «دعى» لضرورة القافية .

(٥) يريد «بالنقل» : ترجمة الكتب والمباحث من اللغات الأجنبية ، وكان الدكتور صروف من أمهر العلماء فى هذا الباب . وابن بحر ، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالفالج النصفى سنة ٢٥٥ هـ ، ولد بالبصرة ونشأ بها ، وأخذ العلم عن جهابذة اللغويين والرواة ، وتخرج فى علم الكلام على أبى إسحاق النظام ، ونصر مذهب الاعتزال . ومؤلفاته كثيرة لا يتسع لها المقام . والأصمعى ، هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، ولد سنة ١٢٣ هـ ونشأ بالبصرة ، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمتها ، وأكثر الخروج الى البادية ، وشافه الأعراب وساكنهم ، وكان من ندماء الخليفة الرشيد ؛ وتوفى فى سنة ٢١٦ هـ ، وأكثر مؤلفاته فى اللغة .

أَىَّ سَبِيلٍ للهُدَى لَمْ يَرِدْ * وأَىَّ بابٍ منه لَمْ يَقْرَعِ

يَقْتَطِفُ الزَّهْرَ ويَخْتَارُه * كالنَّحلِ لا يَعْفُو عَنِ الأَيْنَعِ (١)

فَتَحْسَبُ القُرَّاءَ فى جَنَّةٍ * عُقُولُهُمْ فى رَوْضِها تَرْتَعِى

(صَرُّوفُ) لا تَبْعَدْ فلَسْتَ الذى * يَطْوِيه طاوِى ذَلِكَ المَضْجَعِ

أَسْكَتَكَ المَوْتُ ولكنَّه * لَمْ يُسْكِتِ الآثارَ فى المَجْمَعِ

ذِكْرَاكَ لا تَنْفَكُّ مَوْصُولةً * فى مَعْهَدِ العِلْمِ وفى المَصْنَعِ

رثاء عبد الخالق ثروت باشا (٢)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم بالأوبرا الملكية لتأبينه فى يوم السبت ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨ م

لَعِبَ البِلَى بمُلاعِبِ الأَلْبابِ * ومَحَا بَشَاشَةَ فَمِّكَ الخَلَّابِ (٣)

وطَوَى الرَّدَى (عَمْرَو) الكِنَانَةِ غافِلًا * ورَمَى شِهابَ دَهائِه بشِهابِ (٤)

(١) لا يعفو عن الأينع ، أى لا يترك الناضر من الزهر إلا أصاب منه طعامه .

(٢) عبد الخالق ثروت باشا ، هو ابن اسماعيل عبد الخالق باشا ، من كبار رجال مصر فى عصره . ولد ثروت باشا فى سنة ١٨٧٣ م ، وبعد أن تعلم فى مصر ونال شهادة الحقوق تقلد عدة مناصب قضائية وإدارية ، وهو أول مصرى تولى منصب النيابة العمومية ، وتولى رآسة الوزارة فى سنة ١٩٢٢ م ، وتم فى عهد وزارته حصول البلاد على تصريح ٢٨ فبراير المعترف فيه من بريطانيا باستقلال مصر وسيادتها . ثم رأس الوزارة مرة أخرى أيام تآلف الأحزاب المصرية ، ثم اعتزل السياسة أخيرا ، وسافر الى باريس للاستشفاء بها ، فتوفى فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م . وكان من سؤاس مصر المعترف بحذقهم وبصرهم بشؤون السياسة والحكم . (٣) يريد « بملاعب الألباب » : وصف الفقيد بسحر المنطق . وفى كتب اللغة أن ميم الفم تشدد فى الشعر كما هنا . (٤) يريد بقوله « عمرو الكنانة » : تشبيه الفقيد بعمرو بن العاص المخزومى أحد الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، وكان معروفا بالدهاء والكياسة والخروج من مآزق الأمور ، والقوة على مكايدة الخصوم ، وهو فاتح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب ، وكان أميرا عليها حتى عزله عنها عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، وتوفى فى خلافة معاوية سنة ٤٣ هـ .

مَنْ كانَ يَدْرِى يَوْمَ سافَرَ أنّه * سَفَرٌ مِنَ الدُّنْيَا بغَيْرِ إيابِ

حَزِنَتْ عليه عُقُولُنا وقُلُوبُنا * وبَكَتْ، وحُزْنُ العَقْلِ شَرُّ مُصابِ

القَلْبُ يُنْسِيهِ الغِيابُ أَلِيفَه * والعَقْلُ لا يُنْسِيه طُولُ غِيابِ

(١)

بالأَمْسِ ماتَ أَجَلُّنا وأَعَزُّنا * جاهًا وأَبْقانَا على الأَحْقابِ

(٢)

واليومَ قد غالَ الحِمامُ أَسَدَّنا * رَأْيًا فطاحَ بحِكمةٍ وصَوابِ

رَأْسٌ يُدَبِّرُ فى الخَفاءِ كأنّه * قَدَرٌ يُدَبِّرُ مِنْ وَراءِ حِجابِ

(٣)

حتّى اذا أَرْضَى النُّهَى وتَناسَقَتْ * آياتُه راعَ الوَرَى بعُجابِ

(٤)

يَمْشِى على سَنَنِ الهِجا مُتَمَهِّلًا * بَيْنَ العُداةِ الكُثْرِ والأَحْبابِ

(٥)

تَتَناثَرُ الأَقْوالُ عَنْ جَنَباتِه * مِنْ شانِئٍ ومُناصِرٍ ومُحابِى

(٦)

لا المَدْحُ يُغْرِيهِ ولا يُلْوِى به * عَنْ نَجْدِه المَرْسُومِ وَقْعُ سِبابِ

(٧)

حُلْوُ التَّواضُعِ لم يُخالِطْ نَفْسَه * زَهْوُ المُدِلِّ يُحاطُ بالإعْجابِ

(٨)

حُلْوُ الأَناةِ اذا يَسُوسُ وعِنْدَه * أنَّ التَّعَجُّلَ آفَةُ الأَقْطابِ

(٩)

حُلْوُ السُّكُوتِ كَكَوْكَبٍ مُتَأَلِّقٍ * والليلُ ساجٍ أَسْوَدُ الجِلْبابِ

---

(١) يريد بقوله : «أجلنا» الخ المرحوم سعد زغلول باشا زعيم الأمة . والأحقاب : الدهور .

(٢) غال : أهلك . والحمام (بكسر الحاء) : الموت . (٣) تناسقت ، أى توافقت وتتابعت على نسق ونظام واحد . (٤) السنن (بالتحريك) : الطريق . والهجا : العقل . والكثر : الكثيرة .

(٥) الشانئ : المبغض . (٦) ألوى به عن الطريق : حاد به عنه . والنجد : الطريق البين الواضح ؛ قال تعالى : (وهديناه النجدين) . (٧) الزهو : الكبر . (٨) الأناة : التأنى فى الأمر .

(٩) المتألق : المشرق . وسجا الليل يسجو : ركد ظلامه ودام .

يَهْدِى السَّبِيلَ لسالِكِيه ولَمْ يُرِدْ * شُكْرًا ولَمْ يَعْمَلْ لنَيْلِ ثَواب

مُتَمَكِّنٌ مِنْ نَفْسِه لَمْ يَعْرُه (١) * قَلَقُ الضَّعِيفِ وحَيْرَةُ المُرْتاب

يَزِنُ الأُمُورَ كأنَّما هُوَ صَيْرَفٌ * يَزِنُ النُّضارَ بِدِقَّةٍ وحِساب

وَيَحُلُّ غامِضَها بثاقِبِ ذِهْنِه * حَلَّ الطَّبِيبِ عَناصِرَ الأَعْشاب

وَيقيسُ شُقَّتَها بِمِقْياسِ النُّهَى (٢) * فتَرَى صَحِيحَ قِياسِ (الأَصْطُرْلاب)

مُتَبَسِّمٌ (٣) وعلى مَعارِفِ وَجْهِه * آياتُ ما يَلْقَى مِنَ الأَوْصاب

شِيَمٌ تَرُدُّ (٤) النّاقِمِينَ لِوُدِّه * وشَمائِلٌ تَسْتَلُّ (٥) حِقْدَ النّابِي

يُرْضِى المُرَتِّلَ فى الكَنِيسَةِ (٦) صُنْعُه * كَيْسًا ويُرْضِى ساكِنَ المِحْراب

يَرْتاحُ لِلْمَعْرُوفِ لا مُتَرَجِّحًا * فيه ولا هُوَ فى الجَمِيلِ مُرابِي

يُرْوِى الصَّدِيقَ مِنَ الوَفاءِ ولَمْ يَكُنْ * بالحاسِدِ النُّعْمَى ولا المُغْتاب

لَمْ يَبْدُ فِينا جازِعًا أو غاضِبًا * لَا هُمَّ (٧) إلّا غَضْبَةَ النُّوّاب (٨)

وبُكاؤُه فى يَوْمِ (سَعْدٍ) زادَنِى * عِلْمًا بأنَّ اليومَ يَوْمُ تَبابِ

---

(١) لم يعره، أى لم يصبه .

(٢) الشقة : المسافة . والاصطرلاب : آلة تعرف بها المسافات بين النجوم، وهى كلمة يونانية الأصل . (٣) معارف الوجه : ملامحه وما يعرف به . والأوصاب : الأمراض؛ الواحد وصب (بالتحريك) . (٤) يريد أن هذه الشمائل تستخرج حقد العدو المعرض عنه وتردّه الى مودّته . والنابى : المنصرف عنه . (٥) الكيس : العقل . يقول فى هذا البيت : إنه بسياسته وعقله ينال رضا المسلمين والنصارى . (٦) لا مترجحا، أى لا طالبا ربحا . (٧) لاهم، أى اللهم . ويريد بهذا البيت أنه لا يغضب لشخصه ولا يحزن لمنفعة فاتته، وإنما يغضب غضبة النائب عن الأمة فى سبيل المصلحة العامة . (٨) التباب، الخسران .

قامَتْ صِعابٌ فى مَسالِكِ سَعْيِه * مِنْ بَعْدِ (سَعْدٍ) دُعِّمَتْ بِصِعاب (١)

فَظَهِيرُه عند النِّضالِ ورُكْنُه * أَمْسَى حَدِيثَ جَنادِلٍ وتُراب (٢)

لِلّه سِرٌّ فى بِنايَةِ (ثَرْوَتٍ) * سُبْحانَ بانِى هٰذه الأَعْصاب (٣)

إِنِّى سَأَلْتُ العارِفين فلَمْ أَفُزْ * مِنْهُمْ على عِرْفانِهِمْ بِجَواب

هو مُسْتَقِيمٌ مُلْتَوٍ، هُوَ لَيِّنٌ * صُلْبٌ، هو الواعِى، هُوَ المُتَغابِى (٤)

هو حُوَّلٌ، هو قُلَّبٌ، هو واضِحٌ * هو غامِضٌ، هو قاطِعٌ، هو نابِى (٥)

هو ذٰلِكَ الطَّلَسْمُ مَنْ أَعْيَا الحِجَا * حَلًّا ومات ولَمْ يَفُزْ بِطِلاب (٦)

هو ما تَراهُ مُفاوِضًا كيفَ ٱنْبَرَى * لِكَبِيرِهِمْ بِذَكائِه الوَثّاب (٧)

لَمْ يَأْتِ مِنْ بابٍ لِصَيْدِ دَهائِه * إِلَّا نَجَا بِدَهائِه مِنْ باب (٨)

ويَظَلُّ يَرْقُبُه ويَغْزُو كِبْرَه * بِلُيُونَةٍ ولَباقَةٍ وخِلاب (٩)

---

(١) دعمت بصعاب، أى صعاب فوق صعاب . والتدعيم : التقوية . يشير بهذا البيت والذى بعده الى أن الفقيد كان يفاوض الإنجليز فى القضية المصرية سنة ١٩٢٧ م قبل موت سعد فى وزارة الائتلاف، فلما مات سعد فى أثناء تلك المفاوضة، أمن البريطانيون ذلك الجانب المخوف، وتشددوا فيما كانوا يريدون منحه لمصر قبل ذلك، وعاد ثروت بمشروع للمعاهدة لم يقبل .

(٢) الظهير : المعين . ويريد به سعدا . والجنادل : الحجارة .

(٣) بناية ثروت، أى تكوينه وخلقه (بفتح فسكون) . (٤) الواعى : الحافظ . والمتغابى : مدّعى الغباوة . (٥) الحوّل القلب : الحاذق البصير بتقليب الأمور وتحويلها، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى غيرها . (٦) الضمير فى «مات»، للفقيد، وفى «يفز» : للحجا .

(٧) كبيرهم، أى كبير الإنجليز، ويريد به المستر أوستن تشمبرلين وزير خارجية انجلترا، وهو الذى كان يفاوض الفقيد إذ ذاك . (٨) الضمير فى «يأتى» : لكبير الإنجليز . وفى «نجا» : لثروت .

(٩) الخلاب : المخاتلة والدهاء .

وَيَرُوضُه حَتَّى يَرَى أَسْطُولَه * خَشَبًا تَنَاثَرَ فَوْقَ ظَهْرِ عُبَابِ (١)

وَيَرَى صُنُوفًا مِنْ ذَكَاءٍ صُفِّفَتْ * دُونَ الحِمَى تُعْيِي أُسُودَ الغَابِ (٢)

وَأَتَى بِأَقْصَى مَا يَنَالُ مُفَاوِضٌ * يَسْعَى بِغَيْرِ كَتَائِبٍ وَحِرَابِ (٣)

وَٱسْتَلَّ مِنْ أَشْدَاقِ آسَادِ الشَّرَى * عَلَمًا عَضَضْنَ عَلَيْهِ بِالأَنْيَابِ (٤)

خَلَقًا خَبَا ضَوْءُ الهِلَالِ لِطَيِّهِ * جَمَّ التَّوَجُّعِ دَامِيَ الأَهْدَابِ (٥)

فَاخْضَرَّ فَوْقَ رُبُوعِ مِصْرٍ عُودُهُ * فِي مَنْبِتٍ خِصْبٍ وَرَحْبِ جَنَابِ

إِنْ فَاتَهُ بَعْضُ الأَمَانِي فَاذْكُرُوا * أَنَّا أَمَامَ مُحَنَّكِينَ صِلَابِ (٦)

قَدْ جَازَ تَيْهَاءَ الأُمُورِ وَلَمْ يَكُنْ * فِي وَعْرِهَا وَكُؤُودِهَا بِالكَابِي (٧)

رَجُلٌ يُفَاوِضُ وَحْدَهُ عَنْ أُمَّةٍ * إِنْ لَمْ يَفُزْ فَوْزًا فَلَيْسَ بِعَابِ (٨)

رَفَعَ الحِمَايَةَ بَعْدَ مَا بُسِطَتْ عَلَى * أَبْنَاءِ (مِصْرَ) وَأَيَّدَتْ بِكِتَابِ (٩)

---

(١) يروضه، أي يسوسه؛ وأصله من رياضة الدواب، أي تذليلها وتيسير ما صعب منها. والعباب: لجة البحر. (٢) الحمى، أي مصر؛ يريد بهذا البيت: أن ذكاء الفقيد كان حصنا للبلاد وقوة لها.

(٣) الكتائب: فرق الجيش. (٤) يشير بهذا البيت إلى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م الذي رفع الحماية عن مصر، واعترف الإنجليز فيه باستقلالها. والفضل في ذلك لثروت باشا الذي كان رئيسا للوزارة إذ ذاك. ويريد «بآساد الشرى» الإنجليز. (٥) يصف هذا العلم المصري بأنه رث بال من طول ما عانى من أذى للمستعمرين، وأن ضوء الهلال قد خبا حزنا لطيه بأيدي الغاصبين. وخص الهلال بالذكر، لأنه شعار هذا العلم. (٦) يريد «بالمحنكين الصلاب»: الإنجليز. والمحنك: الذي أحكمته التجارب.

(٧) التيهاء: الصحراء التي يضل فيها السائر. والكؤود من العقبات: الصعبة الشاقة على من صعدها. والكابي: العاثر. (٨) فوزا، أي فوزا كاملا. والعاب: العيب. (٩) يريد الكتاب الذي أرسلته حكومة الإنجليز إلى المغفور له السلطان حسين كامل على يد الجنرال مكسويل قائد الجيوش البريطانية في مصر إذ ذاك بوضع مصر تحت الحماية البريطانية، وذلك في ديسمبر سنة ١٩١٤م.

وأتَى (لِمِصْـــرَ) وأَهْلِها بِسِـيادَةٍ * مَرْفُـوعَةِ الأَعْـلامِ والأَطْنـابِ

غَفْرًا فَلَسْتُ ببالِـغٍ فيكَ المَـدَى (١) * إنِّى غَـذَذْتُ إلى مَـداكَ رِكابِى

كَمْ مَوْقِفٍ لكَ فى الجِهادِ مُسَجَّلٍ * بِشَهادَةِ الأَعْـداءِ والأَصْحابِ

فى خَطْبِ مِصْرَ (لِبُطْرُسٍ) أَحْمَدْتَهَا (٢) * مَشْـبُوبَةً كانَتْ عـلى الأَبْوابِ

أَلَّفْتَ بَيْنَ العُنْصُرَيْنِ فأَصْبَحَا (٣) * رَتْقًا، وكُنتَ مُوَفِّقَ الأَسْبابِ

خَالَفْتُ فيـكَ الجازِعِين فلَمْ أَنُحْ * حُزْنًا عليـكَ وأَنْتَ مِنْ أَتْرابِى

النَّـوْحُ فى الجُـلَّى (٤) اجْتِهادُ مُقَصِّرٍ * أَلْفَى دُعاءَ الصَّـبْرِ غَـيْرَ مُجابِ

وأنا الَّذى يَبْكِى بِشِـعْرٍ خالِدٍ * يَبْـقَى على الأَجْيالِ للأَعْقـابِ

قد كنتَ تُحْسِنُ بِى وتَرْقُبُ جَوْلَتِى * فى حَلْبَـةِ الشُّعَراءِ والكُتّابِ

وتَهَشُّ إنْ لاقَيْتَـنِى وتَخُصُّنِى * بالبِشْـرِ فى ناديكَ والتَّرْحابِ

فاذْهَبْ كما ذَهَبَ الرَّبِيـعُ بنَوْرِه (٥) * تَأْسَى الرِّياضُ عَلَيْـهِ غِبَّ ذَهابِ

---

(١) غذذت : أسرعت . يقول : إنه قد حث مطايا الشعر واجتهد فى أن يبلغ مدى وصف الفقيد فلم يستطع . والذى فى كتب اللغة : «أغذذت» بالهمز فى أوله .

(٢) يشير بهذ البيت والذى بعـده إلى الفتنة التى كادت تشتعل نارها بين الأقباط والمسـلمين حين قتل بطرس غالى باشا ، وكان الفضل فى إخماد هذه الفتنة ، ورجوع الطائفتين الى ماتقضى به الحكمة ومصلحة الوطن ، لمرافعة الفقيد فى هذه القضية ضد الوردانى ، قاتل بطرس باشا ، وكان اذ ذاك نائبا عموميا .

(٣) رتقا : ملتئمين . (٤) الجلى : ما جل وعظم من النوائب .

(٥) النور (بفتح النون) : زهر النبات . و«تأسى الرياض» ... الخ ، أى تحزن لذهابه ، ويذوى نباتها لغيابه .

رثاء محمود سليمان باشا (١)

[نشرت فى ١٩ فبراير سنة ١٩٢٩ م]

مُسْدِى الجَمِيلِ بِلَا مَنٍّ يُكَدِّرُه * ومُكْرِمُ الضَّيْفِ أَمْسَى ضَيْفَ (رِضْوَانِ) (٢)

تَجْنَازُنَا عَبْقَةٌ مِنْ رَوْضَةٍ أُنُفٍ * اذا أَلَمَّتْ بِنَا ذِكْرَى (سُلَيْمَانِ) (٣)

نَقُلْ (لآلِ سُلَيْمَانٍ) إذا جَزِعُوا * رُدُّوا النُّفُوسَ إلى صَبْرٍ وسُلْوَانِ

ما إنْ رَأَيْتُ دَفِينًا قبلَ شَيْخِكُمُ * تَحْتَ التُّرَابِ وفَوْقَ النَّجْمِ فى آنِ

قَضَيْتَهَا مِئَةً فى كلِّ واحِدَةٍ * تُعِدُّ زادَكَ مِنْ بِرٍّ وإحْسَانِ (٤)

فَكَمْ صَفَحْتَ عَنِ الجانِى ولَمْ تَرَه * وكَمْ غَرَسْتَ وكانَ المُعْوِزُ الجانِى (٥)

وكم أَقَلْتَ كَرِيمًا عند عَثْرَتِه * وكَمْ مَشَيْتَ بِصُلْحٍ بَيْنَ إخْوَانِ (٦)

إنِّى رَأَيْتُكَ قَبْلَ المَوْتِ فى فَلَكٍ * مِنَ الجَلَالِ على جَنْبَيْهِ نُورَانِ

نُورُ اليَقِينِ ونُورُ الشَّيْبِ بَيْنَهُما * سَكِينَةٌ حَرَّكَتْ نَفْسِى ووِجْدانِى

على جَبِينِكَ آياتُ الرِّضَا ارتَسَمَتْ * وبَيْنَ جَنْبَيْكَ قَلْبٌ غَيْرُ وَسْنَانِ (٧)

---

(١) محمود سليمان باشا : كان عميد الأسرة السليمانية المعروفة بالصعيد ، ومن كبار رجال النهضة الوطنية ، ورئيسا للجنة الوفد المركزية ، وهو والد صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس الوزارة سابقا ، وكانت وفاته فى ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩ م ، وقد نيف على التسعين ... . (٢) مسدى الجميل : معطيه . والمن : عدّ النعم والصنائع تعييرا بها . (٣) « تجنازنا عبقة » الخ ... ، أى تمرّ بنا نفحة من طيب روضة مصونة لم تبتذل ، شبه ذكراه بطيب الرياض المصونة . (٤) هذا العدد الذى ذكره الشاعر لعمر الفقيد انما هو على وجه التقريب . (٥) المعوز : الفقير السيئ الحال . ويريد « بالجانى » الأول فى هذا البيت : مقترف الجناية ؛ و (بالجانى) : مجتنى الثمار . (٦) يقال : أقلت فلانا عثرته ، اذا صفحت عنه ودفعت ما نزل به من مكروه . (٧) الوسنان : النائم .

قَسَـمْتَ ما جَمَعَتْ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ (١) * على بَنِيـــكَ فكنتَ الوالِدَ الحـانِى

مالٌ حَـــلالٌ مُزَكًّى ما خَلَطْتَ بـــه * مِلِّـــيمَ سُحْتٍ ولا حَقًّا لإِنْسـان (٢)

زَهِـــدْتَ فيهـا وهَامَ العابِدُونَ لها * بِجَمْـــعِ فانٍ يُعـانِى جَمْعَـــه فانِى

بِكِسْرَةٍ وكِساءٍ عِشْتَ مُغْتَبِطًـا * تُسَـــبِّحُ اللهَ فى سِرٍّ وإِعْلانِ

أَقَـــرَّ عَيْنَيْـــكَ فى دُنْيـاكَ أَنْ رَأَتَا * (مُحَمَّـدًا) يَتَراءَى فَوْقَ (كِيوانِ) (٣)

قَضَيْتَ فى الأَوْجِ مِنْ عِزَّيْكُما وكذا * يَقْضِى (سُلَيْمانُ) فى عِزٍّ وسُـــلْطانِ (٤)

أَنْجَبْتَ أَرْبَعَـــةً سادُوا بأَرْبَعَـةٍ : * فَضْـــلٍ ونُبْـــلٍ وإِحْسانٍ وعِرْفانِ (٥)

أَوْرَثْتَهُـــمْ شَمَمًـا هَشَّ الإِباءُ لَـــه * وأَوْرَقَتْ فى ذُراهُ عِزَّةُ الشَّـانِ (٦)

يَذْكُرْنَ بَرًّا رَحِـــيمًا قـــد أَقَامَ لَهُـــمْ * صَرْحًا مِنَ المَجْـدِ أَعْلَى رُكْنَه البـانِى (٧)

كَمْ نِعْمَـةٍ لَكَ يا (مَحْمُـودُ) عِنْـدَ أَبٍى * بِشُكْرِها لَكَ عِنْـــدَ المَوْتِ أَوْصـانِى (٨)

---

(١) النشب : المال . (٢) السحت : ما خبث من المكاسب ولزم عنه العار .

(٣) يريد محمد محمود باشا ، وكان رئيسا للوزارة حين موت والده . وكيوان : اسم كوكب زحل . ويضرب مثلا فى علو المنزلة . (٤) قضيت : مت . والأوج : العلو . ويريد «بسليمان» : نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام . (٥) يريد أولاده الأربعة ، وهم محمد محمود ، وحفنى محمود ، وعبد الرحمن محمود ، وعلى محمود . (٦) الشمم : كناية عن الرفعة وشرف النفس ، وهى فى الأصل ، ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة . وهش : ارتاح . وذراه : أعاليه . (٧) الضمير فى قوله « يذكرن » : للصفات السابق ذكرها فى البيت السابق ، وهى الشمم والإباء وعزة الشأن . إذ ليس فيما سبق ما يصلح جعله مرجعا لهذا الضمير غيرها . (٨) يشير الشاعر بهذا البيت الى أن أباه ابراهيم أفندى فهمى مهندس قناطر دير وط كان له اتصال بالفقيد ، وكان للفقيد عليه كثير من الأيادى والمنن .

تأبين محمد المويلحى بك (١)

أبيات قالها وهو يسير خلف نعشه

[نشرت فى ١٨ أبريل سنة ١٩٣٠ م]

غابَ الأَدِيبُ أَدِيبُ (مِصْرٍ) وٱخْتَفَى * فَلْتَبْكِهِ الأَقْلامُ أَوْ تَتَقَصَّفَا

لَهْفِى على تِلْكَ الأَنامِلِ فى البِلَى * كم سَطَّرَتْ حِكَمًا وهَزَّتْ مُرْهَفَا

ماتَ (المُوِلْحِىُّ) الحُسانُ ولَمْ يَمُتْ * حَتَّى غَزَا «عِيسَى» العُقولَ وثَقَّفَا (٢)

وقال يرثيه أيضا :

أنشد هذه القصيدة فى حفل التأبين الذى أقيم فى مسرح حديقة الأزبكية فى ١٣ يونيه ١٩٣٠ م

دَمْعَةٌ مِنْ دُمُوعِ عَهْدِ الشَّبابِ * كُنْتُ خَبَّأْتُها لِيَوْمِ ٱلمُصابِ (٣)

لَبَّتِ اليَوْمَ يا (مُحَمَّدُ) لَمَّا * راعَنِى نَعْىُ أَكْتَبِ الكُتَّابِ (٤)

هَدَّأَتْ لَوْعَتِى وسَرَّتْ قَلِيلًا * عن فُؤادِى ولَطَّفَتْ بعضَ مابى (٥)

مَوْكِبُ الدَّفْنِ خَلْفَ نَعْشِكَ يَمْشِى * فى ٱحتِسابٍ وحَسْرَةٍ وٱنتِحابِ (٦)

لَمْ يُجاوِزْ مَنازِلَ البَدْرِ عَدًّا * مِنْ بَقايَا الصَّدِيقِ والأَحْبابِ (٧)

---

(١) انظر التعريف بمحمد المويلحى بك (فى الحاشيه رقم ٣ صفحة ١٥٠ من الجزء الأول) .

(٢) الحسان : الحسن من الرجال . ويريد «بعيسى» : كتاب الفقيد ، وهو حديث عيسى بن هشام المعروف . (٣) خص عهد الشباب لأنه عهد الفتوة ، وفيه يجد الإنسان معينا من الدمع وقوة على البكاء . (٤) راعنى : أفزعنى . (٥) سرت عن فؤادى : أى كشفت عنه الهم والحزن .

(٦) فى ٱحتساب ، أى فى طلب الثواب . (٧) منازل البدر : مواضعه التى ينزل فيها فى دورانه ، وهى ٱثنا عشر منزلا . يقول : إن عدد الذين شيعوه قد بلغ مبلغ هذه المنازل فى القلة وعلو المنزلة .

لَمْ يَسِرْ فيه مَنْ يُحَاوِلُ أَجْرًا * عِنْدَ حَيٍّ مُؤَمِّلٍ أو يُحَابِي

مَوْكِبٌ ماجَ جانباهُ بحَفْلٍ * مِنْ وُفُودِ الأَخْلاقِ والأَحْسابِ (١)

شاعَ فيه الوَفاءُ والحُزْنُ حَتَّى * ضاقَ عَنْ حَشْدِه فَسِيحُ الرِّحابِ

فبكاتِ السَّماءَ والأَرْضَ تَمْشِي * فيه مِنْ هَيْبَةٍ وعِزِّ جَنابِ

تَمَنَّى قِياصِرُ الأَرْضِ لَوْ فَا * زَتْ لَدَى مَوْتِها بِهٰذا الرِّكابِ

رُبَّ نَعْشٍ قد شَيَّعَتْهُ أُلُوفٌ * مِنْ سَوادٍ تَعْلُوه سُودُ الثِّيابِ (٢)

ليس فيهِمْ مِنْ جازِعٍ أو حَزِينٍ * صادِقِ السَّعْيِ أو أَلِيفِ مُصابِ

كنتَ لا تَرْتَضِى النُّجومَ مَحَلًّا * فلِماذا رَضِيتَ سُكْنَى التُّرابِ!

كنتَ راحَ النُّفُوسِ فى مَجْلِسِ الأُنْـ * ـسِ وراحَ العُقولِ عندَ الخِطابِ (٣)

كنتُ لا تُرْهِقُ الصَّدِيقَ بِلَوْمٍ * لا ولا تَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصِّحابِ (٤)

ولئن بِتَّ عاتِبًا أو غَضُوبًا * لَقَرِيبُ الرِّضا كَرِيمُ العِتابِ

جُزْتَ سَبْعِينَ حِجَّةً لا تُبَالِى * بِسُهادٍ تَعاقَبَتْ أم بِصابِ (٥)

وسَواءٌ لَدَيْكَ والرأْىُ حُرٌّ * رَوْحُ (نَيْسانَ) أو لَوافِحُ (آبِ) (٦)

---

(١) ماج : اضطرب . (٢) سواد الناس : عامتهم . (٣) الراح : الخمر .

(٤) ترهق الصديق ، أى تؤذيه وتحمله ما يسوءه ويؤلم . (٥) الشهاد : عسل النحل . والصاب : عصارة شجر شديد المرارة . يريد حلو الزمان ومره . (٦) الروح : الريح . ونيسان ، شهر من شهور لسنة المسيحية ، ويقابله أبريل حيث يكون الربيع . واللوافح من الرياح : الحارة . وآب ، شهر من شهور السنة المسيحية ، ويقابله أغسطس ، حيث يشتد القيظ . يقول : إنه سواء لديه فى سبيل رأيه الحر ما يلاقيه من نعيم الزمان وشقائه .

يا شُجاعًا وَمَا الشَّجاعَةُ إلّا الـ ـصَّبْرُ لا الحَوْضُ فى صُدُورِ الصِّعابِ

(١)
كنتَ نِعْمَ الصَّبُورُ إنْ حَرَبَ الأَمْـ * ـرُ وسُدَّتْ مَسَارِحُ الأَسْبابِ

(٢)
كم تَجَلَّدْتَ والأَمانِيُّ صَرْعَى * وتَماسَكْتَ والخُطُوطُ كَوابِى

(٣)
عِشْتَ ماعِشْتَ كالجِبالِ الرَّواسِى * فَوْقَ نارٍ تُذِيبُ صُمَّ الصِّلابِ

مُؤْثِرَ البُؤْسِ والشَّقاءِ على الشَّكْـ * ـوَى وإنْ عَضَّكَ الزَّمانُ بِنابِ

(٤)
كنتَ تَحْلُو بالنَّفْسِ والنَّفْسُ تُشْوَى * مِنْ كُؤُوسِ الهُمُومِ والأَوْصابِ

(٥)
فتُسَرِّى بالذِّكْرِ عنها وتَنْفِى * ما عَراهَا مِنْ غُصَّةٍ وآكْتِئابِ

وتَرَى وَحْشَةَ انفرادِكَ أُنْسًا * بحَدِيثِ النُّفُوسِ والأَلْبابِ

(٦)
بِنتَ عنها وما جَنَيْتَ وقَدْ كا * نَتْ بَأْساءَها على الأَحْقابِ

(٧)
ونَبَذْتَ الثَّراءَ تَبْذُلُ فيه * مِنْ إباءٍ فى بَذْلِه شَرُّعابِ

(٨)
لو شَهِدْتُمْ (محمدا) وهْوَ يُمْلِى * آىَ "عِيسَى" ومُعْجِزاتِ الكِتابِ

وَقَفَتْ حَوْلَهُ صُفُوفُ المَعانِى * وصُفُوفُ الأَلْفاظِ مِنْ كلِّ بابِ

---

(١) يقال : حربه الأمر ، إذا اشتدّ عليه وضغطه . وسدّت مسارح الأسباب ، أى سدّت مذاهب العيش والرزق .

(٢) تجملت ، أى لم تظهر الجزع . وكوابى ، أى عواثر .

(٣) صم الصلاب ، أى الحجارة الشديدة الغليظة الصلبة .

(٤) الأوصاب : الآلام ؛ الواحد وصب (بالتحريك) .

(٥) الذكر : القرآن ، وكان الفقيد يكثر تلاوته فى آخر أيامه .

(٦) بنت : بعدت . وعنها ، أى عن الدنيا . والأحقاب : السنون .

(٧) الثراء : الغنى . والعاب : العيب . والضمير فى «بذله» : يعود على الإباء . يقول : إنك عفت الغنى الذى لا ينال إلا بالذل وفقد الإباء ، وفقد الإباء شر ما يعاب به الأبى .

(٨) آى عيسى ، أى آيات كتابه « حديث عيسى بن هشام » .

لَعلِمْتُمُ بأنّ عَهْـدَ (ٱبنِ بَحْرٍ) (١) * عادَ الشَّرقَ بَعْدَ طُولِ ٱحتِجاب

أَدَبٌ مُسْـتَوٍ وقَلْبٌ جَمِيـعٌ (٢) * وذَكاءٌ يُرِيكَ ضَـوْءَ الشِّهاب

عِنْـدَ رَأْيٍ مُوَفَّقٍ، عِنْـدَ حَـزْمٍ * عِنْدَ عِلْمٍ، يَفِيضُ فَيْضَ السَّحاب

جَـلَّ أُسْـلُوبُه النَّـقِيُّ المُصَـفَّى (٣) * عَنْ غُمُوضٍ ونَفْـرَةٍ وٱضطِراب

وسَمَـا نَقْـدُه النَّزِيهُ عَنِ الهُجْـ (٤) * ـرِ فما شِيبَ مرَّةً بالسِّـباب

ذُقْتَ فى غُرْبَةِ الحَيَـاةِ عَنـاءً * فـذُقِ اليـومَ راحَةً فى الإياب

بَلِّـغ (البابِلِيَّ) عَـنِّى سَـلامًا (٥) * كعَبِيرِ الرِّياضِ أوْ كالمَلاب

كان تِرْبِى وكان مِنْ نِعَـمِ المُبْـ (٦) * ـدِعِ — سُبْحانَه — على الأَتْراب

فارِسٌ فى النَّـدَى إذا قَصَّرَ الفُـرْ * سانُ عنـه وفارِسٌ فى الجَـواب

يُرْسِـلُ النُّكْتَـةَ الطَّرِيفَـةَ تَمْشِى * فى رَقِيقِ الشُّعُورِ مَشْىَ الشَّراب

قـد أَثارَ (المُحَمَّـدانِ) دَفِينًـا (٧) * فى فُؤادِى وقـد أَطَارا صَـوابِى

خَلَّفَـانِى بَيْنَ الرِّفاقِ وَحِيـدًا * مُسْتَكِينًا وأَمْعَنَـا فى الغِيـاب

---

(١) ابن بحر، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكاتب المتكلم المعروف.

(٢) وقلب جميع، أى مجتمع لا تفرقه الحوادث والشدائد.

(٣) يريد «بالنفرة» تنافر الألفاظ وعدم اتساق بعضها مع بعض.

(٤) الهجر (بالضم): القبيح الفاحش من الكلام. وشيب: خلط. (٥) يريد «بالبابلى»: محمد البابلى بك. (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٦ من الجزء الأول) وعبير الرياض: طيبها. والملاب: كل عطر مائع؛ وهو لفظ فارسى معرّب. (٦) ترب الإنسان: نظيره فى السن.

(٧) المحمدان، محمد المويلحى، ومحمد البابلى.

رثاء عبد الحليم العلايلى بك (١)

[نشرت فى ٦ مايو سنة ١٩٣٢ م]

يا بنَ (عَبْدِ السَّلام) لا كانَ يَوْمٌ * غِبْتَ فيــه عن هَالَةِ الأَحْرارِ (٢)

كنتَ فِيهِمْ كالرُّمْحِ بأْسًا ولِينًا * كنتَ فِيهِمْ كالكَوْكَبِ السَّيّارِ

يا عَرِيقَ الأُصُولِ والحَسَبِ الوَ * ضّـاحِ والنُّبْلِ يا كَرِيمَ الجِوارِ (٣)

كنتَ فَرْعًا بدَوْحَةِ العِزِّ تأْوِى * تَحْتَ أَفْنانه عُفاةُ الدِّيارِ (٤)

قَصَفَتْهُ المَنُونُ وهْوَ نَضِيرٌ * مُورِقٌ عُودُه جَنِيُّ الثِّمارِ

كنتَ تأْسُو جِراحَهُمْ وتَقِيهِمْ * وتُقِيلُ العِثارَ عنـد العِثارِ (٥)

خانَ نُطْقِى ولَمْ تَخُنِّى دُمُوعِى * لَهْفَ نَفْسِى فقَصَّرَتْ أَشْعارِى

غَيْرُ بِدْعٍ إذا نَظَمْتُ رِثائى * فى صَدِيقٍ مِن الدُّموعِ الجَوارِى (٦)

فِمنَ الحُزْنِ ما يَدُكُّ الرَّواسِى * ومِن الحُزْنِ ما يَهُدُّ الضَّوارِى (٧)

---

(١) عبد الحليم العلايلى بك ، هو ابن عبد السلام العلايلى بك من سراة دمياط المعروفين ، وقد اشترك فى النهضة الوطنية زمنا طويلا ، وكان عضوا بارزا فى حزب الأحرار الدستوريين ، وانتخب (سكرتيرا) عاما لهذا الحزب ، وكان عضوا فى مجلس النواب فى بعض السنين ؛ وتوفى فى ٣ مايو سنة ١٩٣٢ م .

(٢) الهالة : دارة القمر ، شبه بها جماعة الأحرار الدستوريين . (٣) الحسب الوضاح : المشهور . (٤) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . والأفنان : الأغصان . والعفاة : طلاب المعروف . (٥) تاسو جراحهم : تداويها وتبرئها . وتقيهم : تحفظهم . وأقات فلانا عثرته ، إذا وقع فى خطأ فدفعت عنه ما يتوقع من عاقبته وصفحت عن زلته .

(٦) البدع : الغريب . (٧) يدك : يهدم . والرواسى : الجبال . والضوارى : السباع المولعة بالافتراس ، الواحد ضار .

وقال يرثيه أيضا :

[نشرت فى ١٦ يونيه ١٩٣٢ م]

مَضَيْتَ ونَحْنُ أَحْوَجُ ما نَكُونُ * إِلَيْكَ ومِثْـلُ خَطْبِكَ لا يَهُونُ

بِرَغْمِ (النِّيلِ) أَنْ عَدَتِ العَوادِى * عَلَيْـكَ وأَنْتَ خادِمُهُ الأَمِـينِ

بِرَغْمِ (الثَّغْرِ) أَنْ غُيِّبْتَ عَنْـهُ (١) * وأَنَّ نَزَلْتَ بساحَتِـكَ المَنُونُ

أَجَـلُّ مُنـاهُ لو يَحْوِيكَ مَيْتًـا * لَيَجْبُرَ كَسْرَهُ ذاكَ الدَّفِـينُ (٢)

أَسالَ مِنَ الدُّموعِ عَلَيْـكَ بَحْرًا * تَكادُ بِلُجَّةٍ تَجْـرِى السَّـفِينُ

وقامَ النّـادِباتُ بكُلِّ دارٍ * وكَبَّرَ فى مَآذِنِهِ الأَذِينُ (٣)

أُصِـيبَ بِذِى مَضـاءٍ أَرْيَحِيٍّ * به عنـد الشَّـدائِدِ يَسْـتَعِينُ (٤)

فَـتَى الفِتْيانِ غالَتْـكَ المَنـايَا * وغُصْـنُكَ لا تُطاوِلُهُ غُصـونُ

صَحِبْتُكَ حِقْبَـةً فصَحِبتُ حُرًّا * أَبِيًّـا لا يُهـانُ ولا يُهِينُ (٥)

نَبِيلَ الطَّبْـعِ لا يَغْتـابُ خِلًّا * ولا يُؤْذِى العَشِـيرَ ولا يَمِـينُ (٦)

تَطَوَّعَ فى الجِهادِ لِوَجْهِ (مِصْرٍ) * فما حامَتْ حَوالَيْـهِ الظُّنُونُ

ولَمْ يَفِ الوَعِيـدُ له عِنـانًا * ولَمْ تَحْنَثْ له أَبَـدًا يَمِينُ

---

(١) يريد « بالثغر » : مدينـة دمياط . والمنون : الموت . (٢) يشير بهذا البيت إلى أن الفقيد دفن بقرافة الإمام الشافعى بمصر ولم يدفن بدمياط . (٣) الأذين : المؤذن . ويشير بقوله « وكبر ...الخ » : إلى ما كان مألوفا من أنه إذا مات عظيم قام المؤذنون يعونه التكبير على المآذن فى غير أوقات الأذان . (٤) الضمير فى قوله « أصيب » . للثغر السابق ذكره . والأريحى : الذى يرتاح للمعروف . (٥) الحقبة : الدهر . (٦) ماذ يمين : كذب .

وَلَمْ تَـنْزِلْ بِعِـزَّته الدَّنايَا * وَلَمْ يَعْـلَقْ به ذُلٌّ وهُونُ

مَضَى لِسَبِيلِه لَمْ يَحْنِ رَأسًا * ولَمْ يَـبْرَحْ سَرِيرَتَه اليَقِين

تَرَكْتَ أَلِيفَـةً تَرْجُـو مُعِينًا * ولَيْسَ سِوَى الدُّمُوعِ لها مُعِين (١)

تَنُوحُ على القَرِينِ وأَيْنَ منها * وقدغَالَ الرَّدَى ــ ذاكَ القَرِين

سَمِعْتُ أَنِينَهَا واللَّيـلُ ساجٍ * فَـزَّقَ مُهْجَتِي ذاكَ الأَنِين (٢)

فقـد عايَنْتُ قِـدْمًا ما يُعانِى * على عِلّاته القَلْبُ الحَزِينُ

مِنَ الخَفِرات قد نَعِمَتْ بزَوْجٍ * سَمَا بجـلَالِه أَدَبٌ ودِينُ (٣)

أَقامَتْ فى النَّعِـيم ولَمْ تُرَوَّعْ * فكلُّ حَياتِها رَغَـدٌ ولِين

لقـد نَسَجَ العَفافُ لَهَا رِداءً * وَزَانَ رِداءَها الخِدْرُ المَصُون

دَهاهَا المَوْتُ فى الإِلْفِ المُفَدَّى * وكَدَّرَ صَفْوَها الدَّهْرُ الخَؤُون

فكادَ مُصابُها يأتِى عَلَيْهَا * لِساعَتِها وتَقْتُلُها الشُّجُون (٤)

رَبِيبَـةُ نِعْمَةٍ لَمْ تَبْـلُ حُـزْنًا * ولَمْ تَشْرَقْ بأَدْمُعِها الجُفُون (٥)

وَفَتْ لأَلِيفِهـا حَيًّـا ومَيْتًـا * كَذَاكَ كَرِيمَةُ (اللَّوْزِى) تَكُون (٦)

سَتَكْفِيها العِنَـايةُ كُلَّ شَرٍّ * ويَحْرُسُ خِدْرَها (الرُّوحُ الأَمِين)

---

(١) يريد « بالأليفة » : زوجه . (٢) سجا الليل : سكن وهدأ . (٣) الخفرات : ذوات الحياء ؛ الواحدة خفرة (بفتح أوله وكسر ثانيه) . (٤) يأتى عليها : يذهب بها ويهلكها .

(٥) لم تبل حزنا ، أى لم تعرفه ولم تذق مرارته . وشرق الجفن : احمر من البكاء .

(٦) اللوزى : لقب لأسرة عريقة بثغر دمياط معروفة ، وكانت زوج الفقيد منها .

رثاء محمود الحمولى

وهو ابن المرحوم عبده الحمولى المغنى المعروف ، وكان قد مات بعد قرانه بقليل

شَوَّقْتُمانِى أَيُّها ٱلفَرْقَـدانِ * لِبَدْرٍ تَمٍّ غابَ قَبْلَ الأَوانِ (١)

وكُلَّما اَشْـــرَقْتُما مَرَّةً * عَلَّمْتُما عَيْنَىَّ نَظْمَ الجُمانِ (٢)

على عَزيزٍ قـد تَوَلَّى ولَنْ * يَؤُوبَ حتَّى يَرْجِعَ القارِظانِ (٣)

عَجِّلْتَ يا (محمود) فى رِحْلَةٍ * قَرَّتْ بها أَعْيُنُ حُورِ الجِنانِ

كأَنَّما آخِرُ عَهْـدِ الهَنا * قد كان مِنّا ليلةَ المِهْرَجانِ (٤)

رثاء حبيب (٥) المطران باشا

أَعَزِّى فيـكَ أَهْلَكَ ، أَمْ أُعَزِّى * عُفاةَ النّـاسِ ، أَمْ هِمَـمَ الكِرامِ؟ (٦)

وما أَدْرِى أَرُكْنُ ٱلجاهِ أَوْدَى * وقَـد أَوْدَيْتَ أَمْ رُكْنُ الشّآمِ؟ (٧)

---

(١) يريد : أنه كلما رأى الفرقدين تذكر ذلك البدر فاشتاق إليه .

(٢) الجمان : اللؤلؤ ؛ الواحدة جمانة ، شبه بها الدموع . (٣) القارظان : رجلان من عنزة خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا ، ولا عرف لهما خبر ، فضرب بهما المثـل لكل غائب لا يرجى إيابه .

(٤) المهرجان : عيد للفـرس ؛ ويطلق الآن على كل حفل وعيد ؛ ويريد به هنا حفل العرس .

(٥) كان حبيب المطران باشا سريا من سراة الشام ، وكان قصره فى بعلبك مقصد الوزراء والوجهاء ، وقد نزل به المرحوم الأستاذ الشيخ محمد عبده فى بعض أيام إقامته بالشام حين كان منفيا بها بعد الثورة العرابية . (٦) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . (٧) أودى : هلك .

رثاء المرحوم أحمد البابلى

بَـدَأَ المَـاتُ يَـدِبُّ فى أَتْرَابِى * وبَدَأْتُ أَعْرِفُ وَحْشَةَ الأَحْبَابِ

يا بَابِلِىُّ فِـداكَ إِلْفُـكَ فى الصِّبَا * وفِدا شَـبابِكَ فى التُّرَابِ شَـبابِى

قد كُنْتَ خُلْصانِى ومَوْضِعَ حاجَتِى (١) * ومَقَـرَّ آمالِى وخَـيْرَ صِحابِى

فاذْهَبْ كما ذَهَبَ الكِرامُ مُشَيَّعًا * بالمَجْـدِ مَبْكِيًّا مِنَ الأَحْبابِ

تعزية المرحوم محمود سامى البارودى باشا فى ابنته

وَدِيعَـةٌ رُدَّتْ إلى رَبِّهـا * ومالِكُ الأَرْواحِ أَوْلَى بِهـا

أَلَمْ يَكُنْ صَبْرُكَ فى بُعْـدِها * يَرْبُو على شُكْلِكَ فى قُرْبِهـا (٢) ؟

وقال يرثيها أيضا :

بَيْنَ السَّرائِرِ ضِـنَّةٌ دَفَنُـوكِ * أَمْ فى المَحـاجِرِ خُلْسَـةٌ خَبَّـأُوكِ (٣) ؟

ما أَنْتِ مِمَّنْ يَرْتَضِى هٰـذا الثَّرَى * نُزُلًا فَهَـلْ أَرْضَـوْكِ أَمْ غَبَنُوكِ (٤) ؟

---

(١) الخلصان (بالضم) : الخالص من الأخدان ، يستوى فيه الواحد كما هنا ، والجماعة أيضا . يقال : هو خلصانى ، وهم خلصانى .

(٢) يربو : يزيد ، والمستعمل فى هذا المعنى : أربى يربى .

(٣) السرائر : جمع سريرة ، وهى السر ، والمراد هنا : موضعه . وضنة ، أى بخلا بها . والمحاجر : جمع محجر (وزان مجلس) ، وهو ما دار بالعين . « يريد » أن حرصهم على الفقيدة وبخلهم بها جعله يظن أنهم دفنوها فى ضمائرهم أو فى عيونهم ، فهو يستفهم عن أيهما دفنت فيه . (٤) النزل : المكان المهيأ للنزول به .

يا بِنْتَ (مَحْمُودٍ) يَعِزُّ على الوَرَى * لَمْسُ التُّرابِ لِجِسْمِكِ المَنْهُوكِ (١)

تَرَكُوا شَبابَكِ فيهِ نَهْبًا للبِلَى * واهًا لِغَضِّ شَبابِكِ المَتْرُوكِ (٢)

وحَثَوْهُ فوقَ سَنائِكِ ياشَمْسَ الضُّحَى * فبَكَى له بَدْرُ السَّماءِ أَخُوكِ (٣)

داسَ الحِمامُ عَرِينَ آسادِ الشَّرَى * يا لَيْتَ شِعْرِى أينَ كان أَبُوكِ؟ (٤)

عَهْدِى به يَلْقَى الرَّدَى بمُهَنَّدٍ * يَعْلُوه غِمْدٌ مِنْ دَمٍ مَسْفُوكِ (٥)

يا نَفْسَ (مَحْمُودٍ) وأنتِ عَلِيمَةٌ * بطَرِيقِ هٰذا العالَمِ المَسْلُوكِ

عَهِدُوكِ لا تَتَصَدَّعِينَ لحادِثٍ * أَوَ أَنْتِ باقِيَةٌ كما عَهِدُوكِ (٦)

هٰذا التُّرابُ — وأنتِ أَعلمُ — مُلْتَقَى * هٰذا الوَرَى مِنْ سُوقَةٍ ومُلُوكِ (٧)

هل أنتِ إلّا بَيْنَ جَنْبَيْ ماجِدٍ * صَعْبِ الشَّكِيمَةِ للخُطُوبِ ضَحُوكِ (٨)

يُغْضِى بحَضْرَتِه الزَّمانُ فيَلْتَقِى * عِزُّ المَلِيكِ وذِلَّةُ المَمْلُوكِ (٩)

---

(١) المنهوك : المجهود المضنى .

(٢) الغض : الطرى الناعم .

(٣) حثا التراب على الميت يحثوه : هاله عليه . والسنا : الضوء .

(٤) الحمام (بالكسر) : الموت . وعرين الأسد : مأواه . والشرى : مأسدة بجانب الفرات يضرب بآسادها المثل . ويريد «بعرين الأسد» : بيت أبيها .

(٥) المهند : السيف .

(٦) التصدّع : التشقق . (٧) أنت : يخاطب نفس البارودى .

(٨) صعب الشكيمة : أى أنوف أبى لانقاد .

(٩) يغضى الزمان : أى يستحيى منه ويهابه .

ملاحظة — أشير فى نهاية هذه القصيدة فى طبعة هذا الديوان السابقة الى أنها قصيدة طويلة ، وأنه لم يعثر منها إلا على هذه الأبيات ، وقد بحثنا نحن أيضا عن بقيتها فلم نجدها .

"من مرثية وهمية"

بلغ حافظا أن چورج الخامس ملك انجلترا قد توفى، فلم يكد يسمع هـذا النبأ حتى بدأ ينظم قصيدة فى رثائه، ثم تبين له بعد عدم صحة هـذا الخبر وقد وقفنا على بيتين من هذه المرثية، وهما :

إنّ الّذى كانت الدّنيـا بقَبْضَـتِهِ * أَمْسَى مِن الأَرْضِ يَحْوِيهِ ذِراعانِ

وغابَ عن مُلْكِه من لَمْ تَغِبْ أبَدًا * عن مُلْكِهِ الشَّمْس منْ عِزٍّ وسُلْطانِ

* * *

تم ديوان حافظ ابراهيم

فهرس

قصائد الجزء الأوّل والثانى

(حرف الهمزة)

	جزء	صفحة
هل رأيتم موقفا كعلى ... في الأطباء يستحق الثناء	١	٥٨
لي كساء أنعم به من كساء ... أنا فيه أتيه مثل الكساء	١	٢٠٥
ببابك النحس والسعود ... وموقف اليأس والرجاء	١	٢١٣
هذا الظلام أثار كامن دائي ... يا ساقيي على بالصهباء	١	٢٣٩
أليسوك الدماء فوق الدماء ... وأروك العداء بعد العداء	١	٢٥٢
خلقت لي نفسا فأرصدتها ... للحزن والبلوى وهذا الشقاء	٢	١١٤
لا رالأسى وتلهب الأحشاء ... ما بات بعدك معجب بوفاء	٢	١٣٥
أعزي القوم لو سمعوا عزائي ... وأعلن في مليكتهم رثائي	٢	١٣٦

(حرف الألف)

تناءيت عنكم فحلت عرا ... وضاعت عهود على ما أرى	١	١٩٦
بنادي الجزيرة قف ساعة ... وشاهد ربك ما قد حوى	١	٢٢٢

(حرف الباء)

ماذا ادخرت لهذا العيد من أدب ... فقد عهدتك رب السبق والغلب	١	١٣
لمحت جلال العيد والقوم هيب ... فعلمني آي العلا كيف تكتب	١	١٥
بكرا صاحبي يوم الإياب ... وقفا بي بعين شمس قفا بي	١	٢٣
لو ينظمون اللآلي مثل ما نظمت ... لذ غبت عنا عيون الفضل والأدب	١	٢٦
أعجمي كاد يعلو نجمه ... في سماء الشعر نجم العرب	١	٣٨
شيخان قد خبرا الوجود وأدركا ... ما فيه من علل ومن أسباب	١	١٥٤
أنوق الدف لو رأيت شكيبا ... وأفض الأذكار حتى يغيبا	١	١٦٠

			جزء	صفحة
أديم وجهك يازنديق لوحملت	منـه الوقاية والتجليـد للتكب		١	١٦١
أخى والله قـد ملأ الوطاب	وداخلنى بصحبتـك ارتيـاب		١	١٦٦
ملكـتم على عنان الخطب	وجزتم بقـــدرى سماء الرتب		١	١٧٦
قل للنقيب لقـد زرنا فضـيلته	فذادنا عنـــه حراس وحجـاب		١	١٨٨
عجب الناس منك يا بن سـليا	ن وقـد أبصروا لديك عجيبا		١	٢٣٣
حطمت السـراع فـلا تعجى	وعفت البيان فـلا تعتـبى		١	٢٥٦
إن كنتم تبذلون المـال عن رهب	فنحن ندعوكم للبـذل عن رغب		١	٢٦٥
لمصر أم لربوع الشـام تنتسب	هنا العلا وهناك المجد والحسب		١	٢٦٨
حيا كم الله أحيوا العلم والأدبا	إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا		١	٢٧٢
قضـــيت عهـــد حداثتى	ما بين ذل واغـــتراب		١	٣٠٢
(عبد العزيز) لقد ذكرتنا أمما	كانت جوارك فى لهو وفى طرب		٢	٦
لا تلم كفى إذا السـيف نبـا	صح منى العـــزم والدهر أبى		٢	٧
أيحصى معانيك القريض المهذب	على أن صدر الشعر للمدح أرحب		٢	١٧
(قصر الدبارة) هل أتاك حديثنا	فالشرق ريع له وضج المغـرب		٢	٢٢
أجل هـذه أعلامه ومواكبه	هنيئا لهم فليسحب الذيل ساحبه		٢	٤٨
(قصر الدبارة) قـــد نقضـ	ـت العهـــد نقض الغـاصب		٢	١٠٩
سكت فأصـــغروا أدبى	وقلـــت فأكبروا أربى		٢	١١٠
جواب حظى قد أفرغتـه طمعا	بباب أستاذنا (الشيمى) ولا عجبا		٢	١١٢
ماذا أصيت من الأسفار والنصب	وطيك العمر بين الوخد والخبب		٢	١١٦
ومبت بهـا على هـذا التباب	وما أوردتهـا غـير الســراب		٢	١٢١
هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى	هنا خير مظـلوم هنا خير كاتب		٢	١٣٨
صونوا يراع (على) فى متاحفكم	وشاوروه لدى الأوزاء والنوب		٢	١٧٢
سكن الفيلسوف بعد اضطراب	إن ذاك السكون فصل الخطاب		٢	١٨١
أيدرى المسـلمون بمن أصيبوا	وقد وارو سـليا فى الـتراب		٢	١٨٩

ولدى قـد طال سهدى وتحيبى	جئت أدعوك فهل أنت تجيبى	٢	٢٠٠
آذنت شمس حيـاتى بمغيب	دنا المنهـل يا نفس فطيبـى	٢	٢٠٣
ما أنت أول كوكب	فى الغـرب أدركه المغيب	٢	٢١٤
إيه يا ليل هل شهدت المصـابا	كيف ينصب فى النفوس انصبابا	٢	٢١٨
لعب البلى بملاعب الأنبـاب	ومحـا بشاشـة فك الحـلاب	٢	٢٣٠
دمعة من دموع عهد الشباب	كنت خبأتها ليـوم المصـاب	٢	٢٣٨
بدأ الممات يدب فى أترابى	وبدأت أعرف وحشة الأحباب	٢	٢٤٦
حياكم الله أحيوا العلم والأدبا	إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا	١	٢٧٢

(حرف التـاء)

فيـك السعيدان اللذان تبارياً	يا مصر فى الخـيرات والبركات	١	٥٥
إيكن يهدى النيـل ألف تحية	معطـرة فى أسـطار عطرات	١	١٣١
يا كاتب الشرق ويا خير من	تتلو بنـو الشرق مقـاماته	١	١٩٦
رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى	وناديت قومى فاحتسبت حياتى	١	٢٥٣
أحياؤنا لا يرزقـون بدرهم	وبألف ألف ترزق الأموات	١	٣١٨
أحياؤنا لا يرزقون بدرهم	وبألف ألف ترزق الأموات	١	٣١٨
(ليـــلاى) ما أنا حـــى	يـــرجى ولا أنا ميـــت	٢	٦٩
ســلام على الإسلام بعـد محمد	ســلام على أيامه النضـرات	٢	١٤٤

(حرف الحـاء)

(اللونا) شهرة فى الطب تاهت	بهـا مصر وتاه بهـا مـديحى	١	٧١
أهل الصحافة لا تضلوا بعـده	فضياؤكم قـد زانها (المصباح)	١	١٤٨
وفيان أنس أقسموا أن يبتدرا	جيوش الدجى ما بين أنس وأفراح	١	٢٤٢
مرت كعمر الورد بينا أجتـلى	إصـباحها إذ آذنت برواح	١	٢٤٢
ما لى أرى الأكمام لا تفتـح	والروض لا يذكو ولا ينفح	٢	٩٤

	جزء	صفحة
أشرق فـدتك مشارق الإصـباح	وأمط لثامك عن نهار ضاحى	٢	٩٧
سـليل الطين لم تلنا شـقاء	وكم خطت أناملنـا ضريحا	٢	١١٢

(حرف الدال)

تعمدت قتلى فى الهوى وتعمـدا	فما أثمت عينى ولا لحظـه اعتـدى	١	٧
أهنيـك أم أشـكو فراقك قائلا	أيا ليتنى كنت السـجين المصـفدا	١	٣٣
إن هتوك بهـا فلست مهنئا	إنى عهـدتك قبلهـا محسـودا	١	٥٠
أرأيت رب التـاج فى	عيـد الجـلوس وقـد تبدّى	١	١٤٤
يا كوكب الشـرق أشـرق	فالحـادثات تجـدد	١	١٥٣
لقـد بت محسودا عليـك لأننى	فنـاك وهـل غير المنعم يحسـد	١	١٩٥
ارحـمونا بنى اليهـود كفاكم	ما جمعتم بحـذقكم من نقـود	١	٢٢١
خمـرة فى (بابل) قـد صهرجت	هـكذا أخـبر حاخام اليهـود	١	٢٤٣
ومن عجب قـد قـلدوك مهنـدا	وفى كل لحـظ منك سيف مهند	١	٢٤٧
سمعنا حديثا كقطـر النـدى	فجـدد فى النفس ما جـددا	١	٢٦١
مـا لى أرى بحـر السـيا	سـة لا ينى جـزرا ومـدا	١	٢٦٤
أيها القائمون بالأمـر فينا	هـل نسيتم ولاءنا والـودادا	٢	٢٠
بنات الشـعر بالنفحات جـودى	فهـذا يـوم شاعرك المجيـد	٢	٣١
فتى الشعرهذا موطن الصدق والهدى	فلا تكذب التاريخ إن كنت منشدا	٢	٢٦
لا رعى الله عهـدها من جدود	كيف أمسيت يابن (عبـد المجيد)	٢	٤٣
وقف الخـلق ينظرون جميعا	كيف أبنى قواعد المجـد وحدى	٢	٨٩
لقـد طـال الحيـاد ولم تكفوا	أما أرضـاكم ثمن الحيـاد	٢	١٠٨
ردا كؤوسكما عن شبه مفؤود	فليس ذلك يوم الراح والعـود	٢	١٣١
أيهـذا الـثرى إلام التمادى	بعد هـذا أأنت غرثان صادى	٢	١٣٣
ردّوا على بيانى بعد (محمـود)	إنى عييت وأعيا الشعر مجهودى	٢	١٣٩
من ليـوم نحن فيـه من لغـد	مات ذو العزمة والرأى الأسـد	٢	١٩٧

	جزء	صفحة
(حرف الـــراء)		
مطالع سعد أم مطالع أقمار	تجلت بهذا العيد أم تلك أشعاري	١ ١١
فى عيد مولانا الصغير	مر وعيد مولانا الكبير	١ ١٥
لمحت من مصرذاك التاج والقمرا	فقلت للشعر هذا يوم من شعرا	١ ١٨
إن صوّروك فإنما قد صوّروا	تاج الفخار ومطلع الأنوار	١ ٢٦
قصرت عليك العمر وهو قصير	وغالبت فيك الشوق وهو قدير	١ ٣١
ربك والدك الكريم على التقى	وعن الزاهة والضمير الطاهر	١ ٥٧
يا كاسى الأخلاق فى	بلد عن الأخلاق عارى	١ ١١٤
فلم اذ ركب الأنام أو جرى	سجدت له الأقلام وهى جوارى	١ ١٥٠
شجتنا مطالع أقمارها	فسالت نفوس لتذكارها	١ ١٦٧
كحافظ إبراهيم لكنه	أجل خلقا منه فى الظاهر	١ ١٨٥
قل للرئيس أدام الله دولته	بأن شاعره بالباب منتظر	١ ١٨٩
شكرت جميل صنعكم بدمعى	ودمع العين مقياس الشعور	١ ١٩١
وافى كتابك يزدرى	بالدر أو بالجوهر	١ ١٩١
طال الحديث عليكم أيها السمر	ولاح للنوم فى أجفانكم أثر	١ ١٩٤
لا غرو إن أشرق فى منزل	فى ليلة القدر محيا الوزير	١ ٢٠٤
أحامد كيف تنأى وبينى	وبينك يا أخى صلة الجوار	١ ٢٠٤
عاصف يرتمى وبحر يفور	أنا بالله منهما مستجير	١ ٢٢٧
كأنى أرى فى الليل نصلا مجرّدا	يطير بكفا صفحتيه شرار	١ ٢٣٤
ياساهد النجم هل للصبح من خبر	إنى أراك على شوء من الضجر	١ ٢٣٦
أنا العاشق العانى وإن كنت لا تدرى	أعيذك من وجد تغلغل فى صدرى	١ ٢٤٧
قالت الجوزاء حين رأت	جفنه قد واصل السهرا	١ ٢٤٧
سائلوا الليل عنهم والنهارا	كيف باتت نساؤهم والعذارى	١ ٢٥٠
هذا صبى هائم	تحت الظلام هيام حائر	١ ٢٩٢

			جزء	صفحة
أيها الوسمى زر نبت الربا		واسبق الفجر الى روض الزهر	١	٢٩٩
أيها الطفل لك البشرى فقد		قدّر الله لنا أن نشـرا	١	٣٠٧
أساحة للحـرب أم محشـر		ومورد المـوت أم الكوثر	٢	١٠
أطل على الأكوان والخلق تنظر		هلال رآه المسلمون فكبروا	٢	٣٧
أهـلا بأول مسـلم		فى المشرقين عـلا وطار	٢	٧٦
كم حدّدوا يوم الجلاء الذى		أصبح فى الابهام كالمحشر	٢	١٠٩
ما لهـذا النجـم فى السحر		قد سها من شدّة السهر	٢	١٢٢
لقد كانت الأمثال تضرب بيننا		بجبور (سدوم) وهو من أظلم البشر	٢	١٢٣
نثروا عليك نوادى الأزهار		وأتيت أنثر بينهم أشعارى	٢	١٥١
رثاك أمير الشعر فى الشرق وانبرى		لمدحك من كتّاب مصر كبير	٢	١٦٤
أخت الكواكب مارما		ك وأنت راميـة النسـور	٢	١٧٩
مـلك النهى لا تبعـدى		فالخلق فى الدنيا سـير	٢	١٩٣
لله الله قد أسرعت فى السير قبلنا		وأثرت يا مصرى سكنى المقابر	٢	٢٠٢
نعاك النعاة وحـم القـدر		ولم يغن عنا وعنك الحـذر	٢	٢٠٨
من لم يذق فقـد أليف الصبا		لم يدر ما أبدى وما أضمـر	٢	٢١٦
يا بن (عبد السلام) لا كان يوم		غبت فيه عن هالة الأحرار	٢	٢٤٢

(حرف السين)

أتيت سـوق عـكاظ		أسـعى بأمر الرئيـس	١	١٠٣
أنا فى الجـيزة نار		ليس لى فيها أنيـس	١	١٨٨
أوشك الديك أن يصيح ونفسى		بين هم و بين ظن وحدس	١	٢٤١
يأيها الحب امـتزج بالحشى		فإن فى الحب حياة النفوس	١	٢٤٦
أجاد (مطران) كعاداته		وهكذا يـؤثر عن (قس)	١	٢٩٦
إن يوم احتفالكم زاد حسنا		وجلالا بيـوم عيـد الجلوس	١	٣٠٦

			صفحة
(حرف العين)			
هجعت بأطـير ولـم أهجـع	ما أنت إلا عاشـق مـدعى	١	٣٤
بلابل وادى النيـل بالمشرق اسجعى	بشـعر أمـير الدولتين ورجعى	١	١١٩
قـد براع دار العـدل طف	بيـن وراع الجامعـه	١	١٤٢
قـد أجـدبت دار الحجا والنهى	بعـدك من أرائك الناقعه	١	١٤٣
قـد قـرأنا ظـلالكم فشـفينا	بارك الله فى (ظـلال الدمـوع)	١	١٥٨
هذا يستغيث الطرس والنفس والذى	يخط ومن ينشو ومن يتسمع	١	١٦١
من لم ير المعـرض فى اتسـاع	وفاته ما فيـه من إبـداع	١	١٩٦
نمى يا بابـلى إليـك شـوقى	وعينى لازمت سكب الدموع	١	٢٠٣
أى رجال الدنيا الجديدة متوا	لرجال الدنيا القـديمة باعا	١	٢٥٩
أخشـى مـر بقى هذا	طلـع النهار وأفـزع	١	٣١٨
مـرضنا فما عادنا عائـد	ولا قيـل أين الفتى الألمعى	٢	١٢٤
(رياض) أفق من غمرة الموت واستمع	حديث الورى عن طيب ما كنت تصنع	٢	١٦٧
أبكى وعين الشرق تبكى معى	على الأريب الكاتب الألمعى	٢	٢٢٨
(حرف الفاء)			
صدفت عن الأهواء والحر يصدف	وأنصفت من نفسى وذو اللب ينصف	١	٢١
غاب الأديب أديب (مصر) واختفى	فلتبكه الأقـلام أو تتقصـفا	٢	٢٣٨
(حرف القاف)			
سكن الظلام وبات قلبـك يخفق	وحظا على جنبيـك هـم مقـلق	١	٤٠
ما بال (دندرة) تميـس تهاديا	ميس العـروس مشت على استبرق	١	١١٨
أيـا يدا قـد خصها ربها	بآيـة الإعجاز فى الخـلق	١	١٤١
وجدوا السبيل الى التقاطـع بينا	والسـمع يملكه الكذوب الحاذق	١	٢٠٧
يا (جاك) إنـك فى زمانـك واحد	ولكل عصـر واحد لا يلحـق	١	٢١٢

كم ذا يـكابد عاشق و يلاقى	فى حب (مصر) كثيرة العشاق	١	٢٧٩
لا أبالى أذى العـــدو لحظنى	أنت يا رب من ولاء الصديق	١	٢٩٨
لى فيك حين بدا سناك وأشرقا	أمل سـألت الله أن يحققـا	٢	٥٨
لا هم إن الغرب أصبح شـعلة	من هولهـا أم الصواعق تغرق	٢	٨٦
أكثرتم التصفيق فى موطن	كان البكا فيـــه بنـا أليقـا	٢	٢٠٨

(حرف الكاف)

لله عيـــــد كبـــير	يزهـــو بنـــور جبينـــك	١	٣٦
أحمـــد الله إذ سـلمت لمصر	قد رماها فى قلبها من رماكا	١	١٠٩
سما الخطيبان فى المعـالى	وجاز شأواهمـا السماكا	١	١٣٣
عطلت فن الكهرباء فلم نجـد	شيئا يعـوق مسـيرها إلا كا	١	١٦٠
يا شاعر الشـــرق انشـــد	ما ذا تحـاول بعـــد ذاك	١	٢٠١
ظـبى الحمى بالله ما ضـــركا	اذا رأينـا فى الكرى طيفـكا	١	٢٤٨
كم وارث غض الشباب رميتـه	بغـرام رافصـة وحب هلوك	١	٣١٤
عجبت أن جعلوا يوما لذكراكا	كأننـا قـد نسينا يوم منعاكا	٢	٢١٧
بين السرائر ضـــنة دفنوك	أم فى المحاجر خلسـة خبئوك	٢	٢٤٦

(حرف اللام)

بلغتـك لم أنسب ولم أتغـزل	ولـما أقف بين الهوى والتذلل	١	٤
قالوا صدقت فكان الصدق ما قالوا	ما كل منتسب للقـول قـوال	١	٥
هنيئـا أيهـا المـلك الأجـل	لك العرش الجديد وما يظـل	١	٦٧
فى ساحة (البدوى) حلت ساحة	عز البـلاد بعـزها موصـول	١	٧٥
لقـــد عاشرتنـا فلبثت فينـا	مثـالا للنزاهـــة والكمال	١	٩٨
الشعب يدعو الله يا (زغلول)	أن يستقل على يديك النيل	١	١١٠
قـــد قرأنا كم فهشت نهـانا	فاقتبسـنا نورا يضيء السبيلا	١	١٣١

أضحى (نجيب) وكيلا	لنا ونعم الوكيل	١	١٤٨
(عثمان) إنك قد أتيت موفقاً	شروى سميك جامع التنزيل	١	١٥٣
جرائد ما خط حرف بها	لغير تفريق وتضليل	١	١٥٩
لا تعجبوا فليكم نعبت به	أيدى البطالة وهو فى تضليل	١	١٥٩
يا صارما أنف الثواء بغمده	وأبى القرار ألا تزال صقيلا	١	١٧١
سرا أيا بدرى سماء العلا	واستقبلا السم ولا تأفلا	١	٢٠٠
أدلال ذاك أم كسل	أم تشاس منك أم ملل	١	٢٠٣
* يادولة القواضب الصقال *		١	٢٠٩
ضعت بين النهى و بين الخيال	يا حكيم النفوس يابن المعالى	١	٢٣٧
أنضيه فى الأشواق إلا أفله	بطيء سرى أبدى الى الليث ميله	١	٢٣٧
شبحا أرى أم ذاك طيف خيال	لا بل فتاة بالعراء حيال	١	٢٧٥
أيها الطفل لاتخف عنت الدهـ	ـر ولا تخش عاديات الليالى	١	٣١٠
أى رجال الدنيا الجديدة مهلا	قد شأوتم بالمعجزات الرجالا	١	٣١٢
لله درك كنت من رجل	لو أمهلتك غوائل الأجل	٢	١٥٦
جل الأسى فتجملى	وإذا أبيت فأجملى	٢	١٧٦

(حرف المـيم)

منى ظلها يا لابس المجد معلما	أدينا ودنيا زادك الله أنعما	١	٥٠
لم نجد ما يفى بقدرك فى المجـ	ـد فيهدى الى حماك الكريم	١	٥٥
إنى دعيت الى احتفالك فجأة	فأجبت رغم شواغلى وسقامى	١	٥٦
جاز بى عرفها فهاج الغراما	ودعانى فزرتها إلماما	١	٥٨
وسع الفضل كله صدرك الرحـ	ـب فمن شاء فليفئ وسامه	١	٦٣
يحييك من أرض الكنانة شاعر	شغوف بقول العبقرين مغرم	١	٧٢
أقصر الزعفران لأنت قصر	خليق أن يتيه على النجوم	١	١٠٦
أحييت مبت رجائنا بصحيفة	أثنى عليها الشرق والاسلام	١	١٥٠

		جزء	صفحة
أثرت بنا من الشوق القديم	وذكرى ذلك العيش الرخيم	١	١٦٢
ملكت على مذاهبي	وعصانى الطبع السليم	١	١٧٢
* من واجد منفسر المنام *		٤	١٩٧
إن عضيك يا أنحى يا ملام	لا يؤدّى لمثل هذا الخصام	١	٢٠٢
تمثلى إن شئت فى منظر	يا (جوليا) أنكر فيه الغرام	١	٢٤٦
أذنتك ترتابين فى الشمس والضحى	وفى النور والظلماء والأرض والسما	١	٢٤٨
صفحة البرق أو مضت فى الغمام	أم شهاب يشق جوف الظلام	١	٢٨٣
كم تحت أذيال الظلال متيم	دامى الفؤاد وليله لا يعلم	١	٢٨٨
أيها المصلحون ضاق بنا العيـ	ـش ولم تحسنوا عليه القياما	١	٣١٦
لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت	حواشيه حتى بات ظلما منظما	٢	٢٥
لقد نصل الدجى فتى تنام	أهم ذاد نومك أم هيام	٢	٥٣
بالذى أجراك يا ريح الحزامى	بلغى (البسفور) عن (مصر) السلاما	٢	٦٢
طمع ألق عن الغرب اللثاما	فاستفق يا شرق واحذر أن تناما	٢	٦٦
(أياصوفيا) حان التفرق فاذكرى	عهود كرام فيك صلوا وسلموا	٢	٨٨
قد مر عام يا (سعاد) وعام	وابن الكنانة فى حماه يضام	٢	١٠٥
بنيتم على الأخلاق أساس ملككم	فكان لكم بين الشعوب ذمام	٢	١٠٦
حولوا النيل واحجبوا الضوء عنا	واطمسوا النجم واحرمونا النسيما	٢	١٠٨
سعيت الى أن كدت أنتعل الدما	وعدت وما أعقبت إلا التندما	٢	١١٤
طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا	واقضوا هنالك ما تقضى به الذمم	٢	١٦٠
لامرحبا بك أيهذا العام	لم يرع عندك للا ساة ذمام	٢	١٨٦
علمان من أعلام مصـ	ـر عدا الردى فطواهما	٢	٢٠٧
أعزى فيك أهلك أم أعزى	عفاة الناس أم هم الكرام	٢	٢٤٥

(حرف النون)

حال بين الجفن والوسن	حائل لو شئت لم يكن	١	٣
طف بالأريكة ذات العز والشان	واقض المناسك عن قاص وعن دانى	١	٢٨

أنى الحجيج عليك والحرمان	وأحل عيد جلوسك الثقلان	١	٤٤
ياصاحب الروضة الغناء هجت بنا	ذكرى الأوائل من أهل وجيران	١	٦٣
ورد الكنانة عبقـرى زمانه	فتنظرى يا (مصر) سحر بيانه	١	٩٨
يا كامل الخلق الرضى وصاحب الـ	ـأدب السرى و يافتى الفتيان	١	١١٨
حيا بكور الحيا أرباع لبنان	وطالع اليمن من (بالشام) حيانى	١	١٣٣
قل للطبيب الذى تعنو الجراح له	ماذا اعتدت بجرح العاشق العانى	١	١٤٢
هـذا كتاب مـذ بدا سره	للناس قالـوا معجـز ثانى	١	١٤٨
أراك ـ وأنت نبت اليوم ـ تمشى	بشعرك فـوق هام الأولينا	١	١٤٩
يا ساكن البيـت الزجا	ج هبلت لا تـرم الحصـونا	١	١٥٩
يا يوم تكريم (حفـنى)	أرهفت للقـول ذهنى	١	١٧٩
يا سـيدى وإمامى	ويـا أديب الزمان	١	١٨٤
عجبت للنيل يدوى أن يلبـله	صاد ويسـق ربا مصر ويسقينا	١	١٨٧
يرغى و يزبد بالقافات تحسبها	قصـف المدافع فى أمن البساتين	١	١٨٩
لاح منها حاجب للناظـرين	فنسوا بالليـل وضاح الجبين	١	٢٠٧
نبئانى إن كنتما تعلمان	ما دهى الكون أيها الفـرقدان	١	٢١٥
أنكر النيـل موقف الخـزان	فاثنـنى قافلا الى السـودان	١	٢٣٨
يا من خلقت الدمـع لط	فا منـك بالباكى الحـزين	١	٢٣٨
فتيـة الصهباء خير النـاربين	جدّدوا بالله عهـد الغائبين	١	٢٤٤
غضى جفون السـحر أو فارحمى	متـيما يخشى نزال الجفـون	١	٢٤٦
سألته ما هـذا الحال منفردا	واختار غربتك الغـربا له سكنا	١	٢٤٨
سـور عنـدى له مكتوبة	ود لو يسرى بها الروح الأمين	١	٢٤٩
أعيـدوا مجـدنا دنيا ودينا	وذودا عن تراث المسلمينا	١	٣١٥
رويدك حتى يخفـق العلمان	وتنظر ما يجرى به الفتيان	٢	٥
أين يوم (القنـال) يا ربة النا	ج و يا شمس ذلك المهرجان؟	٢	١٤

	جزء	صفحة
لله آثار هناك كريمة	حسدت روائع حسنها (برلين)	٢	٨٣
خرج الفواني يحتجبن	من ورحت أرقب جمهنه	٢	٨٧
ألم تر في الطريق إلى (كياد)	تصيد البط بؤس العالمينا	٢	١٠٦
لا تذكروا الأخلاق بعد حيادكم	فصابكم ومصابنا سيان	٢	١٠٧
لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا	إلا بقية دمع في مآقينا	٢	١١٩
نعمن بنفسي وأشقيتني	فيا ليتهن ويا ليتني	٢	١٢٤
دعاني رفاقي والفواني مريضة	وقد عقدت هوج الخطوب لساني	٢	١٨٣
أما (أمين) فقد ذقنا لمصرعه	وخطبه من صنوف الحزن ألوانا	٢	٢٢٦
مسدي الجميل بلا من يكدره	ومكرم الضيف أمسى ضيف رضوان	٢	٢٣٦
مضيت ونحن أحوج ما نكون	إليك ومثل خطبك لا يهون	٢	٢٤٣
شوقيني أيها الفرقدان	لبدر تم غاب قبل الأوان	٢	٢٤٥
إن الذي كانت الدنيا بقبضته	أمسى من الأرض يحويه ذراعان	٢	٢٤٨

(حرف الهاء)

		جزء	صفحة
تراءى لك الإقبال حتى شهدناه	ودان لك المقدار حتى أمناه	١	٣٧
شرف الرياسة يا محمد زانه شرف النهى		١	١٤١
يا ليلة ألهمتني ما أتيه به	على حماة القوافي أينما تاهوا	١	٢١١
كم مر بي فيك عيش لست أذكره	ومر بي فيك عيش لست أنساه	٢	١٢٠
يا عابد الله ثم في القبر مغتبطا	ما كنت عن ذكر رب العرش بالاهي	٢	٢٠٠
وديعة ردّت الى ربها	ومالك الأرواح أولى بها	٢	٢٤٦

(حرف الياء)

		جزء	صفحة
حسب القوافي وحسبي حين ألقيها	أني إلى ساحة (الفاروق) أهديها	١	٧٧
أي (مكهون) قد مت بالـ	ـقصد الحميد وبالرعايه	٢	٨٢
أيا قبر هذا الضيف آمال أمة	فكبر وهلل وألق ضيفك جائيا	٢	١٤٩
دك ما بين محسوة وعشى	شاخ من صروح آل علي	٢	١٩٠

كلمة شكر

وبعد، فأشكر لصديق الدكتور منصور فهمى بك مدير دار الكتب المصرية، ما قدم لى من معونة فى تسهيل حصولى على مصادر ترجمة (حافظ ابراهيم)، وما قام به من همة فى الإشراف على إخراج الكتاب.

ولأخى محمد نديم افندى ملاحظ المطبعة بدار الكتب المصرية على مساعدته لنا فى طبع هذا الكتاب على هذا النمط مع السرعة والدقة والاتقان، فلهما أقدم جزيل شكرى وأطيب ثنائى ٤

٩ مايو سنة ١٩٣٧ أحمد أمين

تمّ طبع الجزء الثانى من " ديوان حافظ ابراهيم بك "
بمطبعة دار الكتب المصرية فى يوم الثلاثاء غرة ربيع الأول سنة ١٣٥٦
(١١ مايو سنة ١٩٣٧) م

محمد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٣٠ / ١٩٣٦ / ١٠٠٠٠)